٥٠٢

دار م. النحاس

عبير

502

HARLEQUIN

شبكة ليلاس الثقافية
toto-06
www.liilas.com

الكذبة القاسية

سوزان نابيير

الكذبة القاسية

شبكة ليلاس الثقافية

سوزان نابير

toto-06

لقد استمرت هاتان الكلمتان في أعماق ضمير كلوديا الذي أثقله الشعور بالذنب لعدم تحملين. هذا الذنب الذي كان نتيجة باعث نشأ عن فقدان طفلها المفجع. لقد علمت أنها أخطأت بحق مورغان ستون [illegible] على أن ترد إليه نفس الذي أخذته. لقد تصرف معها بنفس الغلظة والعناد اللذين عرفتهما عنه. ولكن، الماضي وحبها له منعاها من مقاومة خطته المفزعة... لهما الاثنين.

www.liilas.com

«إن هذا ابتزاز.»

وفغرت كلوديا فاها وهي تنظر إلى مورغان. لا بد أنه معتوه.

وتمتمت: «مورغان، ألا تظن أنك تتهم الأمر من وجهة معكوسة؟ إن عندك من الأسباب التي تجعلك تخاف من انكشاف الحقيقة، أكثر بكثير مما عندي. إنني أنا التي في استطاعتها ابتزازك.»

فقال: «في استطاعتك ذلك يا كلوديا، إنما هل ستفعلين؟»

فخفضت أهدابها القاتمة تتصنع التفكير، وما لبثت أن لمعت عيناها وهي تنظر إلى وجهه الجامد.

وقال هو بصوت ناعم: «إنك لن تجرؤي.»

www.liilas.com

الفصل الأول

«إن أكبر الأكاذيب، غالباً ما يعلن بصمت.»
روبرت لويس شيفنسون.

«إنك حامل.»

نظرت كلوديا، التي لم تجد في خلال الأشهر القليلة الماضية ما يدعوها إلى السرور، إلى بطنها البارز تحت ثوبها الصيفي الواسع الباهت اللون، وغمرها شعور ساخر رفع من معنوياتها.

بادرت الرجل الغريب الأسود الحاجبين الذي كان يقف عند عتبة بابها ينظر إليها عابساً، قائلة بلهجة ساخرة تتصنع الفزع: «وهكذا، بعد كل تلك النقود التي بددتها على محلات إنقاص الوزن، إذ بي لأكتشف أن الأمر لم يكن سوى أنني حامل...»

لكن ثرثرتها، بدلاً من أن تدفع به إلى الابتسام، زادت من عبوسه.

كان مديد القامة يتناقض لون شعره الأسود القصير مع لون بشرته الناصع البياض، وقد أسبغ ظل على فكه البارز، طابعاً لطيفاً على مظهره إجمالاً. وكان ينظر إليها بعينين ضيقتهما أشعة الشمس الساطعة. وفي الحقيقة، لولا أناقته البالغة، في بذلته الرمادية وربطة عنقه الحريرية الثمينة والتي تشير إلى ثرائه المفرط، لشعرت كلوديا بالخوف. ولما قالت إنه لا بد قد أخطأ وقرع الباب الخطأ، أجاب بعناد: «هذا غريب.»

قالت ممازحة: «وهذا هو رأيي أنا كذلك، إنما هل أنت عادة تبتدئ الحديث مع الغرباء بمثل هذه الصراحة؟»

فأجاب بجفاء، وهو يشير إلى بطنها المنتفخ: «لا أظن ثمة شخص بمثل صراحتك أنت.»

حول جوابه هذا ممازحتها، انزعاجاً، إذ بدا لها أنه أكثر تبلداً من أن يتقبل المزاح. ومن ناحية أخرى، فإن أحداً لا يحب أن يصبح الضحوكة لمجرد غلطة بريئة اقترفها، كقرع الباب الخطأ هذا، ولم يكن من اللائق بها أن تسخر من جهله، ولكنها لم تستطع مقاومة أن تعود لتقول مرة أخرى ممازحة وهي تتنهد بصوت عال: «حسناً، ما الذي تبيعه؟ معدات التنظيف؟ دلتوك معارف؟» لقد خاطبته كما تخاطب ربة منزل، رجلاً غريباً يقرع بابها، مع أنها تدرك تماماً أنه من غير الممكن أن يكون بائعاً، ناهيك ببائع جوّال على الأبواب. ولكن، من الواضح أن الجانبية التي يتحلى بها، عادة مثل أولئك الباعة، تنقصه هو.

قال وقد تصلب في وقفته لدى قولها هذا:

«إنني لا أبيع شيئاً.»

قالت: «ليس لي على كل حال، هل هو يومك الأول في هذه المهنة؟ في الحقيقة يجب أن تتفهم طبيعة عملك إذا أردت أن تتخذ مهنة بائع جوّال على الأبواب هذه.»

جمجم غاضباً وقد بان الشر في عينيه: «قلت لك إنني لست بائعاً.»

شعرت كلوديا بأن استهتارها غير العادي سيوردها مورد الخطر. ولا بد لها من أن تفعل شيئاً يستقيم معه أمرها مع هذا الرجل الفظ. وقالت بلطف تخفف من ثورته:

مطرعاً، أنت لست بائعاً...»

«لا تحاولي التلطف معي يا آنسة لاوسون.»

كان في مخاطبته لها بوضعها الغازب، وكذلك ادراكها أنه يعرف هويتها، ما يشبه صدمة أحدثها انزلاق ماء مثلج في ذراعيها، يفضل ما يحويه من السخرية والتفكك، كما أنه يوضح بجلاء أسباب ازدرائه لها.

انتابت كلوديا موجة من الاكتئاب وفتور العزم، إلى خيبة أمل ليس لها ما يبررها في زائرها غير المتوقع هذا. ذلك أنها واجهت، في المدة الأخيرة ما يكفي من المتحاملين عليها من ذوي العقول الضيقة. وسرعان ما استحالت شبه الابتسامة التي كانت تلطف من ملامحها عبوساً وهي تشعر، فجأة، بأن نور أشعة شمس الصيف قد كشف أمرها... وشعرت نحوه بالكراهية البالغة إذ يعرض بوضعها الشاذ المنتقد.

تساءلت إن كان صحافياً، ولكن هذا الاحتمال لم يرجح على احتمال كونه بائعاً. ذلك أن الصحف لا تمنح مراسليها مرتباً يمكنهم من شراء بدلة بألف دولار.

رفعت حاجبيها في حركة تنبيء عن الكبرياء الطبيعية التي تعرف هي أنها تعيز ملامحها الدقيقة. لقد سبق ودعاها «كريس» برائعة الجمال، وبرغم أنها كانت تدرك أن وجهها كان أقل من أن يمثل الجمال، إلا أنه جعلها تصدق ذلك. وقد أصبح وجهها هذه الأيام أقل جمالاً، نتيجة الشعور بالغثيان الذي يفسد شهيتها إلى الطعام على الدوام، هذا إلى الجهد البالغ في التظاهر أمام الملأ، بعدم الاهتمام.

قالت: «إذن، هات ما عندك يا سيد...»

سألها متجاهلاً طلبها معرفة اسمه: «هل «مارك» في الداخل؟»

«مارك؟» وحيث أنها كانت تتوقع هجوماً آخر على مسلكها، فقد كان سؤاله البريء عن الساكن في بيتها، قد حيرها. وكرر هو: «مارك ستون.»

عادت تكرر الاسم، مارك ستون، ببطء معطية بذلك، فرصة لنفسها للتفكير. أهو بريء هذا الرجل؟ كلا بالتأكيد. هل كان يريد معلومات عنها أم عن مارك؟ هل هذا الرجل هو السبب الذي دفع الشاب إلى إبداء شعور غريب بالذنب في الأسابيع الأخيرة؟ هل وقع مارك في بعض المشكلات ولم يشأ أن يحملها هماً، فوق همومها، بازعاجها بمشكلاته الخاصة؟

عادت كلوديا تنظر إلى زائرها الذي كان واقفاً ينتظر جوابها بفارغ الصبر. إن مظاهر الثراء ليست دليلاً على النزاهة والفضيلة، كما علمتها الظروف. إن الملابس الفاخرة لم تخف التهديد البادي من شكل شفتيه الملتويتين، والنظرة الباردة في عينيه الضيقتين أو توتر عضلات عنقه أو مظهر كتفيه داخل سترته الأنيقة. لقد جاء متأبطاً المتاعب، وكان مستعداً لمجابهتها، كان يمثل القسوة بشكل لا يتصوره عقل.

هل كان عدواً؟ أم أنه دائن جاء يطالب بدين مستحق؟ وتجاوزته بأنظارها إلى السيارة الواقفة خارج بوابة منزلها الصغير، كانت (جاكوار) فضية اللون يبدو عليها نفس المظهر المتكلف الصارم الذي يبدو على هذا الرجل الواقف أمامها.

www.liilas.com

أخيراً، استقر رأيها على أن تقول ببرودة: «إنه ليس هنا.»

لكن، لم يظهر عليه أي شعور بالأسف أو بالرغبة المهذبة للرحيل، بل قال متحدياً إياها أن تنكر قوله: «إنني أعلم أنه يسكن هنا.»

قالت دون أن تخفي سرورها الخبيثة أملة: «إنني آسفة، فهو ليس هنا في الوقت الحاضر.»

قال دون أن يخفي، هو أيضاً، عدم تصديقه لها: «حقاً؟ تعنين أنه حقاً ليس في البيت أم أنه ليس في البيت بالنسبة إلي.»

قالت بجمود: «بما أنني لا أعرفك، يمكنك أن تخمن الأمرين معاً.»

قال: «سأنتظر.»

قالت وقد لمعت عيناها البنيتان مكراً محسناً: «يمكنك ذلك.»

كانت ترجو أن تلهبه الحرارة في بدلته السميكة أثناء انتظاره ضحية لن تأتي أبداً. هذا مع أن سيارته لا شك تحتوي على مكيف هواء.

قال: «شكراً» وقبل أن تدرك قصده، كان قد تجاوزها، وخفة مستغربة ممن هو في مثل طوله، داخلاً إلى القاعة المبرمة، وهو ينظر داخل الغرف إلى الجهتين.

صرخت في أثره: «ما هذا؟ ما الذي تظن أنك تفعله؟» وكانت قد تركت الأبواب داخل المنزل مفتوحة لتسمح للهواء بالدخول وتخفيف حرارة جو الصيف. وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى ذلك الزائر المتطفل، كان قد انتهى من التفتيش في المطبخ الخالي والحمام وغرفتي النوم، احداهما كانت تحتوي على

سرير مزدوج، أما الثانية فقد كانت تحتوي على أريكة ومهد طفل هزاز وكذلك مكتب وكرسي.

إذ أدركت أنه ليس بمقدورها ايقافه عند حده، اندفعت إلى غرفة الجلوس أمامه، وهي تشعر بتفجر الطاقة في جسمها طاردة كل شعور بالتعب والخمول اللذين رافقاها منذ بداية الحمل.

قالت: «إن مارك ليس هنا كما ترى. ربما تريد أن تفتش داخل الخزائن أو تحت السجاد، إذ ربما كان مختبئاً في القبو.»

قال: «وهل عندك قبو؟»

تجمدت نظراتها إزاء هذه الريبة الشديدة التي يبديها هذا الرجل الذي بدا خالياً من أي حس أو تفهم.

قالت: «كلا، وإن كنت أتمنى لو أملك قبواً لأحبسك فيه إلى أن يأتي إليك العفريت.»

قال وعلى شفتيه شبه ابتسامة: «أتظنينني مجنوناً؟ إذن فأنت لم ترَي شيئاً بعد يا آنسة لاوسون.»

فكرت هي، إذن في استطاعته أن يبتسم... ولكن هذا لم يدخل السرور إلى نفسها، إذ أن المكر الذي كان يبدو في الزوايا شفتيه يدخل الهلع إلى نفسها. لم يكن في ابتسامته تلك أي معنى للمرح أو التسلية، وكانت عيناه أكثر بعثاً على الهلع، وقد رأتهما الآن، في الظل، رائعتي الجمال، شديدتي الزرقة إلى حد مدهش. ولكن ملامحه الباردة وفكه القاسي كانت خالية تقريباً، من أية جاذبية. بينما عيناه كانتا، لحيويتهما الرائعة، مغناطيسيتين تقريباً. وبادرها قائلاً: «أين هو؟»

Loto-06
www.liilas.com

بصعوبة، حولت نظراتها عن نظراته الثاقبة وهي تقول: «ولماذا يجب عليّ أن أخبرك؟»

أجاب: «لأنني أسألك.»

كانت تضحك وهي تقول: «أتسمي هذا سؤالاً؟ إنني أدعوه تخويفاً وتعدياً على الخصوصيات.»

قال: «لم أكن أعرف أنه ما زال عندك أية خصوصيات للتعدي عليها، يا آنسة لاوسون.»

قال ذلك متهكماً بوقاحة وهو ما زال يوجه إليها نظراته الثاقبة تلك، وهو يستطرد قائلاً: «إن الطريقة التي تناولتكما بها الصحافة، أنت وعشيقك كريس، جعلتني أشك في أنك تعرفين معنى هذه الكلمة أصلاً.»

تمنت كلوديا لو أن بإمكانها أن تدحض وقاحته، ولكن الحقيقة كانت أن كريس كان سعيداً بالشهرة التي منحتها له مهنة سباق السيارات. وحبهما المتبادل ذاك كان يعني احتضانها لشهرته، يشاركهما في ذلك جمهوره متقبلاً مكانها بجانبه وهي تغمرها الأضواء، إن لم يكن بالحماس المطلوب، فبالتبجيل والاكرام على الأقل.

أثناء الشهور الأولى التي تلت مقتله في اصطدام أثناء السباق، تصاعدت شهرتها، ولكن كلوديا انسحبت ببساطة حيث انزوت عن الأضواء، سعيدة بذلك، ولكنها لن تسمح لهذا المتعصب الضيق العقل بأن يحقر من شأنها مع كريس، لا لشيء الا لأنه صدق ما قرأه في صحف الفضائح تلك.

قالت له: «أشكرك لما مكنتني من الاطلاع عليه من نزعتك الأخلاقي.»

قاطعها بحدة: «بخلاف ذلك، فإن نظرتي إلى الأخلاق هي

نظرة عصرية مرنة. فأنا، مثلاً، لست مع النظرية الرجعية التي تعتبر الولد غير الشرعي مسؤولاً عن وضعه هذا. ولكن، إذا ظننت أن ولدي مارك سيتزوجك، لا لشيء إلا لأنك حامل منه، فهذا شيء آخر.»

بدت في ذهنها الحقيقة لامعة كوريق القصر في عينيه. طبعاً هذا الشعر الأسود والقامة المنتصبة والصوت العميق! هنا فقط ينتهي الشبه. ذلك أن عيني مارك قد تكونان بنيتين ملونتين قليلاً، ولكن وجهه كان أكثر تمثيلاً لجمال الرجولة، وهذا لم يرثه عن والده. ولا عجب أنها لم تدرك امكانية أن يكون هذا هو والد مارك، إذ كان لديها انطباع بأنه أكبر مما بدا يكثير. ولكن هذا الرجل لم يكن يبدو متجاوزاً الأربعين. ولا عجب أن تبدو عليه الصدمة لرؤيتها حاملاً وهي تفتح الباب. لقد تأكدت الآن من أنه اقترف خطأ. ولكن، أثناء غضبه، لم تفكر في أنه وجد في ذلك ما يبعث على التسلية أكثر مما وجد أثناء سوء التفاهم الذي حدث بينهما على عتبة الباب.

قالت بجفاء: «لو أنني ظننت أن ولدك سيتزوج مني لركضت مبتعدة عنه وأنا أصرخ، يا سيد ستون. ألست أنت السيد ستون؟»

أجاب مزمجراً: «لك تعرفين هذا جيداً.»

قالت: «وكيف لي أن أعلم ذلك؟ عندما سألتك، لم تهتم بأن تقدم نفسك قبل أن تقتحم البيت.»

لم يحدثها مارك عن حياته أكثر من أنه كان من (ويلنغتون)، وأن أمه قد توفيت في حداثته تاركة إياه ليعيش في كنف والده الثري المحافظ الذي كانت تنشئته

www.liilas.com

لولده الوحيد ووريثه، صارمة غير واقعية، وقد أدخله (جامعة أوكلاند) لدراسة العلاقات العامة.

كانت آخر مشاجرة بينه وبين والده منذ ستة أشهر أنهى بها جميع العلاقات. وبمواجهتها الآن لوالده شخصياً، شعرت هي بالتعاطف مع مارك الذي كان مثلها، إلى أن يقوم اثباتاً لذاته، بشؤونه بنفسه.

قال مورغان ستون ببرود: «إذا أثبتت فحوص المختبر أن جنينك هو ابن مارك، فإنني، بطبيعة الحال، سآخذك تحت رعايتي، مادياً، طوال مدة الحمل. وإذا أنت أردت تنشئته بنفسك، فسأفتح له اعتماداً في المصرف. وسيكون محامي أعمالي هو الوكيل لذلك، وهو الذي سيدقق في جميع نفقات الطفل فقط واهتماماته، تماماً. ولهذا إياك أن تظني أنك ستعيشين في رفاهية على حسابي. أما إذا لم تشائي إزعاج نفسك بتربية الطفل، فيمكنني تدبّر الأمر.»

سرى الخوف في نفس كلوديا. ووضعت يديها على بطنها المنتفخ تقاوم موجة من الغثيان هاجمتها بعد أن أفزعتها مقولته هذه التي ألقاها بكل ذلك البرود الذي يشير فيه إلى الإجهاض. كانت تدرك أنها ضعيفة الصحة إذ أن طبيبها نصحها بأن تحاول اكتساب بعض الوزن. ولكن عنايتها بذلك كانت فقط، على حساب صحتها، إذ بينما كان صدرها وبطنها ينتفخان، كانت بقية اجزاء جسدها آخذة في الضمور. فقد فقدت ذراعاها وساقاها امتلاءهما. ولم تكن كلوديا لتجنبها عواطف الأمومة وروعتها بقدر ما كانت بحاجة إلى هذا الطفل. لقد كانت بحاجة إليه.

قالت له: «إذا كنت تشير إلى الاجهاض، فقد فات الأوان. إنه طفلي أنا وليس لك أي شأن به.»

قال عابساً: «إن لي كل الشأن به فهو حفيدي. كما أن مبادئي الأخلاقية لا تعترف بشيء كالاجهاض حلاً لمثل هذه المشكلات، خصوصاً بالنسبة إلى امرأة لها مثل تجاربك مع الرجال. ولكنني كنت أقصد أنه، في حالة عدم امكانك إعالة الطفل وتوفير حياة لائقة له، فإنني على استعداد لأن آخذ الطفل وأتولى أمره بنفسي.»

كان يتكلم بينما عيناه الزرقاوان الخاليتان من التفهم، تجولان بين أجزاء جسمها بنظرات عدائية وكأنه يتساءل عما جذب ولده إليها.

الفستان الثوب الذي ترتديه كلوديا بالغ الرقة تبعاً لحرارة الصيف التي تبدو أن تأثيرها على صحتها كانت لا تقل عن تأثير الغثيان الذي ينتابها على الدوام. وهذا الصباح ارتدت، دون اهتمام، أكثر ثيابها تبريداً لجسمها وصودف أنه لم يكن ثوباً خاصاً بالحمل. ونبهتها نظرته الحادة إلى تكوينها الأنثوي الناضج الذي أبرزه ذلك الثوب. لم تكن نظراته تحوي أي انتقاد ولكنها شعرت بوجهها يتوهج خجلاً. إن تقبلها، كأم للتغيرات التي تصيب جسمها، قد بدا لعين الرجل، كرمز للانجذاب تمثله شهوانية الأنثى، كما بدا من نظرة هذا الرجل إليها.

شملت جسمها رعدة. هل هذا الرجل القاسي القوي الرجولة هو جد... كان أول ما فكرت فيه هو الضحك، ثم ما لبثت أن أحست بالكراهية.

خطا نحوها، فشهقت مبتعدة عنه، وكانت تسقط لولا أن

www.liilas.com

استندت، إلى ذراع الكرسي، وانقذتها يداه اللتان تسندانها من وسطها الغليظ ومن ثم حاولت أن تتخلص من يديه القويتين.

قالت متلعثمة: «دعـ... دعني أذهب.»

قال بفظاظة: «ماذا ظننتني سأفعل؟ أضربك؟ إنني لا أضرب النساء، فكيف بامرأة في مثل ظرفك هذا؟ لقد شحب وجهك جداً في لحظة حتى أنني ظننت أنه سيغمى عليك. الأفضل لك أن تجلسي.»

ابتدأت بالاحتجاج، ولكنه دفعها إلى كرسي وظل ممسكاً بها برغم اعتراضها. لم يكن قوياً فقط، بل كان بالغ العناد.

قال: «لقد اعترضت على قتل جنينك بواسطة الاجهاض، ولكنك غير مهتمة بأن تقتليه جوعاً في أحشائك. وأنت شديدة الاهتمام، بالنسبة لقوامك، فلا تأكلين غذاء مناسباً للجنين. كم شهراً لك الآن؟ أربعة؟ خمسة؟ بينما ذراعاك نحيلتان كأغصان الشجر.» وانحنى، إثباتاً لكلامه، يجس بيده أعلى ذراعها لتغطي أصابعه لحمها الناعم.

قالت: «إنني، طبيعياً، دقيقة العظام.»

لقد كرهت أن تخوض مع هذا الرجل عديم الاحساس، في مشكلاتها بالنسبة للحمل. واستطردت: «والآن، هل لك أن ترفع يدك من فضلك إذ لا أرغب في أن أسحق بقبضة رجل هي كالمطرقة. إنك لا تعلم شيئاً عن حملي.» وماتت بجسمها بعيداً عنه. بينما تركها ووقف منتصباً بجانبها وهو يقول: «إنني أعرف أن المرأة التي تحمل وهي في مثل سنك، يجب عليها الاهتمام بتجنب...»

قاطعته: «المرأة التي في مثل سني.» وما دخل سني في

الأمر؟ إنني في الرابعة والعشرين من عمري فقط.» وتمنت وهي تقول ذلك، لو تصفعه. واغتنم هو الفرصة ليقول: «هذا يعني أنك تكبرين مارك بست سنوات.»

قالت: «إنني أعرف جيداً عمر مارك.»

عندما أعلنت كلوديا عن رغبتها في تأجير غرفة إلى تلامذة جامعة، كانت تعني تلميذة أنثى ولكن، عندما جاء إليها شاب في الثامنة عشرة من عمره، قبل ستة أشهر، وهو يخبرها عن رفض أسرته له، عند ذلك، سمحت له بأن يشاركها حياتها. ولم تندم لذلك أبداً. إذ أنه ببشاشته وحيويته وتفاؤله، قد أنقذها من مهاوي خطر العذاب التي كانت مترددة فيها.

تابعت كلامها قائلة: «ولكنني أعجب لمعرفتك بعمره، لأنك لم ترسل إليه بطاقة تهنئة بذكرى ميلاده.»

لقد كان مارك قد أخبرها بأنه لا يتوقع أي تلطف من جانب والده. ولكنها لم تغفل عن سحابة الأسى التي بانت في عينيه وهو يرى مثل هذه المناسبة تمر دون أي اهتمام من والده به. فقال: «لأنه لم يتنازل ويخبرني عن عنوانه في الوقت المناسب، ولا شك أنك لم تلحي عليه بذلك قبل أن تتأكدي من احتوائه في شبكتك...»

قاطعته: «ولا تكن سخيفاً.» ورفعت رأسها تنظر إليه، جاهدة في أن تعدل من جلوسها وقد شعرت بالسرور إذ أن حرارة الجو حملتها على ربط شعرها عالياً بدلاً من أن تدعه مسترسلاً على كتفيها. وكذلك سرت بورم كاحليها الذي اضطرها إلى البقاء حافية القدمين مما أشعرها بالبرودة.

استطردت تقول: «إن مارك فتى ذكي ويشعر بالمسؤولية

www.liilas.com

كما أنه كفوٌ وقوي العزم، في الحقيقة، على فرض إرادته الخاصة. ربما لو كنت أنت أكثر تقبلاً لمشاعره، لما لجأ إلى...»

أكمل جملتها بقوله: «إلى الارتماء بين ذراعيك».

وقبّلت كلوديا ببعض الصعوبة وهي تقول: «هل لك أن تكف عن حملي على قول ما لا تحب، من فضلك؟ وإذا كانت هذه هي طريقتك في تصريف شؤونك الخاصة، فلا عجب إن صادفتك المتاعب.»

أجاب: «وأنت، طبعاً مشهورة بتصريف الشؤون. عندما كان كريستوفر ناش حياً، كان هو حبك الأكبر. ولم يمض حتى الآن سبعة أشهر على وفاته فإذا بك تتعابثين مع غلام بنصف عمره، فتحملين منه مبتزة منه كل قرش تصل إليه يده. آه، نعم إنني أعرف أنه يقوم بوظيفة على فترتين ليتمكن من الابقاء على ولائك الغالي الثمن، وذلك على حساب دراسته. إنه أعمى لا يدرك أن ولاءك إنما هو لأجل اسم أسرته. ولماذا تهتمين إذا هو نال شهادته بدرجة شرف أو لم ينلها مطلقاً. إنه هو شخصياً ما يهمك، وليس مستقبله. ولكن، اعلمي أنه إذا هو تزوجك، فلن ينال قرشاً واحداً من ثروتي.»

كانت كلوديا تستمع إليه صامتة برعب وشعور بالذنب. لقد حسم مارك، بكل عناد، على أن لا يلمس قرشاً من المبلغ الذي اعتمده له والده لأجل معيشته ودراسته، داعياً إياه (بالقيود) وهي تعلم أنه دفع لها أجرة الغرفة ونفقات إقامته من عمله في توزيع (البيتزا) ولكنها لم تكن تعلم شيئاً عن الوظيفة الثانية. لقد كانت تحتج عندما كان يحضر إليها

بعض الهدايا من العطور والأزهار والأشياء الجميلة الأخرى، ولكنه كان يصر عليها بأن تقبلها لأجلهما معاً. وهذا ما جعلها تظن أنه إنما يشتري هذه الأشياء من مبلغ متوفر لديه.

تنفست بعمق. لقد اتسع الموضوع الآن. وقالت: «إن كل ظنونك خاطئة يا سيد ستون. إنني لست واقعة في حب والدك بالطبع و...»

ضحك بخشونة: «إنك لا تخبرينني شيئاً أجهله. ومن المؤسف انني لم أحضر معي آلة تسجيل، وأنا متأكد، عند ذاك، من أن هذا سينير ذهن مارك كثيراً.»

لكنها تابعت بثبات: «كما أنه هو أيضاً ليس واقعاً في حبي.»

قال: «ولكنه يظن نفسه واقعاً بحبك. نعم، إنني أعرف ذلك أيضاً، يا آنسة لاوسون. إن ذلك النوع من الإفتتان يشغله على الدوام. أليس كذلك؟ إن السنين التي امضيتها في مجموعات السباق، قد علمتك جيداً كيف تحشرين نفسك في غير المكان الذي يناسبك. ومن المؤسف أنك شجعت حبيبك على أن ينفق عليك الكثير عندما كان حياً، مما لم يترك لك شيئاً ترثينه من بعد موته. ما أبعد الفرق بين بيتك هذا وبين الفنادق الفاخرة التي اعتدت أنت واصدقاؤك العابثين أن تمضوا فيها أوقاتكم الصاخبة أثناء حفلات السباق.»

شدت كلوديا قبضتيها في عنف تمنع نفسها من أن تصفع وجهه الساخر. كان جسدها بأكمله يرتجف ثائراً. ربما منزلها هذا، لا يمثل لديه شيئاً، ولكنها كافحت كثيراً كي تحصل عليه. لكي تجعل منه ملجأ يحمي طفلها في وسط

www.liilas.com

هذا العالم غير الآمن. فمن أين له الحق في أن يتكلم عنه بمثل هذا الازدراء، ولكنها، أبداً لن تتوسل إليه أن يفهمها. كلا.. يجب أن تدعه يعاني قسماً من العذاب الذي جعلها تعانيه.

قالت تهاجمه: «هل أنت دوماً تصدق ما تقرأه في الصحف يا سيد ستون؟ لم أكن لأظن بك القابلية لأن تخدع بهذا الشكل.» فأجاب: «إن ولدي هو القابل للانخداع. فهو دوماً خائر العزيمة لإزاء مصلحته.»

كان عدم احترامه لإبنه سبباً آخر جعلها تكرهه. فقالت: «أتعني إزاء مصلحته أم مصلحتك أنت؟ أتعلم، يا سيد ستون، أن ما يبعث على السخرية الآن هو أنني لم أكن أصدقه عندما كان يحدثني عنك. لقد كنت أظنه مبالغاً، حتى أنني اقترحت عليه مرة أن يتصل بك لتعود علاقتكما إلى طبيعتها.»

لم يبد في العينين الزرقاوين أي تأثر بهذه المعلومات. وقال: «إنك أنت من اقترح المصالحة بيننا إذن؟ ما أروع هذا وما أكثر ما ستحصلين عليه من الفوائد إذا عاد مارك إلى كنف أسرته وإلى رصيده في المصرف.»

انتابت كلوديا عصبية بالغة. لقد سقط كلامه هذا على رأسها كضرب المطارق. من كان يظن أن سوء تفاهم بسيطاً يمكن أن يتطور إلى مثل هذا الكابوس المريع. أن يبتعد الجدل المعقد عن الحقيقة الواضحة متبعاً كل تلك الأساليب والطرق الملتوية؟ لقد أثار السخط والاضطراب في نفسها بوقوفه أمامها بهذا الشكل معتقداً في نفسه أنه الأقدر والأصح رأياً. بينما هي تتخبط في كلامها معه وليس في

استطاعتها إقناعه بأنها يمكن أن تكون أي شيء إلا أن تتاجر بنفسها، مستغلة للفرص.

اخترق الصمت بقوله: «ربما كان هناك حل آخر يحقق لك نفس الفائدة...»

قاطعته ثائرة: «إذا كنت تعني أن تعطيني نقوداً فيمكنك أن تنسى هذا. وأنا أريدك أن تخرج من منزلي الآن.»

قال بابتسامة لا أثر للسرور فيها: «منزلك؟ لقد ظننت أنه يعود إلى شركة استثمارية تبيعك إياه بالتقسيط. وأن دفع الأقساط يكلفك فوق طاقتك. ولكن، يبدو أن أحوالك ميسورة جداً يا آنسة لاوسون هذه الأيام، وبالتأكيد، لا يسرني عليك أنك زاولت عملاً ما، في الأشهر الأخيرة. أظن أنك فكرت بأن الحمل ليس سوى فرصة ترتاحين فيها من هم تحصيل المعيشة في المستقبل المنظور، مستندة إلى ما تمنحه المؤسسات الاجتماعية للحاملات. وإنني لأعجب ما هو رأي تلك المؤسسات في وضعك إذ تعاشرين رجلاً بصورة غير شرعية بينما هو يمدك بالمال والهدايا؟»

وقفت كلوديا نفسها ثائرة وقد توهجت عيناها بالغضب، وهي تقول: «إنني لست مخادعة.»

إنه يتهمها بذلك، وكأنه لا يكفيها ما أحست به من عار عندما منعت من العمل نظراً لصعوبة الحمل عندها، وقد صعب عليها تقبل الاحسان، كما كانت تسميه، من المؤسسات الاجتماعية. والآن، يأتي هذا الرجل ليذيقها الإذلال بهذه التهمة.

قالت: «إن إدارة المؤسسة الاجتماعية تعرف كل شيء عن

www.liilas.com

مارك. لهذا، إياك أن تظن لك من الممكن أن تساومني في ما لو فشلت رشوتك لي.»

(أسرع بالتقاط زلة لسانها قائلاً: «تقولين (في ما؟) إذن فأنت مستعدة لتقبل الرشوة في ما لو أعجبك المبلغ.» وأدلى برقم مبلغ أوقف منها الأنفاس. ولسوء الحظ، انفجرت البقية الباقية من ضبط النفس عندها.

لقد ترك تتابع الأحداث في ذهنها المعذب تأثيره. فابتدأت تنهال عليه بشتائم كان يحمر وجهها عندما كانت تسمعها من فم كريس في طريق السباق عندما كان ينهزم أمام منافسه، ثم تدفع جسمه الذي لم يكن ليتزحزح، وتنهال ضرباً على صدره، ليمسك هو بمعرفتها يحاول تهدئتها، فتتركه هاربة من وجهه لتنزلق ساقطة على جنبها...

استلقت على السجادة وقد أصابها الدوار بينما ركع هو بجانبها. لقد أبدى ذلك الإنسان ذو الوجه المتحجر الطافح بالحقد، أولى لمحات الاحساس، وبدت في تلك العينين الزرقاوين الباردتين شبه صدمة ويده تحوم، مترددة، حولها.

سألها: «هل أنت بخير؟»

قالت بكلمات مضغوطة: «لا تلمسني.»

إنها ستصرخ حتماً في ما لو لمسها. كان الخوف الذي استقر في أعماق نفسها، منذ وفاة كريس المفجعة قد تحول إلى رعب لا يختلف عن هذه المقابلة المحتومة. وكانت، منذ ابتدأ القيء عندها في أول شهور حملها، لا تنفك تفكر في هذه اللحظة، متمنية ألا تأتي أبداً. إنها اللحظة التي يتوجب عليها فيها أن تدفع ثمن أخطاء ماضيها. وأخذت تنوح

باكية.. كلا، ليس بهذه الطريقة.. ليس بهذه الطريقة يا الله...

سمعته يقول متردداً: «كلوديا.. آنسة لاوسن.. هل أصبت بضرر؟»

شعرت بألم ينتشر في أنحاء جسمها وهي تقول: «إذهب.. ابتعد عني. دعني وحدي.» وخرجت الكلمات من فمها مهشمة وهي تغمض عينيها وتحول وجهها عنه.. وعن قسوة العالم كله.

قال: «لا يمكنني ذلك. لا يمكنني أن أذهب إذا كان ثمة ضرر قد أصابك. هل أصبت هنا؟ هل أصيب الجنين؟» ووضع يده على بطنها بخفة مما جعلها تتشنج من ألم كان نفسياً أكثر منه جسدياً. وتنهدت، وسمعته يشتم من بين أسنانه المطبقة. وشعرت بطرف ثوبها يرفع بخفة، ففتحت عينيها وهي تطلق احتجاجاً خافتاً سرعان ما ذوى على شفتيها الجافتين حين أعاد الثوب يغطي به ركبتيها، وانحنى يبعد عن جبينها المبتل بالعرق، خصلة من شعرها، وهو يتمتم مطمئناً: «لا يوجد ثمة دماء. لا تبكي. إنك لست وحدك، وسأهتم بك. من هو طبيبك؟»

فكرت، يا إلهي.. إنه عنيد في رقته، كما هو عنيد في هيامه وغضبه. ودار رأسها كما اشتدت الآلام في عظامها، وعند ذلك تلاشى كل أمل عندها.

قالت من بين أسنانها المطبقة: «أشعر بأنني سأتقيأ.» وما لبثت أن أخذت تتقيأ بشكل محزن. وبعد ذلك، رفعها برقة فائقة ليمددها على أريكة ثم جلس بجانبها يربت على جسمها المرتعش بعد أن اتصل بالاسعاف بواسطة «سيلفون» موضوع في جيبه. بعدئذ، مسح وجهها بمنشفة

www.liilas.com

مبللة بالماء وهو يتحدث إليها برقة ولطف دون أن يهتم بما بدا من عدم استماعها إليه. كانت عيناها زائغتين وكيانها كله تشعر به يحترق في داخلها مستعداً لنوبة الألم القادمة. عندما جاءت عبارة الاسعاف، ونقلت إليها، صعد هو معها ليجلس بجانبها. وبدافع غريزي، تعلقت هي بيده ولم تتركها إلا عندما أقنعه الممرضون بأن يدعها يمضي في غرفة الفحص وذلك تبعاً لقوانين المستشفى.

مر بقية النهار وقسم من الليل، يتناوب في جسدها وعقلها الرعب والألم، حتى أنها، بعد ذلك، عندما استيقظت ظنت أن كل ما مرّ بها لم يكن سوى كابوس.

لكن، عندما تأكدت من وجودها في الغرفة البيضاء المبردة، واكتشفت الفراغ المنهك داخلها، أدركت أن كل ذلك إنما كان حقيقة... حقيقة مؤكدة. وأغمضت عينيها، وعندما فتحتهما مرة أخرى كان الطبيب يقف بجانبها. ولم يكن هو نفسه الطبيب الشاب الذي استقبلها، وإنما كان طبيباً استشارياً في أمراض النساء من عيادة مستشفى الولادة والذي كانت مريضته الخاصة.

ابتدأت تستمع، بمشاعر متبلدة، إلى تعزيته الرقيقة بمصابها. وبقيت عيناها جامدتين وهو يخبرها بأن طفلها كان ذكراً فقط، عندما جلس على الكرسي بجانبها، وابتدأ يحقق معها عن نشاطها في الأيام الأخيرة الماضية، عندما فقط، أظهرت شيئاً من المشاعر.

سألها: «هل لاحظت، يا كلوديا، في المدة الأخيرة، أن حركة الجنين كانت نشطة؟»

نظرت إلى أصابعها وهي تحرك ملاءة السرير التي

كانت تغطي صدرها، وسألت: «هل كان طبيعياً؟ أعني...»

أجاب: «معاق؟ كلا يا كلوديا. ولكن، عندما أحضروك، لم تكن دقات قلبه مسموعة. ولهذا، كانت العملية القيصرية ضرورية.» وتوقف لحظة، ثم تابع يقول برقة أكثر: «لا أظن أنك شعرت به يتحرك منذ مدة، أليس كذلك؟ يا كلوديا؟»

تدفقت دموعها العاصية لتحرق وجنتيها وهي تقول: «لم يكن قط جنيناً نشطاً أثناء النهار... فقط اعتاد أن يرفس أثناء الليل.»

عاد يسأل: «وفي الليالي الأخيرة الماضية؟»

أجابت: «لقد... لقد كنت متعبة جداً. وفي المدة الأخيرة، كان نومي ثقيلاً. لا أدري... لا بد أنني... عندما وقعت... لا بد أن...»

أمسك بيدها المضطربة قائلاً: «لم تكن هي السقطة التي أحدثت هذا يا عزيزتي. وأظنك تعلمين ذلك في أعماقك. لم يكن لك ذنب في ذلك أبداً. إن كل ما فعلته السقطة هو أنها حركت المخاض. ولكن، كل الاختبارات أثبتت أن جنينك قد مات منذ عدة أيام...»

«كلا!» وتقبضت يدها لتضعها على بطنها الخاوية وهي تنهار الرعب الخفي الذي كان يتسلل إلى أحلامها، وعاودت تكرار: «كلا... وإلا للاحظت أن ثمة شيئاً ليس على ما يرام... فأقوم بعمل ما حينذاك.»

قال الطبيب: «لا أظن أن أحداً كان يمكنه أن يعمل شيئاً يا كلوديا. إن مثل هذه الأمور تحصل في بعض الأحيان.»

صرخت والدموع تنهمر من عينيها: «أية أمور؟ لقد سبق

www.liilas.com

وقلت إن حالة الجنين كانت حسنة تماماً. يجب أن يكون السبب مني إذن. ما هو الخطأ الذي اقترفته؟»

قال يطمئنها بصبر: «إنك لم تقترفي خطأ ما يا عزيزتي. وأنا أوافقك على أن الجنين كان يبدو جسدياً، بحالة جيدة، ولكننا لا نعرف البقية. لقد أنذرتك، منذ البداية، بأنه كان هناك بعض الاتجاهات غير المريحة في الحمل قد تؤدي إلى عدم بلوغه حده الطبيعي...»

همست بضعف: «ولكنني قمت بكل ما طلبته مني.»

قال: «إنني أعلم ذلك. أعلم أنك قمت في سبيل طفلك بكل ما تستطيعينه، يا كلوديا، ولكن يبدو في بعض الأحيان أن هذا لا يكفي. ربما في ما بعد، عندما تزداد معرفتي بذلك يمكنني أن أزيدك ايضاحاً عن الأسباب.»

أسرعت كلوديا في نفي المعنى المخيف الذي تتضمنه هذه الكلمات، من تفكيرها، بينما تابع الطبيب قوله: «يجب أن تتالي أكبر قسط من الراحة تستطيعينه. ذلك أن فقدان الجنين في المرحلة الأخيرة من الحمل، هو أكثر خطورة من فقدانه في الشهور الأولى منه. وأنا أعلم أنك ربما لا تحبين أن تسمعي مثل هذا الكلام الآن، ولكن، يحسن بك أن تعلمي أن طبيب قسم الحوادث الذي استقبلك قال إنه لم يكن لديك أية علامات جسدية مزمنة تحمل على الظن بأن ثمة تعقيدات قد ترافق حملك في المستقبل، وبالتأكيد، حملك التالي سيكون طبيعياً والطفل سيأتي صحيح الجسم، وليس من الضروري أن تكوني، عند ذاك، بحاجة إلى عملية قيصرية.»

قالت كلوديا وهي لا تستطيع التصور بأنها ستتعرض إلى مثل ما تعرضت له من ألم لفقدان الطفل، مرة أخرى: «الحمل

التالي، إنك تعلم أنها كانت غلطة إذ لم أكن أريد هذا الحمل. فقد كان صدمة لي. إنني... هل تظن؟»

قال بثبات: «كلا، لا أظن وكذلك يجب أن لا تظني أنت مهما كان شعورك في البداية. فقد كافحت طويلاً للمحافظة على هذا الطفل يا كلوديا. والآن، عليك أن تكافحي للقبول بما حدث ومن ثم تتابعي طريقك. والآن، هل أخبر صديقك بأنه يستطيع الدخول لرؤيتك لعدة دقائق؟ لقد اخبرتني الممرضات أنه أمضى الليلة هنا يزعجهن بجلوسه في غرفة الانتظار...»

صديق، وتساءلت من عساه يكون؟ إن مارك ليس في الداخل وليس لها غيره سوى والديها الموجودين في اسبانيا. وهؤلاء هم كل من سجلت اسماءهم في الأوراق التي ملأتها ساعة قدومها إلى عيادة المستشفى.

استطرد الطبيب قائلاً: «لقد قالت الممرضة إن ذلك الصديق هو السيد ستون، ذلك الرجل العنيد كالصخرة حسب تعبير الممرضة وهي تقول إنه لم يكتف بما أخبرته به عن النتيجة بالنسبة إلى كلوديا، ولكنه أصر على أن يحدث الطبيب بنفسه، ولكن طبيب الاسعاف قد امضى طيلة الليلة في الخارج، وقد استدعيت أنا أكثر من مرة. ولكن، إذا شئت، يمكنني أن أخبره بما حدث...»

صرخت بصوت مملوء هلعاً: «كلا!» وفجأة، أدركت مصدر كل آلامها وهياجها. كم كرهته. كرهته لوجوده هناك عندما لفظ جسدها طفلها. وقالت: «كلا، لا أريد منك أن تخبره شيئاً. إنه ليس بصديق. إنني لا أعرفه جيداً. إنني لا أريد منه أن يعرف شيئاً عني.»

www.liilas.com

أمعن الطبيب النظر إليها متأملاً ثم قال: «لقد سبق وعلم أننا أجرينا لك عملية قيصرية، وأن الطفل ولد ميتاً، حيث أنه كان بصحبتك عند حضورك. ألا تظنين أن...»

قاطعته: «كلا، لا أظن.» وازداد صوتها توتراً وحدة: «عدني بأن لا تخبره. كان عليك أن تستأذني مني قبل أن تخبره أي شيء عن حالتي. أليس كذلك؟ إنني لا أسمح لك بذلك. إنني لا أريده هنا. قل له أن يبتعد ويرحل.»

لم يكن أمام الطبيب سوى القبول. وبعد أن ألقى نظرة على مكان العملية في جسدها، تركها وخرج. ورقدت كلوديا متجمعة على جانبها، شاعرة بالألم في جوفها الخالي، بينما الدموع تسيل ببطء من بين أجفانها المطبقة. لقد كان من القسوة البالغة أن تخسر طفلها، بعد الشهور الماضية المليئة بالبهجة التي أمضتها مذ علمت بنفسها انها كانت حاملاً.

«كلوديا؟»

فتحت عينيها لترى مورغان ستون منحنياً عليها.

صدمت، حتى في حالتها المضطربة هذه، للتغيير الذي أصابه. فقد ظهر الهزال والتجاعيد على وجهه، كما بدأ شعره منبوشاً وعيناه مصمرتي الأجفان يبدو فيهما الإرهاق البالغ، كما أن بدلته الأنيقة أصبحت في غاية التجعد. وانتابها سرور خبيث لمظاهر اليأس الذي عاناه من طول الانتظار. وفكرت في أنه هو الذي يجب أن يشعر باليأس والتصلب من البرد في المستشفى وليس طفلها الغالي البريء...

قالت وهي تمسح دموعها بيدها بغضب: «ما الذي تفعله هنا؟»

كان عليها أن تدرك أن في استطاعته أن يتجاهل ما أبلغه إياه الطبيب من عدم رغبتها في رؤيته وشعرت بالمرارة وهي تفكر في أن كل ما يفكر مورغان ستون فيه، هو رغباته هو.

قال: «كان علي أن أراك وأطمئن عليك. وأسألك إن كنت بحاجة لشيء أو أنه يمكنني أن أحضر لك شيئاً.» وكانت تحيط بفمه خطوط عميقة شاحبة من التوتر.

قالت: «نعم. هناك شيء واحد أريده. أريد أن يعود إلي طفلي صحيحاً معافى.» قالت ذلك بلهجة ملؤها الجفاء والإزدراء. وهي تحاول التحرك في سريرها فيمنعها الألم، وتابعت: «هل يمكنك أن تقوم بذلك لأجلي، يا سيد ستون؟ أم أنك ستقول إن ثمة أشياء لا يمكنك شراؤها بالمال؟ مثل الحب؟»

غطت وجهه الجامد سحابة داكنة.. وفكرت هي بحقد، أنها سمة العار يسترها خلف مظهر الإعتزاز والكرامة. ولم تطرف عيناه وهما تلتقيان عينيها المتهمتين. كان الحنان والعطف اللذان ينبعثان منهما دافعاً لها إلى التراجع لتسقط في غمرة من المشاعر المختلفة المضطربة. ففي مثل حالتها المضطربة الهشة هذه، كان تأثير حنانه أصعب احتمالاً بالنسبة إليها، من إزدرائه وعدم اكتراثه.

قال بهدوء: «كلا. لا يمكنني ذلك.»

قالت: «إذن، لماذا أنت هنا؟ لقد مات طفلي ويتملكني شعور كما لو كنت مزقت بسكين حادة. هل هذا ما تنتظر سماعه مني؟ أهذا هو عقابي منك لأنني تجرأت حتى على

www.liilas.com

التفكير بالتواجد على نفس الكوكب الأرضي الموجود عليه ابنك، فكيف بإنشاء علاقة معه؟»

كان الظل الخفيف الذي يكسو أسفل وجهه قد استحال الآن، بعد ليلة طويلة إلى بروز خفيف للحيته اختلط فيها البياض مع السواد. واستطاعت هي أن ترى، من خلالها، توتر العضلات حول فمه، وهو يتجرع مرارة كراهيتها له. وبدت عيناه المتعبتان قاتمتي الزرقة مما احتوتاه من العذاب الذي رفضت الاهتمام به وهو يقول: «يا إلهي، كلا يا كلوديا. لقد كان الحادث مجرد مصادفة. لا يمكن لك أبداً أن تفكري بأن ما حدث لك كان مقصوداً مني...» فقاطعته بمرارة: «لا يمكنني ذلك؛ ولكن ألا يحل هذا الحدث مشكلاتك؟ شخص مزعج، مثلاً، ترتاح الأسرة منه، أو طفيلي يبعد عن ثروة الأسرة... أما إذا كان مارك سيشكرك لقتلك حفيدك الوحيد لكي لا يتزوج مني، فهذا شيء آخر.»

بانت الصدمة في عينيه، وساورتها، لذلك، لمحة من احساس بالذنب.. ولكنها عادت فعللت الأمر بأنه يستحق هذه التهمة. لقد سبق وعيّرها هو بتقلبها بين الرجال، بينما كانت، هي، في الحقيقة، شديدة الإخلاص لكريس، حتى في الأوقات التي لم تكن متأكدة من إخلاصه لها. وفي الواقع، لو أنه لم يقتل، لكانا الآن قد تزوجا في احتفال رائع كما كان يخطط كريس في الفترة الأخيرة قبل موته. والآن، لقد أصبح كريس في عالم لا يعرف الآلام، محروماً إلى الأبد من الأبوة التي كان يتطلع إليها بشوق، قبل وفاته بأسابيع.

سألها مورغان ستون بصوت تجلى فيه نفس الخواء الذي تشعر هي به: «هل هذا ما ستقولينه لمارك؟»

قالت ببرود: «إنها الحقيقة. أليس كذلك؟ لقد دفعتني، فسقطت، فقتل الجنين. لقد قتلت أنت طفلي.»

كانت بحاجة ماسة إلى أن تلوم إنساناً ما، أي إنسان عداها هي.

قال بيأس: «كلوديا، أرجوك...»

قاطعته بوحشية: «لا تهتم بذلك. ليس من الضروري أن تتوسل.. إنني لن أخبره. وإذا كان لديك أي شعور باق نحو ولدك، فإنك لن تخبره أنت أيضاً. أتظن أنني أحب أن أؤذيه بهذا الشكل؟ أتظن أنني أحب له أن يعيش حياته مثقل الضمير بالشعور بأن والده فعل هذا بي نتيجة صداقته هو لي؟»

إنها لم تكن تريد الألم لمارك. ذلك أن الشخص الوحيد الذي كان يجب أن يتألم هو هذا الرجل الذي قتلت عجرفته وازدراؤه طفلها.

«كلوديا... إنني..» وتوقف عن الكلام وهو يشير بيديه بحركة العاجز عن التعبير. لقد بدا ضائعاً بعد كل ذلك العنفوان وتلك الحدة... وفجأة انتابها شعور جارف برفض ما بيديه نحوها من عطف وألم. إنها ترفض أن يشاركها الشعور آخر ما تشعر به كام، نحو فقدان طفلها، خاصة هذا الشخص بالذات. كلا أبداً، إن من غير الممكن أن تشاركه أي شيء، أو أن تدع نفسها تحس بأي نوع من مشاعره نفسها. يجب أن تحمله على الابتعاد عنها، الآن بالذات، وذلك قبل أن يأتيها الضعف أكثر من ذلك.

ابتدأت تقول في صوت واهن ما لبث أن تدفقت فيه الحيوية: «هيا، أخرج. إنني لا أطيق رؤيتك في نفس الغرفة التي أنا فيها. وليس عليك أن تهتم بي أو بمارك. فنحن لا

www.liilas.com

نعتزم الزواج، ولم يكن هذا وارداً بيننا بأية حال. لقد كنت
سأقول لك ذلك منذ البداية، لو لم تندفع إلى داخل المنزل
وتبدأ بنثر شتائمك حولك. وكنت سأخبرك أيضاً بأنه في
رحلة لمدة أسبوع مع بعض الأصدقاء ولن يعود قبل يوم
الأحد القادم.»

برزت من مورغان ستون حركة متوترة. ولكي لا تدع
يستمتع بأي شعور بالارتياح أو بالفوز سددت إليه طعنة
أخرى لآخر مرة بقولها: «لهذا، أظن أن مما قد يساعد على
نسيان خسارة حفيدك، ربما، يوماً ما، سأشعر بالسرور إذا
لم أحضر لهذا العالم ولداً آخر من سلالتك. أما الآن فإنني
أشعر بعدم الاهتمام لرؤيتك أو لرؤية ولدك مرة أخرى.»

الفصل الثاني

تكدرت كلوديا في عيني نجمة «الروايات» اللامعتين، وحاولت أن تكتب عليها، يدفعها إلى ذلك عاطفة إنسانية مخلصة، وذلك بقولها: «إنني واثقة من أن لا شيء هناك. لا بد أن الخادمة قد أساءت فهم إشارة بريئة من زوجك. لقد شعرت بالأسى، فهي تعرف أنها في مكان لا ينبغي لها أن تكون فيه. وهكذا انطلقت بالحديث عن أول شيء خطر لها، محاولة بذلك جذب الاهتمام...»

قالت النجمة: «حسناً، إنها تفوهت بكلام في غاية البشاعة، وإن فتاة حمقاء كهذه يجب أن لا تعمل في الفنادق. وإذا أنت لم تطردها، فإنني سأكلم المدير بشأنها، وهو لن يتجاهل كلامي إطلاقاً.»

قالت كلوديا برقة: «إننا سننهي عمل الفتاة هنا بطبيعة الحال.» كانت كلوديا تكتب بهدوء، وهي تحاول أن لا تدع الاشمئزاز يبدو عليها من جراء ما تسمع من كلام فج. كانت هذه لا تكاد تقارن بأولى ثورات هذه النجمة التي كانت خليطاً من الدموع والهياج. وقد شكت كلوديا في أن خليطاً من الخمول والإرهاق هو المسبب لهذه الثورة. لقد كانت النجمة «إليزا ميتشيل» في نهاية رحلتها حول العالم التي بدأتها من موطنها انكلترا وكان من الواضح أن الضغط عليها كان شديداً. ولهذا شعرت كلوديا بالتعاطف مع مشاعر الضيفة المشهورة التي أهينت غدراً، ولكنها، سراً، اعتبرت

www.liilas.com
Foto-06

أن ذلك أصاب الشخص غير المقصود، ولم يكن في نيتها أن تدع ما يبدو أنه خلاف زوجي، أن يؤثر على وظيفة عاملة مجتهدة من مستخدمي الفندق. لقد استغرق تهدئة الأحوال عشرين دقيقة أخرى، وكانت كلوديا، في هذه الأثناء، بمفردها في ممر الطابق الخامس عشر وقد ابتدأت تشعر بالخوف. وابتسم رجل أمن الفندق، خارج نطاق رؤيتها، وكان قد تسلّم دوره حديثاً عندما تصاعد الصراخ ودعيت إلى مكتب ضابط أثناء دفاعها عن الخادمة المنكودة الحظ. وقال لها: «هل تحاولين تسوية الخلاف، يا آنسة لاوسون؟»

تنهدت كلوديا قائلة: «هل يمكنك الاتصال بالمكتب لإرسال خادمة ذات خبرة؟ ويفضل أن تكون في منتصف العمر وذلك لاستبدال الآنية والكراسي في الشقة؟ ولكن انتظر إلى أن تخرج السيدة ميتشيل وزوجها. فهي ستحضر مؤتمراً صحافياً خلال خمس وأربعين دقيقة.»

قال: «سأفعل ذلك. أتعلمين يا آنسة لاوسون أنك يجب أن تعملي في السلك الدبلوماسي؟»

ابتسمت قائلة: «ولكنني لا أعرف لغة أجنبية. وأظن أن إليزا ميتشيل علمتني عدة كلمات لم أكن أعرفها من قبل.» وأومأت إلى اثنين آخرين من رجال الأمن كانا في مصعد زجاجي، ومن ثم تنهدت بارتياح وهي تنزل إلى الطابق الأرضي.

لم تكن تحب الكذب حتى ولو كان اللجوء إلى ذلك، كما حدث الآن، أمراً يستوجب ذلك كما ظهر لها بوضوح للتخفيف من ثورة إليزا ميتشيل المتوترة. لقد أدركت المرأة الحقيقة، ولكنها لم تشأ أن تعترف بذلك لنفسها أو لأي

إنسان آخر. وهكذا، وضعت كلوديا أمامها الفرصة لتتجنب مواجهتها. وحيث أن عملها هو في العلاقات العامة، في منطقة (بارون هاربور)، كان عليها غالباً تسوية الأوضاع المشابهة حفاظاً على سمعة الفندق. ولكن كذبة هذا النهار كانت أكثر الأمور التي كان عليها أن تكتمها إليها سوءاً.

ظهر الضيق في عينيها وهي تتطلع بذهن شارد، من خلال زجاج المصعد، إلى المنظر الشامل لمرفأ «ويلنغتون» حيث كان أسطول من القوارب ينقل أفواجاً من البحارة جاؤا يحتفلون بالعيد المئوي للأسطول.

لا، إنها لم تكن أكبر كذبة، ما قالتها منذ فترة... الكذبة الكبرى هي تلك التي قذفت بها مورغان ستون في ذلك المستشفى منذ سنتين. كانت كذبة سرعان ما ندمت عليها ولكنها لم تعترف بها قط. لقد فضلت أن تتجاهلهما، وكأنهما، هو والكذبة، لم يتواجدا قط ذات يوم. ولكن، حتى هذا التجاهل كان كذباً. وهناك في زاوية عميقة مظلمة من عقلها، كانت تعلم أنها إنما اقترفت خطيئة ضد رجل بريء. لقد حكمت عليه بأن يحمل ضميره تبعة موت طفلها، وبهذا قضت على نفسها بهذه الذكرى الدائمة التي تثقل ضميرها.

وقف المصعد، لتغادره كلوديا وكعباً حذائها يقرعان الأرض الرخامية الصقيلة، وذلك أثناء توجهها إلى مكتب الاستعلامات.

«كلوديا، كلوديا.» وأوقفتها يد رجل قوية أمسكتها من ذراعها. واستدارت لتنظر بجمود إلى الرجل الذي اقترب منها وهو يبتسم بإلفة وهو يقول: «إنني أعرف أنه مضى علينا وقت طويل ولكن ليس إلى الحد الذي تنسينني فيه

www.liilas.com

بالتأكيد.. إنه أنا، مارك ستون. هل تذكرين؟ لقد كنا نعيش معاً.»

لكنها لم يبد عليها أية ردة فعل لهذه المزحة، تنهد هو قائلاً: «حسناً، إنني لم أقصد أن أعيد إليك ذكريات منسية مضت، ولكنني فقط أردت أن أعبّر عن سعادتي برؤيتك مرة أخرى.»

لقد بلغ من فزع كلوديا إزاء الشبح الذي استدعته بتأملاتها، أن بقيت لحظات لتعتاد على فكرة أنها كانت تواجه حقيقة واقعة وليس خيالاً بدا أمامها من أعماق ضميرها المثقل بالذنب.

قالت أخيراً بصوت أجش حاملة نفسها على الابتسام وهي ترفع أنظارها إلى وجهه الذي كان وسيماً إلى درجة لا تصدق. لقد مضت سنتان تقريباً على رؤيتها له لآخر مرة: «إنني آسفة، لقد كنت شاردة الذهن... ماذا تفعل هنا؟» وفجأة، خفق قلبها هلعاً وهي تجيل النظر حولها في باحة الفندق.

قال: «عندي موعد يتعلق بالعمل مع شخص يقيم هنا. ماذا تفعلين؟» وهبط بأنظاره إلى ملابسها حيث فطن إلى شعار الفندق على صدرها. وتابع قائلاً: «هل تعملين هنا في الفندق؟»

بدت ابتسامتها طبيعية، فقد مدأت خفقات قلبها لتوها ما. لقد كان بمفرده. وقالت: «إنني مسؤولة عن العلاقات العامة في الفندق.»

قال: «هذا رائع، إنك إذن، تسكنين في ويلنغتون؟ لماذا لم تحاولي رؤيتي؟ لقد طلبت منك ذلك في ما لو جئت إلى هذه المدينة؟»

قالت: «لم يمض عليّ هنا سوى شهرين.» كانت كلوديا تراوغ في جوابها، إذ لم يكن في استطاعتها أن تخبره أنها حاولت أن ترفض نقلها من المكان الذي كانت تعمل فيه، وهو «بارون لياه» في «أوكلاند» فقط لكي تتجنب مثل هذا اللقاء معه.

لقد رفض طلبها بعدم الانتقال، على كل حال، وقد حاولت أن تقنع نفسها بأن حذرها ذاك لم يكن له سبب. فقد كانت عاصمة نيوزيلاندة هذه، مدينة واسعة من الصعب أن تصادف فيها مورغان ستون أو ولده مارك.

تابع مارك: «إنك لم تجيبيني على أي من رسائلي إليك. ولقد أربكني القلق عليك. وذلك عندما غضبت مني لأنني لم كنك فجأة حالما علمت أنك.. أنك فقدت الطفل.»

تمتمت: «كلا بالطبع. لقد كنت متفهمة للأمر.» وغاص قلبها بين أضلعها لتلميحه بإهمالها بالنسبة للجنين. لقد كان آخر شيء تفكر فيه، هو إثقال ضميرها بإثم آخر.

لسوء الحظ، فقد فهمت كل شيء، جيداً. فهمت السبب في تصميم مورغان ستون المفاجيء على مصالحة ولده بناء على إمكانية المشاركة في العمل فيما لو عاد مارك إلى ويلنغتون. وكان انفصال مارك عنها بعد ثلاثة أسابيع من فقدانها الطفل، بعد أن أخبرها، بكل أنه كان قد قام بزيارة لجدته الحزينين، أثناء إجازته، وقد أخبراه أن والده ربما كان يريد المصالحة معه.

قالت: «لقد مضت الأيام، بعد أن ذهبت، عادية فابتدأت بدراسة أعمال الفنادق، مصممة على بيع المنزل وقد ابتعدت كلياً عن كتابة الرسائل.»

www.liilas.com

قالت هذا محاولة تجنب الجواب المباشر لسؤاله البريء. لقد فوجئت في البداية بسروره العفوي برؤيتها، ولكن يمكنها الآن أن ترتاح قليلاً. وأدركها الإرتياح إذ أدركت أنه لا يعلم شيئاً. إنها لم تخبره قط عن زيارة أبيه لمنزلها في ذلك اليوم، أو عن ظروف إسقاطها لجنينها، كما يبدو أن مورغان ستون التزم الصمت هو أيضاً بالنسبة للموضوع.

قال مارك: «حسناً. إنك تبدين رائعة الآن، هائلة حقاً.»

كان مارك الذي ما زال في حماس الشباب هو هو الذي تعرفه. وبرغمها، أدخل إطراؤه هذا الدفء إلى قلبها. هذا إلى أنها لا تبدو الآن، بمظهر أسوأ مما كانت تبدو عليه عندما التقى بها لأول مرة. إنها تعرف أنها أصبحت تختلف عن تلك المخلوقة الشاحبة الكون. لقد كان لونا بزتها، الكحلي والكريم، وهي البزة التي ترتديها المستخدمات في الفندق، يناسبان لون بشرتها وقوامها ذي الوركين النحيفين والساقين الطويلتين. وقد جعلها غذاء الفندق الصحي الدسم أكثر قوة منها في أي وقت مضى من حياتها. وقالت له وهي تنظر إلى بدلته الأنيقة التي زادت من جماله الإغريقي: «إنك أنت أيضاً تبدو حسن المظهر. رجل مجتمع حقيقي.»

نظر إليها وهو يقول ممازحاً: «لا بد أنك تخلطين بيني وبين والدي. إنه هو رجل المجتمع الحقيقي. أما أنا فلا شيء يذكر بالنسبة إليه.»

كان لذكره العفوي هذا لوالده، تأثير بالغ على أعصاب كلوديا وكذلك خيط الكبرياء الذي تخلل مزاح مارك. هل هذا

هو نفس ذلك الفتى الذي عرفت، والذي كان يثور في وجه والده لصراحته ومعالجته الأمور بشدة وصلابة، ويزدري فيه برودة؟

قال: «ما رأيك في مكان نجتمع فيه لتبادل الحديث عن أيامنا الماضية؟»

أيامنا الماضية؟ وأجفلت كلوديا في داخلها، فنظرت في ساعتها وبحركة آلية، اتخذت شخصية الموظفة الرسمية. لتقول: «حسناً. إنني في الحقيقة، مشغولة يا مارك. فإن عندي ثلاثة اجتماعات عليّ أن أشترك فيها بنفسي، ثم عليّ مراقبة بعض الضيوف في جولة وبعد ذلك عليّ حضور حفلة كوكتيل.»

دهشت وهي تشعر بالإرتياح إذ وجدت أن مارك تقبل اعتذارها دون مناقشة وقد بدت في عينيه نظرة ماكرة وهو يهز كتفيه قائلاً: «لا بأس، فلندع ذلك لوقت آخر. كان جميلاً أن أراك. إلى اللقاء.»

دهشت للسهولة التي استطاعت فيها التخلص منه مما قد يتحول إلى مواجهة مؤلمة. ونظرت إليه وهو يبتعد دون أن تصدق أن الأمر قد مرّ بهذه السهولة. ولكن الأمر لم يكن كذلك.

إذ أنه، بعد ستة ساعات كانت كلوديا تتناول شطيرة كاسا مع رجل أشقر طويل القامة عندما شعرت بشخص بجانبها، فالتفتت، وما زالت بقية من الضحك تتألق في عينيها.

قال مارك مسروراً لمفاجأته لها: «لقد قلت لك إننا سنتقابل ثانية.»

www.liilas.com

قالت مازحة وهي تقدم الواحد منهما إلى الآخر: «السيد سايمون مور المدير العام.» ثم قدمت مارك إلى المدير مختصرة بقولها إنه طالب كان يقيم في منزلها.

رفع مارك يديه قائلاً: «إنني نظامي جداً. فقد ذكرت بطاقات دعوتك أن كل ضيف منفرد يمكن أن يحضر معه صديقاً، وها أنذا أحضرت معي صديقاً هو توني.» وأشار إلى مرافقه المتوسط السن الذي كان واقفاً يتحدث باهتمام بالغ إلى امرأة دون مرافق، حيث أن مرافقها الذي كان معها، كان في اجتماع.

قال مارك: «لا تقلقي، فهو نظامي كذلك.» قال لها ذلك بمكر وهو يرى نظراتها تتجه إلى اليد اليسرى لذلك الرجل وهو يمسح زجاجتي نظارته. واستطرد مارك: «إنه مطلق، وهو يفتش عن سيدة ليختطفها. فإذا شئت فإنني مستعد لأن أعرفكما على بعضكما البعض.»

قال السيد سايمون بابتسامته العفوية: «يمكنك أن تنسى هذا، فإن كلوديا مثلي متزوجة من عملها في الفندق، وهذا يجعلني مسروراً جداً. فهي موظفة بالغة الرقة والحساسية. إنها دوماً مليئة بالأفكار والاقتراحات وقد قامت بأعمال رائعة بالنسبة للفندق، وذلك في الفترة القصيرة التي أمضتها هنا.»

تمتمت كلوديا برقة: «ما هذا؟! شكراً يا سايمون.»

قال سايمون: «حسناً، أظن انه من الأفضل أن أقوم بشيء من التجوال بين الضيوف.» وربت على كتف كلوديا وهو يقول لمارك: «لقد سررت بمقابلتك يا سيد ستون. وأرجو أن تستمتع بزيارتك للفندق.»

تمتم مارك بينما الرجل يبتعد: «إنني متأكد من ذلك. هل ثمة شيء بينكما يا كلوديا؟»

قالت كلوديا وقد أفزعها ما قاله: «إنه رئيسي في العمل يا مارك.»

لقد كانت وسايمون، على علاقة طيبة، ولكن لم يحدث بينهما أية إشارة تدل على شيء آخر.

قال: «هكذا إذن، فهو عازب أليس كذلك؟ وهو أيضاً وسيم الشكل وحسن الحديث. أم لعلك على علاقة بشخص آخر؟»

أجابت: «كلا، لست كذلك ولا أريد أية علاقة مع أحد.»

قال: «ربما كان هو أرق مما يجب.» وأخذ يتطلع إلى سايمون وهو يقف مع مجموعة صغيرة، وتابع قائلاً: «من الصعب الحكم عليه بالنسبة للإخلاص أو عدمه. ربما كنت على صواب في عدم اهتمامك بأي منهم.»

قالت كلوديا محتجة وهي تضحك: «مارك. ليس ثمة اهتمام من قبل الجهتين.» وبدا لها من طريقته المعهودة في المغازلة، كأن السنوات التي فرقت بينهما لم تمر عليهما. مع أنها مرت بالفعل وكان تأثيرها أن منعت صداقتهما من أن تزداد وتتعمق. وتابعت حديثها بنعومة: «حتى ولو كان ذلك قد حدث فعلاً، فهو ليس من شأنك.»

قال باسماً: «إنه فقط اهتمام صداقة، يا كلوديا.» واقترب منها يفرغ كأسه بكأسها، متابعاً قوله: «هكذا لتجديد صداقتنا القديمة. والآن أخبريني ما الذي فعلته في السنتين الماضيتين، بينما كنت أنا في طريقي لأصبح رأسمالياً صغيراً؟ أظن أن الفندق دفع لك أجرة تعليمك لمهنة الفندقية، أليس كذلك؟»

www.liilas.com

نظرت كلوديا إلى ما حولها وهي تفكر في أن تخبره بأنها هنا كموظفة وليس للمتعة الخاصة، لتصطدم أنظارها بعينين زرقاوين صارمتين لرجل يقف في وسط الغرفة يتحدث إلى رجل آخر، تذكرت فيه من صورته بإسم تومي فقط. لقد كان مورغان ستون. وعندما نظرت إليه، قطع حديثه مع مرافقه، ثم تقدم متوجهاً نحوها.

لقد تلاشى العالم وكل ما يحوي، ما عدا ذلك الذي كان يقترب نحوها. لقد شعرت بالعجز والتهالك يسرعان إليها لتفقد القدرة على الكلام والحركة والتفكير. وشعرت بالبرد... البرد الشديد، حتى لقد أحست بيديها وقدميها كألواح من الثلج. لقد حلت اللحظة التي توقعتها بخوف وها هو مورغان ستون مقبل إليها.

سمعت مارك يقول شيئاً، فحاولت أن تستدير إليه، ولكنها لم تستطع. فقد سمرها ذلك الكابوس في مكانها. طالما تصورت هذه اللحظة، ولكنها كانت تتصورها وهي مالكة أعصابها تفكر في ما يجب عندئذ، أن تقول، أو تفعل، وليس من دون إنذار كما هو الحال الآن. وشعرت ببرودة غريبة من ظهرها إلى جمجمتها من تأثير الصدمة.

في لحظة جبن، تساءلت عما إذا كان بإمكانها التخلص من هذا الموقف بالتقيؤ.. ولكنها كانت قوية المقاومة. وعاد الدم إلى وجهها الشاحب بعد أن وقف مورغان ستون أمامهما محيياً وهو يقول: «حسناً، ها أنت ذا هنا يا مارك. وهذه... أظن أنها مفاجأة.»

كان صوته عميقاً كما لا يمكن أن تنساه... حتى أن المفاجأة لم تغيّر من نبراته، كما لاحظت كلوديا وقد ابتدأت

القدرة على التفكير تعود إليها، فكه المشدود، وعيناه الباردتان. كانت صدمته لرؤيتها شديدة هو أيضاً، ولكن تصرفه أثناءها، كان أفضل قليلاً.

وضع مارك ذراعه حول كتفيها وهو يقول: «حسناً، هي هي السيدة التي كنت أعيش في منزلها عندما كنت في أوستراليا. لقد كانت صديقة عزيزة، ولم أكن لأحلم بمالكة منزل تقدم للمستأجر أفضل ما قدمته هي إليّ.»

تمنت كلوديا لو أنه قال ذلك بشكل مختلف. لقد كانت كلماته البريئة أسوأ من الصمت.

قال مورغان ستون: «إن الإقامة عند مالكة منزل، هي خبرة يجب أن يمر بها كل طالب في طريقه إلى النضوج.» [illegible] يا كلوديا المتلجتان، في التعرق وهي تسمع هذه الكلمات المتسائلة عما يعني بها. إنها تعشق عملها. ولا تريد أن يبدر منها أي تصرف يجعلها تخسره أمام الملأ.

زمّت شفتيها، لتلاحظ أن مورغان ستون يحدق في فمها. وانزلقت عيناه إلى صدرها شبه المسطح المتواري خلف سترتها الزرقاء وإلى بطنها الضامر المغطى بتنورتها. هل تراه يفكر شكل جسدها كما رآه قبلاً؟ ذلك الجسد البالغ [illegible] المتطلع البطن بالطفل؟ ولم تستطع كلوديا مقاومة [illegible] في يديها، بينما كانت عيناه تصعدان إلى وجهها مرة أخرى. وهذه المرة كان في نظراته شيء آثار الخوف في نفسها. هل تراه يفكر في أن يتحداها؟ هل ستلحق بها [illegible] في النهاية؟

قال لابنه: «حسناً يا مارك. ألا تفكر في تقديمي إلى السيدة؟»

www.liilas.com

خيل إليها أنها لمحت تردداً بسيطاً منه قبل أن يتلفظ بكلمة (سيدة) ولكنها لم تهتم. إنها أدركت فقط أنها تلقت مهلة مؤقتة. فهو يريد الإدعاء بأنهما لم يلتقيا قط من قبل.

وقال مارك: «أريدك يا أبي أن تتعرف إلى كلوديا لاوسون الجميلة. إنها المساعدة في العلاقات العامة هنا في الفندق وهذا هو أبي مورغان ستون يا كلوديا.»

لم تستطع هي إلا أن تمد يدها بأدب إلى يده الممدودة وكانت كفه حارة بالمقارنة بيدها الباردة الرطبة. ورأت في عينيه الإدراك والتفهم وداخلها شعور بأنه سيبتسم ساخراً لما بدا من توترها، ولكن، بدلاً من ذلك، أتى بشيء جعل الرجفة تشمل جسمها حتى أخمص قدميها. لقد رفع يدها النحيلة إلى شفتيه يضغط بهما على العروق الزرقاء التي تمتد من رسغها إلى ظهر يدها. كان إبهامه يتحرك ضاغطاً على راحتها برقة يطمئنها. واتسعت عينا كلوديا وهو يحني رأسه، وعندما رفعه ليقف مستقيماً مرة أخرى، شعرت بوجهها يتضرج وهي تمنع نفسها من أن تسحب يدها من يده ثم تمسحها بتنورتها. لا بد أنه كان يسخر منها.

قال مارك الذي لم يكن يبدو عليه أنه يجد في ما فعله أبوه أكثر من تقديم تحية قديمة الطراز إلى امرأة غريبة: «هذا يكفي يا أبي. لقد جعلتها تتضرج خجلاً، كما أنك تضيع وقتك حيث تحاول التأثير عليها إذ سبق الكلام بشأنها من رجل آخر.»

لما كان مورغان ستون ما يزال ممسكاً بيدها، فقد شعرت بأصابعه تتوتر بينما تنقلت عيناه بحدة بينها وبين ابنه. كان ما يزال كما تذكره، كبير الجسم صلباً، بالغ

الرجولة. ولكنها لاحظت الآن أن الشيب قد تسلل إلى شعره الفاحم. كما أن عينيه اللتين لا يمكن أن تنساهما، قد ازداد لمعانهما.

قالت كلوديا بسرعة: «إنه يعني أن المدير العام قد أخبره بأنني متزوجة من صاحب الفندق.»

قال: «لقد فهمت. إذن، فأنت غير متزوجة؟»

تساءلت، هل تراه يلمح بذلك إلى ماضيها؟ ولكنها أجابته قائلة وقد انتابها الحذر إزاء ما بدا من سروره: «كلا.. لم أتزوج بعد.»

قال: «هل هذا يعني أنك مخطوبة؟»

تمنت من لو أنها كانت مخطوبة فعلاً لتوقف تدخله هذا عند حده، ولكنها قالت: «كلا..»

قال: «فهمت.»

تساءلت هي عما فهمه.. وتعمدت تحريك أصابعها فترك هو يدها من قبضته الدافئة. إنها، على الأقل، لم تعد تشعر بالبرد. لقد شعرت بالدفء بينما شعرت بالإضطراب إزاء تودده إليها.

قال: «هل انتقلت إلى ويلنغتون حديثاً يا كلوديا؟» جاءت [illegible] لها باسمها الأول، عفوية كما كانت المرأة تبدو [illegible] ملامحه وهو يلقي سؤاله هذا، لكنها لم تنس ترديده [illegible] ذلك التحافل بالإزدراء لاسمها (آنسة لاوسون) الذي ما زال يحز في نفسها.

قالت: «لقد نقلت من فرع الفندق في أوكلاند إلى هنا منذ شهرين.»

سألها: «وهل كان ذلك بناء على رغبتك؟» ولم تخطىء

هي فهم مراده من هذا السؤال، فقالت: «كلا، لقد كنت سعيدة تماماً هناك، لقد كانت المسألة عبارة عن إعادة تنظيم دوري للمستخدمين جميعاً.»

تمتم قائلاً: «إنها تقنية لم يكن بإمكانك رفضها... هل هي زيارتك الأولى إلى ويلنغتون؟»

تساءلت عما يقصده بكل هذه الأسئلة... هل تراه يظن أنها تلحق بإبنه لتراه خفية عنه هو؟ وأجابت بغضب: «نعم.»

قال: «فهمت، وأين تسكنين الآن؟»

أجابت: «أسكن هنا في الفندق، إنما مؤقتاً إلى أن أستقر في وظيفتي. وإنني أفتش عن منزل مناسب لستأجره.»

كانت تدلي بأجوبتها بهدوء وبرود بعد أن شعرت بالإرتياح وهي تصمم على أن توجه إليه نفس الأسئلة، فقالت: «وأين تسكن أنت؟»

أجاب: «عندي منزل بناحية (مارين درايف).»

إذن، فهو يسكن في أحد المساكن في ناحية التل على الشاطىء المقابل لمرفأ (نيكلسون). ودهشت كلوديا، فقد كانت تظن أن مارك كان دوماً يفضل العيش في الضواحي، وكانت هناك مناظر جميلة بطبيعة الحال، ولكن الضواحي عادة تكون بعيدة عن مركز المدينة مما يستلزم سيارة أو عبارة للمياه. ولكن، بالنسبة إلى رجل يبدو أنه لا يمضي وقتاً طويلاً في منزله، وليس له أية هوايات عدا عمله، ربما كانت المناظر الطبيعية والشواطىء، كثيرة عليه.

عادت تسأله: «وهل أنت متزوج؟» وقطب جبينه بحدة. وسمعت من مارك صوتاً ربما كان ضحكاً مكتوماً. وجاءها جوابه نسخة ثانية عن جوابها هي الأول: «كلا. لم أتزوج بعد.»

عادت تسأله بسخرية: «أوه.. هل هذا يعني أن ثمة من تفكر بخطبتها وأن هي هذه السيدة... غير الـ... محظوظة؟»

نظر إليها متأملاً فترة طويلة حتى ابتدأت تشعر بالندم لتحديها له.

فجأة، لاحت على شفتيه ابتسامة تنذر بالخطر وهو يقول: «إنني أشعر بالأسف إذ أرى، وراء هذا المظهر الرقيق المهذب، قلباً عامياً فجاً.» ووضع يده على صدره وهو يتابع: «عندما أتزوج مرة أخرى، فإنني سأتزوج من امرأة وليس سيدة. ذلك أن السيدة تصلح لأن تكون قاعدة تمثال، بينما المرأة هي التي تصلح لأن تكون زوجة. ذلك أمر أكيد هو مؤكد تماماً كالفرق بين الرجال والغلمان.»

نظرت كلوديا بحدة محاولة أن ترفع رأسها لتنظر إليه بعجرفة برغم أن طوله الذي كان يتجاوزها كثيراً لم يكن ليسمح لها بتوجيه نظرة الاحتقار هذه إليه، كما يجب. قالت: «إنني لم أكن أعلم أن ثمة امرأة تفكر فيها.»

قال بجمود: «أحقاً؟ يا عزيزتي كلوديا، إنك تطيرين في غير سربك.»

كانت هذه المبارزة الشفهية الصامتة قد أنست كلوديا كل شيء عن مارك الذي انتقل من مكانه بضيق وهو يقول: «ما هذا؟ إنكما تتجادلان. أليس كذلك؟ لقد كنت أعلم أنكما مثل النار والبارود. ولكن، تذكرا أنكما تشتركان في شيء واحد... وهو أنا.»

لكن مزحته الباردة لم تفلح سوى في مزيد من الصمت، وكانت كلوديا على وشك الاندفاع في عمل طائش عندما عاد دور فان ستون يقول بنفس ذلك الصوت البطيء: «أوه...

www.liilas.com

هنالك نار كما تقول يا مارك... أليست هي كلوديا؟ ونحن غير واثقين مما إذا كنا نحاول إخمادها أم إنكاءها بالوقود.»

قال مارك: «ما هذا؟ تتحدثان عن المبارزة بينما كلوديا لا تشرب شيئاً وكذلك أنا لم أشرب شيئاً بعد؟ هيا.. دعيني آخذ هذا من يدك.» ومد يده يأخذ الكأس الفارغ من يد كلوديا، ثم يبتعد. لم تكن هي تتذكر كيف شربت كأسها. وفجأة، انتابها شعور بالدوار وهي تواجه مورغان ستون دون شعور بالحماية بوجود مارك. ولكن، ماذا كان يعني بحديثه عن النار؟

قال: «تبدين رائعة الجمال، ولا عجب إن كان هو يشعر بالسرور لرؤيتك ثانية.»

ظنت كلوديا نفسها قد أخطأت في سماع نبرة الرقيقة الخشنة في صوته وهو يقول لها ذلك. فأجابت قائلة: «أرجو المعذرة، لم أسمع جيداً.»

تجاهل هو عينيها المتسعتين وقد بانت فيهما الصدمة. ومضى يتأمل شعرها الحريري الأسود معقوصاً فوق قمة رأسها بينما تتدلى ذوائبه على عنقها ملتوية حول ذقنها. عاد يقول: «كلا.. ربما لست رائعة الجمال، ولكنك جميلة وفاتنة. إنك تبدين أصغر سناً بالشعر القصير.. صغيرة ولا مبالية.»

أن تكون لا مبالية هو آخر شيء تفكر فيه الآن. وربما أدرك هو من التعبير الذي بدا على ملامحها ما جعله يسكت ناظراً إليها بطريقته المزعجة وهو يقول بهدوء: «إنك لم تخبريه أبداً بما حدث. وكان بإمكانك أن تستخدمي هذه

المعلومات لتوسعي من شقة الخلاف بيننا، ولكنك لم تفعلي. وأنا أشكرك لهذا.»

قالت: «لقد ظننت.. ظننت أنك ربما أخبرته...» وتلعثمت أمام قدرته في الوصول إلى ما يشعرها بالضيق في أعماقها.

قال ببساطة: «إنك أردت مني أن لا أفعل ذلك.»

قالت ساخرة: «وماذا يهمك مما أريده أنا؟ بطبيعة الحال، هذا لا يخدم أغراضك.»

قال دون أن تطرف عيناه: «إنني لا أنكر هذا. ولكن، لو كان هو قد تطرق إلى هذا الموضوع، ربما كنت أخبرته. ولكنه لا يستودعني ثقته. وقد بقينا بعد رجوعه، يتجنب كل منا الآخر لمدة طويلة. وكان علينا معاً أن نصلح من الأمور بيننا. وإذا أتى على ذكرك أحياناً، يكون ذلك بشكل عام. لقد تحدث عن خسارتك لطفلك، ولكنه لم يشر بأي شكل، إلى أنه يعتبره طفله هو أيضاً. في الحقيقة، كان يبدو عليه الارتياح لعودته إلى البيت. حتى أنني ظننت أن صدمته في ما حدث قد أخرجته عن افتتانه ورغبته بك. ولهذا فكرت بأن من الأفضل لكما أنتما الاثنان، أن لا أتدخل بينكما في هذا الموضوع.»

قالت غاضبة: «لا تتدخل؟ وماذا تسمي إزعاجك لي في المستشفى إذن؟ ثم فجأة، تقدم إلى مارك مشاركتك في العمل بينما كنت قد رفضت قبل ذلك، حتى الحديث عن هذا الموضوع؟»

في هذه الأثناء كان مارك ما يزال بعيداً بينما كان مورغان ستون يتابع قائلاً: «حيث أنني إنسان غير معصوم

www.liilas.com

من الخطأ. وحيث أنني على استعداد للإعتراف بالخطأ، لقد أردته أن يختار بنفسه...»

قاطعته: «وهكذا اختار أن لا يبقى معي...»

قال: «لو كان يحبك لبقي معك، أو أحضرك معه إلى البيت. لقد صمم هو بنفسه على العودة إلى البيت وحده. كما أنك سبق وقلت لي أنك غير مغرمة به.»

حولت أنظارها عنه بعيداً وهي تتساءل عما يجعلها تتجادل معه، مثبتة الأكاذيب التي سبق وندمت عليها؟

قال هو بهدوء: «مهما كانت درجة حنقك علي، يا كلوديا، فقد قمت فقط بفعل ما ظننته الأصلح في ذلك الحين، بالنسبة إلى ولدي. ولكن، حين أنظر إليك الآن، أظن أن ذلك كان الأصلح بالنسبة إليك أنت أيضاً...»

انفجرت قائلة: «وأظنك ستقول أن ذلك هو الأفضل بالنسبة لطفلي أيضاً.» وعاد إليها ألم الشعور بالفراغ الذي ظنت، منذ برهة، أنه امتلأ.

لا بد أن بعض الآلام التي تعانيها، تجلت على ملامحها لأنه وضع يده على خصرها وأدارها إليه لتواجهه مباشرة، وهو يقول: «إنني آسف. إنني لم أنس أبداً خسارتك. إنني أعرف مقدار ألمك أكثر من أي شخص آخر. ولهذا السبب، قمت بزيارتك في المستشفى. إنني لو أقم بذلك لكي أسبب لك الإزعاج. كما أنه لم يأت غيري لزيارتك.»

قالت بكبرياء: «إنني لم أكن بحاجة إلى عطفك في ذلك الحين، كما أنني لست بحاجة إليه الآن.»

قال: «كلا. ولكنك كنت بحاجة إلى نقود. إلى مبلغ كبير،

في الحقيقة.» وكان في صوته قسوة تتناقض مع الرقة التي بدت في وضع يده حول وسطها. وشعرت كلوديا أن ازدراءها له يتوارى خلف شعورها بالعار.

عندما أمرته، في المستشفى، أن يذهب، لم يمتثل ويذهب طائعاً. إنه لم يتخل عنها ويتركها. لقد بقي ثلاثة أيام كاملة يعودها حاملاً إليها الأزهار والفاكهة والأخبار من خارج المستشفى. ومع كل هذا، فقد كانت كلوديا ترفض حتى النظر إليه، فكانت تغمض عينيها وتضع على أذنيها سماعات الراديو المعلقة على الجدار فوق السرير.

عندما شفيت، علمت بأنها كانت في القسم الخصوصي وليس في القاعة العامة في المستشفى. وعندما دفع [illegible] شؤون تكاليف المستشفى، كان هذا سبباً في ثورة أخرى حانقة من تدخله في حياتها. ولم يكن في استطاعتها، في ذلك الحين، أن تدفع مثل تلك التكاليف. وعندما ناولها المغلف، في اليوم الثالث لإقامتها في المستشفى، كان ذلك هو القمة في شعورها بالذل. وعندما فتحته وجدت فيه شيكاً بمبلغ عدة آلاف من الدولارات وأمامه ورق يطلب إليها فيها أن تعاود النظر في مسألة [illegible] بإنه على ضوء اكتفائها مادياً وذلك لأن [illegible] معتمداً في معيشته، على ثروة والده بالنسبة للمستقبل المنظور. وكان الشيك غير مؤرخ مما يشير إلى أنه كان متأكداً من طمعها. ولم تجد كلوديا بعد ذلك فرصة [illegible] بذلك الشيك في وجهه المتعجرف. فهي لم تره قط مرة أخرى، وهكذا، خانها الحظ في أن تنفذ كبرياءها

الجريح، ولم يبق لها من إمكانية الانتقام، سوى أن تتقبل
تقوده تلك كثمن لخطيئته التي يتصورها، وإنقاذها من
الطريق السليم.

وقد أدركت، في ما بعد، السبب الذي جعله يتركها فجأة
لقد اكتشف أن مارك كان في منزل والديه، فسافر هو عائداً
إلى ويلنغتون ليحيطه بعنايته.

لقد شعر مارك بنفسه فوق الريح بعد ان لمس لهفة والدته
لأجله. بينما تخلت هي عن تصوراتها الباطلة في الانتقام
من رجل بريء، وتركت ابنه يذهب في طريقه مع أطيب
تمنياتها له بمستقبل طيب.

قالت له: «هل توقعت مني أن أرفض نقودك بازدراء؟ كلا
لم أفعل ذلك. لقد أنفقت كل سنت منها.»

قال بهدوء ونظراته لا تفارق وجهها المتضرج: «وهذا ما
أبلغني به المصرف. أرجو أن تكوني أنفقته بحكمة.»

أجابت: طبعاً. لقد أنفقته على الملابس والمجوهرات
والعسرات.»

قال: «أحقاً يا كلوديا؟»

نظرت إليه صامتة. لماذا انتابها شعور بأن وراء
هيئته الجادة كان يخفي شعوراً بالتسلية؟ إنه لا يعلم
أنها دفعت نقوده كتكاليف لدراستها في الكلية المهنية
حيث درست مهنة «الفندقية» لتعتاش منها إلى أن
استطاعت أن تنهي مدة التعلم ومن ثم تحصل على
وظيفتها الحالية. وأجابته: «أليس هذا ما كنت تعتقد أن
متشردة رخيصة ستفعله؟»

تمتم: «أوه.. لست رخيصة يا كلوديا. لست رخيصة

أبداً. أعلم أنك مهما فكرت في ما أتوقع أنا أن تفعليه،
فأنت تفعلين النقيض تماماً. فقط من باب العقاب لي
لظني ذاك.»

لقد كان إدراكه للأمور أكثر إفزاعاً لها من هدوئه،
واستطرد هو: «وكما قلت مرة، فأنا لا أعرفك إلى حد
يجعلني أحكم على سلوكك.»

قالت: «ولكنك فعلت ذلك على كل حال.»

أجاب: «ذلك أنني، كما سبق وقلت، غير معصوم. إن لي
إرادة قوية وطبعاً حاداً. وأنا مزيج من هذين، وهذا سبب لي
كثيراً من المخاصمات عندما كبر مارك وابتدأ يتحدى
سلطتي. إنني أحب أن أفكر بأنني أصبحت أكثر مرونة مع
تقدمي في السن.»

«مرونة؟» وغالبت كلوديا رغبة في الضحك. إن بضع
شعرات بيضاء هي شيء، والوقار الذي تسبغه السنون هي
شيء آخر بالنسبة إلى مورغان ستون الذي لم تستطع
كلوديا أن تتصوره إنساناً طبيعياً.

تمتم: «أتظنينني مبالغاً؟»

أجابت: «إنني لا أرى أي برهان على ذلك.» ونظرت إليه
ثم أطلق إلى أسفل بشكل مهين، دون أن تهتم ببكلته الأنيقة
التي يرتدي بها. وحثت نفسها بأنه إذا كان قد تغير فعلاً
أثناء السنتين الماضيتين، فإلى الأسوأ حيث أنه أصبح
أكثر خشونة.

أجاب: «ذلك لأنك خائفة من الرؤية. لأنك مشغولة
بالأشياء من الماضي. لماذا لا تخرجين من مخبئك، يا
كلوديا؟ إنك قد تدهشين لما ستجدين..»

www.liilas.com

قاطعته بحدة: «أين مارك وشرابه ذاك؟» لقد شعرت بالتوتر لعدم رغبتها في الشجار.

أجاب: «إنه يمنحنا فرصة لتسوية أمورنا. إنه يريد أن تعود المودة بيننا نحن الاثنان، ويظهر أنه يعتبر هذا الأمر ذا أهمية. أرجو أن لا تخذليه، يا كلوديا.»

بدت في لهجته تقريباً، رنة إنذار. وقالت له: «وماذا لو لم أفعل؟»

قال: «عند ذلك أجد نفسي مضطراً لأن أخبره بسبب نقص حماستك للإجتماع بي.»

قالت بدهشة: «هل ستخبره الآن؟»

هز كتفيه قائلاً: «لماذا لا نتحدث في هذا على مائدة عشاء؟»

ازدادت دهشتها وهي تجيب: «عشاء؟ معك أنت؟»

قال: «ومعنا مارك، مع خطيبته طبعاً.»

صرخت دون إرادة منها: «هل مارك خاطب؟»

قال وقد ضاقت عيناه وبانت فيهما نظرة ذات معنى بعثت نور الإدراك في ذهنها: «ألم يخبرك؟»

قالت بلهجة متوترة: «إننا لم نتبادل سوى كلمات معدودة. إننا لم نتقابل مرة أخرى سوى هذا الصباح. إن كان كل هذا لكي لا أراه مرة أخرى، فإنني لا أنوي ذلك على كل حال. وكونه خاطباً أم لا، فهذا لا يعنيني.»

قال: «وماذا لو أراد هو أن يراك؟»

قالت: «سأقول له كلا.»

قال: «وإذا لم يقبل بكلمة كلا جواباً؟»

قالت بحدة: «لماذا؟ هل هي عادة في أسرتكم أن تعاملوا

الآخرين بمثل هذه الأنانية وعدم التفهم؟ إسمع يا سيد ستون...»

قال: «سورغان. إن اسمي سورغان. ها هو ذا قادم نحونا.» وانخفض صوته وهو يقول مهدداً: «إذا كنت لا تحبين أن أفجر موضوع الماضي، فإنني أنصحك بالإستجابة.»

نظرت فاها وهي تقول: «ولكن هذا إبتزاز.» وفكرت في أنه معتوه دون ريب. لِمَ كل هذا التسلط على حقوق الآخرين؟ وتمتمت قائلة: «سورغان...» وفجأة شعرت بسرور شديد إذ ترفع الكلفة. لقد غطى الشعور بالقوة عندها على قلقها السابق، واستطردت: «ألا تظن أنك تفهم الأمر من وجهة مغايرة؟ إن عندك من الأسباب التي تجعلك تخاف من الكشف الحقيقة أكثر بكثير مما عندي. إنني أنا التي في استطاعتها إبتزازك.»

كان سرورها بالفوز لا يوصف وكانت النتيجة توتر شديد أصاب الرجل أمامها.

قال: «في استطاعتك ذلك يا كلوديا، ولكن، هل ستفعلين؟»

خفضت أهدابها السوداء تتصنع التفكير. وما لبثت أن رفعت عيناها. وبدت على شفتيها إبتسامة سرور خفي، وسمعته يتنفس بحدة وهي ترفع رأسها لتنظر إليه ببرود. وبكل حلاوة الأنوثة وعجرفتها في الوقت نفسه، قالت: «قد أفعل.»

قال بصوت رقيق: «ولكنك لن...»

قبل أن يدع لها فرصة لتقوم بأي عمل طائش، كان يتقدم

www.liilas.com

عنها خطوة ليأخذ من ولده، الذي كان قد اقترب منهما، كأس
ناولها إياه وهو يقول: «لقد كانت كلوديا تقترح، في هذه
اللحظة، أن نتناول العشاء جميعاً هذه الليلة. ما رأيك بذلك
مارك؟ ربما يمكنك أن تتحمل «سيرينا» وبهذا تمضي ليلة
جميلة.»

الفصل الثالث

نظرت إليه كلوديا بحدة وهي تحاول أن تضبط أعصابها بابتسامة مهذبة بينما كانت تخطو على الأرض المصقولة. وقالت: «ما الذي جعلك تفعل ذلك؟»

أجاب مورغان: «أتعنين الرقص معك؟ ولكنك قلت بنفسك إنك تحبين الرقص؟»

أدارها في الحلبة بيده القوية التي كانت تضغط برقة وثبات على ظهرها العاري. وفكرت هي بذلك السبب اللعين الذي جعلها ترتدي ثوباً عاري الظهر.

أجابت وهي تحسو على أسنانها: «إنني أتكلم عن هذا ال... هذا العشاء اللعين.»

قال: «ليس لك أن تلومي سوى نفسك يا كلوديا. لقد سبق وعرضت عليك أن نتناول العشاء وحدنا، ولكنك كنت جبانة، وأكاذيبك هي التي عرضتك لهذا وليس أنا.»

تساءلت: ما هذا؟ جبن؟ أكاذيب. وأصابتها طعنته هذه في الصميم من كبريائها. إن هاتين الكلمتين قد لخصتا كل علاقتها بمورغان ستون. لو أنها فقط لم تشعر بالخوف عندما حاول أن يدعوها إلى العشاء وحدهما.. ولكنها قد شعرت بالرعب مما عساه يقول إذا هي رفضت هذه الدعوة أيضاً. أن تسمح لنفسها بأن تقع فريسة لخداع رجل فظ متقلب الأطوار مثل مورغان ستون، لهي غلطة شنيعة. لقد حاولت الإدعاء بأنها تذكرت أن المفروض فيها أن تكون

www.liilas.com

في عملها في الليلة الأولى من كل أسبوع، وكان ذلك هو موعد العشاء هناك، وذلك تبعاً لاتفاق مع المطعم الرئيسي بالإشتراك في مهرجان الزهور الذي سيقام في المدينة.

وتدخل مورغان ستون قائلاً: «هذا عظيم. يمكننا إذن تناول الطعام هنا في الفندق، وبذلك تكونين تحت الطلب في أي وقت يحتاجونك فيه.»

قالت: «ولكنني لا أظن...»

قاطعها: «إذا شئت، فإنه يمكنني تدبير المسألة مع سايمون.»

قالت: «سايمون؟» وخامرها شعور بأن ترفض التكيف الذي يحاول مورغان ستون دسه في ذهنها.

قال هو: «نعم، سايمون مور رئيسك. إنه من معارفي، فقد تلقينا تعليمنا معاً في نفس المدرسة الخاصة...»

اندفعت قائلة: «أوه، كلا.» إندفعت بهذا القول دون وعي وهي تلهث بذعر، بينما هو ينظر اليها بحدة نظرات عميقة ساخراً من ورطتها هذه.

قال: «لك أن تطمئني إلى أن تصرف صديقي القديم سيكون قانونياً تماماً. هل توافقين؟»

حسناً، لن تكون هذه الموافقة شركاً هو بمثابة خيوط العنكبوت، بينما هي الذبابة المسكينة الملتصقة تكافح للخلاص منه.

قالت بسرعة: «كلا. أعني أنك لست بحاجة إلى إزعاج سايمون.»

لقد كانت تخاف من أن يفضح كذبها في هذا الاعتذار. فقد كانت فكرة إقامة الإحتفال في الفندق هذا الأسبوع

فكرتها هي، وكانت هي المسؤولة عن كافة التدابير المتعلقة به، ولكن المدير الأعلى، وهو رجل صعب المزاج، ربما ظن أنها تحاول التدخل في ما يصنّ على اعتباره ضمن مسؤوليته هو.

قال: «هل أنت متأكدة؟ إنني لا أريد أن أسبب لك أي ارتباك في عملك..؟» وكانت تبدو عليه، وهو يقول ذلك، البراءة التامة. وفكرت هي، ياله من خنزير ماكر. إنه يعرف جيداً أن كل قصدها هو التملص من قبضته. وتكلفت كلوديا ابتسامة باهتة وهي تقول: «إنني متأكدة. ولكنني كنت أريد أن أقول إنني أشك في أننا نستطيع أن نجد مائدة في مثل هذا الوقت المتأخر.» وتحولت إلى مارك وقد رقت لهجتها للغاية، بالنظر إلى صداقتهما القديمة، وقالت محاولة أن تبدو مخلصة في ما تقول: «إن الطهاة في المطعم من الشهرة بحيث أن الموائد تحجز قبل أيام، خاصة مساء الجمعة وفي المناسبات الخاصة.»

كان يجب عليها أن تعلم أن الحقيقة ليست لها فعالية أكثر من الكذب عندما يكون مورغان ستون هو المقصود. إنه لم تعرف ما الذي استعمله، رشوة أم نفوذاً، ولكن الذي تعرفه أنه لم يحصل على مائدة لهم فحسب، بل كانت أفضل الموائد في المكان، كانت في زاوية الواجهة الزجاجية للمطعم، التي كانت تطل على المرفأ مباشرة، مما يوحي بأنهم كانوا يتناولون الطعام في البحر وليس على البر. ولم تكد كلوديا تذوق الطعام فقد وجهت كل اهتمامها إلى سير الحديث مع مارك بأعصاب متوترة، بينما كانت في الوقت نفسه، شاعرة بعيني مورغان ستون ترقبانها كالصقر.

www.liilas.com

ملاحظاً كل كلمة أو حركة تبدر منها. ولقد اندفعت هي، بالحديث بتوتر عن عملها، مما بدا شيئاً طبيعياً لها دون أن تهتم إلى أنها تبدو وكأنها تريد أن تحجب أي موضوع آخر.

«ولكن، لم يكن ثمة خيار، أليس كذلك؟»

تذكرت كلوديا ذلك بمرارة، وهي تحاول أن تتجاهل نظرات الغيرة التي كانت تنصب عليها من النساء الأخريات في حلبة الرقص. وألقت هي، بالمثل، نظرة حاسدة إلى إمرأة كانت ترقص مع رجل قصير سمين مشرق الوجه.

ما أسهل حياة الآخرين وأقل تعقدها بالنسبة إلى حياتها هي المعقدة المتشابكة!

قالت: «لم أكن أريد أن أتناول الطعام معك في أي مكان، فكيف بالرقص معك؟»

قال: «لماذا لم ترقصي مع مارك؟»

قالت: «إنه لم يدعني إلى الرقص.»

قال: «ولكنه كان على وشك أن يفعل.»

انتقلت أنظارها من راقصين مسرورين مرا بهما، إلى ذلك الفك الصارم ومن ثم إلى العينين الزرقاوين بنظرتهما المتحدية. إذن، فهذا هو السبب الذي جعله يشدّها، فجأة، إلى حلبة الرقص. وهنا، بلغ نفاد صبرها الذروة لتقول له بحدة: «إذن ماذا... ماذا كنت تظنه يحدث في وسط حلبة الرقص؟»

قال: «هل كان يجب أن تسألي عما يمكن أن يحدث؟»

لدهشتها، إنزلقت يده من مكانها في أسفل الكتف، إلى المنخفض الواقع في أسفل ظهرها، ومن ثم جذبها نحوه.

همست ثائرة: «ما الذي تظن أنك تفعل؟»

همس في أذنها: «إنني أرقص، فلماذا ترفعين صوتك يا كلوديا؟ وعلى كل حال، ما الذي يمكن أن يحدث في وسط حلبة الرقص؟»

قالت كلوديا: «يا للسخرية.» وفي الخطوة التالية، رفعت كعب حذائها العالي لتضعه فوق حذائه الإيطالي ثم تسحقه بعنف. وهذه المرة، كان هو الذي تمايل مترنحاً، ليتوقف في وسط الحلبة وهو يشتم من بين أسنانه.

وقفت هي مستقيمة وما زالت ذراعه القوية تحتجزها، وهي تحاول أن لا تدعه يلحظ ضعفها أمام ما أثارته في نفسها رجولته العارمة.

قالت: «هذا يكفي الآن يا سيد ستون. ظننتك أكثر جلداً.»

تحدّر بنظراته إليها من علوّه، وقال برقة: «هل هو تحدٍ يا كلوديا؟»

توقفت هي عن الإدعاء لدى رنّة سرور كامن في صوته.

قالت: «كلا.. كلا بالطبع. إنني فقط لا أحب.. لا أحب..»

وتلعثمت وهي تفتش، عبثاً، عن كلمات تعبّر عما فعل.

قال: «ألا تحبين الرقص؟»

نظرت إليه ثائرة وهي تقول: «أوه..»

قال: «أليس هذا ما كنا نفعله؟ نرقص حول موضوع واحد؟ ذلك الموضوع هو مشاعرك غير المستقرة بالنسبة لماضي. لقد قلت إن ليس في نيتك التورط مع مارك. ولكن، ماذا لو كانت مشاعره، هو أيضاً، غير مستقرة؟...»

قالت تدافع عن نفسها: «إنه ليس ذنبي أن خطيبته لم تستطع القدوم هذه الليلة.»

قال: «هذا إذا كان قد اتصل بها حقاً.»

www.liilas.com
toto-06

قالت وقد اتسعت عيناها: «هذا شيء بالغ السخافة.»

قال: «أتظنين ذلك؟ لقد كان يريدها أن تحضر معنا العشاء، ولكن، أي رجل عاقل يقبل بأن يجمع على مائدة واحدة حبيبته وخطيبته السابقة؟»

ثم تلاحظ، وهما يتحدثان، أنهما قد عادا يدوران في حلبة الرقص. وقالت: «أهي حبيبة عادية؟ أظنك قلت إنها خطيبته...»

قال: «لقد تعارفا منذ سنة تقريباً، وهما يخرجان معاً منذ ستة أشهر. إنها فتاة جميلة جداً ولماحة الذكاء، ودافئة العواطف ومناسبة جداً لمارك...»

استنتجت من كلامه هذا، أن هذه الأوصاف هي ما كانت تنقصها هي لتكون مناسبة لمارك.

قالت بجفاء: «وكيف حدث أن قابل مارك أميرة الأحلام هذه؟ أظنك أنت الذي عرفته إليها...»

أجاب: «في الحقيقة إن أباها هو الذي فعل ذلك. إنه السيد ميتشيل غلين النائب في البرلمان.»

قالت: «وهو زميلك أيضاً في نفس المدرسة دون شك.»

كانت كلوديا تعلم أن هذا التعليق هو خبث منها، ولكنها لم تستطع مقاومة رغبتها في إغاظته. ذلك أن علمها بأن هذا الرجل لا يراها مناسبة لابنه، ما زال يحز في نفسها.

قال مورغان: «في الحقيقة هو زميل في نفس المدرسة، ولكن ليس في نفس الوقت، إذ أن ميتشيل يكبرني سناً.»

قالت بمكر: «لا بد أنه أصبح قريباً من سن التقاعد، وبالتالي ستخسر أنت الفائدة التي ستجنيها من نفوذه السياسي.»

بدلاً من أن يستاء مورغان منها، إنفجر ضاحكاً. ولأول مرة، تسمع كلوديا ضحكته. لقد كانت دافئة خشنة إستقرت في أحاسيسها.

قال: «لو أنني أخبرك بأنني سأبلغ الأربعين من عمري الشهر القادم، فهل هذا يرضي نفسك المتعطشة للإنتقام؟»

تفجرت كلوديا بفزع قائلة: «هل تعني أنك كنت في الثامنة عشرة من عمرك عندما ولد مارك؟»

إبتسم قائلاً: «نعم. وهو نفس السن الذي كان سيصبح فيه مارك أبالو أن طفله عاش. وقد كنت أنا كذلك من عدم الاستعداد للأبوة، وانعدام الشعور بالمسؤولية، كما كان هو.»

صاحت، وهي لا تستطيع التصور بأن مورغان من الممكن أن يكون عديم الإستعداد لشيء: «وماذا فعلت؟»

أجاب: «تزوجتها بالطبع.» والتقت نظراته الباردة بنظراتها المصعوقة وتابع: «نعم. لقد حملت صديقتي مني عندما كنا طلاباً. لماذا، إذن، كنت حريصاً على أن لا يكرر مارك نفس غلطتي في الماضي. منذ عشرين عاماً، كان الزواج هو الخيار الوحيد لمثل حالتي تلك في مجتمعنا. وقد عرفنا، نحن الاثنان، من المدرسة العليا. ولم يكن لدينا أسرة، أما أسرتي فقد رفضت أن تقدم إلينا أية مساعدة، سواء مالية أم أخلاقية، إلا إذا تزوجنا. وهذا ما فعلناه. ولكنني رفضت أن أذل نفسي لأهلي، وسرعان ما ألغيت دراستي الجامعية جانباً ودخلت ميدان العمل لكي أعيل أنفسنا. ولم ألاق نجاحاً ملموساً، فقد كنا بحاجة لكثير من الأشياء عدا المعيشة. ولو لم تمت مارينا لكنا طلقنا منذ زمن طويل.»

انطلقت نظرات كلوديا بعيداً وقد صدمت، مرة أخرى، بالإستنتاج الذي لم يمكنها تجنبه، وهو أن هذا الرجل ليس غولاً لا يمكن الدفاع ازاءه كما كانت تتصور، ولكنه كان إنساناً من لحم ودم تحتمل الآلام بصبر وتغلب عليها. إنه رجل الشهامة والرجولة الحقة.

قالت وهي تتردد رضابها: «مورغان، إنني...»

قاطعها صوت مارك: «هل تمانعين في إكمال الرقصة معي؟»

فكرت كلوديا، وهي تنساب بعيداً مع مارك، إذا كان يتوجب عليها أن تخبر مورغان بالحقيقة وذلك في حلبة عامة للرقص وخامرها شعور ضعيف بالإرتياح لارجاء هذه المسألة.

سألها مارك: «ما الذي كنتما تتحدثان عنه بكل ذلك الإهتمام بينما لم تتبادلا على المائدة اكثر من كلمات معدودات.

كان فضول مارك لمعرفة موضوع الحديث هو الذي دفعه لقطع الرقصة عليهما وليس فقط رغبته في الرقص. وشعرت كلوديا بالتبرم. حقاً إن حديثها، أثناء العشاء، كان أكثره موجهاً إلى مارك، وكان مقتصراً على شؤون العمل العادية، ولكنه كان تصرفاً ناشئاً عن الخوف. فقد كان مجرد وجود مورغان ستون كافياً لأن يلغي ثقتها بنفسها.

أجابته باحتجاج ضعيف: «لقد ظننت أنك تريدنا أن نعتاد على بعضنا البعض.»

أدارت عنه رأسها فلم تلحظ ذلك الرجل الذي تركها وهو ما زال واقفاً، في زاوية الحلبة، يتأملها.

قال مارك: «لقد قلت لك بأن تسايريه، وليس أن تستحوذي عليه.» وابتسم ابتسامة ذات معنى ذكرت كلوديا بنفس ابتسامة والدها. وتابع مارك قائلاً: «يجب أن أحذرك، يا كلوديا، فإن في والدي عيباً مهلكاً. أتفهمين؟ إنه لا يستطيع مقاومة التحديات، ولكن، ما أن يفوز بمراده حتى تتلاشى رغبته...»

سألته وهي تشعر برعدة خفية: «أتعني أنه يعتبرني متحدية له؟»

أجاب: «حسناً، إن حولك جواً يعني (لا تلمسني) حتى في هذا الثوب المغري للمس. وربت بيده، يغيظها، على الثوب الأخضر فوق وركها، وهو يتابع: «وأبي لا يطيق أن يمنعه أحد من عمل شيء.»

قالت كلوديا: «ولا أدري لماذا لا يمكنني تصور والدك أنه من أولئك الرجال الذين يهتمون بالنساء.» وشعرت بالضيق من أنه لو كان مورغان يراقبهما، لأساء حتماً، فهم سبب تربيت مارك على ظهرها. وتابعت تقول: «وذلك لشيء واحد وهو أنه غير جميل الشكل.»

ضحك مارك وهو يقول: «إنك، أنت خاصة، يجب أن لا تحكمي على كتاب من مجرد غلافه. ولكن، معك حق، فهو ذكي. ذلك أنه كان دوماً متفرداً في طريقة تفكيره، وأي شيء يريده لا ينفك عن ملاحقته. ولقد اعتدت أن أحضر صديقاتي إلى المنزل، فما أن يقع بصر الواحدة منهن على أبي، حتى تصنع السقوط على الأرض لمجرد لفت انتباهه.»

لم تستطع كلوديا إلا أن تعلق على كلامه بقولها: «وهل كان يهتم بهن عند ذاك؟ وهل هذا هو سبب شجاركما؟»

قال مارك ببطء: «ربما كان ذلك صحيحاً في أعماق العقل الباطن.» وسكت برهة متأملاً وكأنه لم يفكر بذلك من قبل، ثم تابع قائلاً: «لا أعني أنه شجعهن مرة على ذلك، في تلك الحين، كانت عزلته ونفوره سبباً في جاذبيته. لقد كان يترك دوماً مسافة تفصله عن كل إنسان حتى عني. لكنه منحني إهتمامه عندما كان يتوفر لديه الوقت وكنت أنال كل ما كنت أتمنى. ولكنني لم أشعر يوماً بأنني جزء من حياته الحقيقية الخارجية في العالم الحقيقي.. عالم الأعمال الذي كان يستنفد كل اهتمامه ومشاعره. ولخوفه من أن تذهب في نفسي الميوعة والتكاسل، اعتماداً على ثروته التي ستؤول إلي كإرث، فقد أدركت أنه لن يدعني أدخل معه، دون شجار، فأنا سأبقى ولده دوماً، وواجبه مسؤوليته... ولكن ليس مساوياً له أبداً. أظنني جعلت حياته، في وقت من الأوقات، أشبه بجهنم، إذ كنت أحاول أن أحصل على عنايته، ولكن، في الوقت نفسه، أسعى لتحطيم قيوده علي. إنك لم تعرفيه من قبل ولهذا، لا يمكنك ملاحظة مدى التغيير الذي أصابه في السنوات القليلة الماضية. إنني أنا لا أستطيع إحصاء ذلك تماماً. لقد تعلم أن يلعب بنفس الجهد الذي يؤدي فيه عمله. إنه يبدو.. لا أدري كيف أعبر.. يبدو أنه أقل تعزلاً وأكثر.. أكثر..»

قالت كلوديا: «تعني أنه أصبح أكثر مرونة؟..»

قال متحمساً: «نعم، نعم.. أكثر مرونة، وأكثر إلفة. ذلك ما كنت أعنيه بالنسبة للنساء. لقد أصبح يهتم بالحياة الإجتماعية قدر اهتمامه بملاحقة أعماله.»

قالت كلوديا باسمة: «تكاد تبدو غير موافق على ذلك. والآن، وقد أصبحت تشتغل عنده، ألا تظن أنه قد أجهد نفسه في سبيل عمله، بما فيه الكفاية؟»

أجاب مصححاً كلامها: «إنني لا أشتغل عنده، بل معه. فقد أصبح اسمي مرادفاً لاسمه في العمل الآن.» وتألقت عيناه بحماس الشباب وهو يستطرد قائلاً: «إنني لم أستطع تصديق ذلك عندما وافق على أن يضيف إلى إسمه «وولده» على اللافتة التي تحمل إسم الشركة. كلا، إنني لا أفهم لماذا يريد مني الإستقرار في حياة زوجية، في الوقت الذي يستمتع هو فيه جهاراً بالحياة.»

فكرت كلوديا في سيرينا.. إذن فهذه هي المسألة. ورفع مارك رأسه مستعداً لمتابعة الإنتقاد. ثم هز كتفيه بخجل وهو يقول: «إنها فتاة لطيفة. ولكن، إذا كان أبي يعتقد أنني سأتزوج منها فقط لكي يصبح عنده أحفاد يمكنه الإستمتاع بهم قبل أن يشيخ...»

شحب وجه كلوديا، ثم تلعثمت، وقبل أن تتمالك نفسها كان مارك قد سحبها من الحلبة وهو يقول: «المعذرة، هل لاحظت من الدوران بنا، أنا وأبي، في الحلبة. ها إنني أرى الحلوى والفاكهة قد أحضرت إلى المائدة، ويمكننا أن نعود لنجلس مع الوفد.»

أجلسها مارك أمام طبق من الفريز الطازج المزين بأوراق بيضاء وسوداء من الشوكولاتة فبدت تماثل الورود متدلية من الطبق. ولكن شهيتها كانت قد فارقتها.

سكب لها مورغان شراباً شهياً وهو يتمتم: «يبدو أنك بحاجة إلى هذا الشراب. يبدو أن السنين تفعل فعلها معك.

www.liilas.com

وأعتقد أنك، في سن الحداثة، كنت ترقصين طوال الليل، وعلى الطاولات أيضاً...»

أثار كلامه هذا كلوديا، ولكنها، حملت نفسها وهي ترشف شرابها، على الهدوء وضبط النفس وهي تقول: «لقد رقصت مرة على الطاولة، وكان ذلك يوم حصل كريس على البطولة في سباق السيارات. وأظن أنهم أعطوني لقباً، حينذاك، هو (الصغيرة الطروب).»

في الحقيقة، كان كريس هو الذي دفعها إلى الوقوف على الطاولة وطلب منها أن تتخذ وضعاً معيناً لكي تؤخذ لها صورة للنشر في الصحف.

نقل مارك النظر بينهما متردداً ثم قال: «لم أكن أدري أنك كنت تعلم شيئاً عن كلوديا، من قبل، يا أبي...» فأجاب والده بلهجة رقيقة وهو لا يحول عينيه عن وجهها الشاحب: «عندما قابلت كلوديا، لأول مرة، كنت أعلم كل شيء عنها.»

شعرت كلوديا بالتوتر. هل تراه سيعلن متى كانت تلك المرة الأولى في الحقيقة؟ وكانت عينا مورغان الزرقاوان تراقبانها وتدركان مدى توترها وخشيتها تلك وهي تقول: «لم أكن أعلم أن هذا من المفروض أن يكون سراً.»

قال مارك: «كلا. ولكن المسألة هي أن الصحف قد تجاهلت كلوديا، كلياً، بعد موت كريس، وكان من الطبيعي أن تتوارى هي عن الأنظار لكي تتمكن من أن تعيش حياة طبيعية مرة أخرى.»

بقيت كلوديا صامتة. إنه لا يعلم أنه بينما هو ما زال يدافع عن كرامتها، كانت هي تتعمد تجاهل كرامته.

قال مورغان ستون: «أظنك تعنين الضجة التي ثارت

عندما انكشف أمر اختلاس مدير أعماله لأمواله. أليس كذلك؟ كما أن أهله لم يثيروا أية ضجة إحتجاجاً على وراثتك لثروته التي ظهر أنه لم يكن لها وجود؟»

أدارت كلوديا رأسها بحدة. كان من الواضح أن الصحف هي التي كانت مصدر معلوماته منذ سنتين. فلا عجب، إذن، إذا كانت معلوماته عن سلوكها في ذلك الحين غير حقيقية.

كانت في البداية، مكتفية بحب كريس، وكانت تتسلى بالقصص السخيفة التي كانت توردها الصحف عنها. وكانا يتمازحان حول ما قيل عنها من أنها تمثل المرأة المدمرة، بينما، عندما تعارفا، كانت فتاة هادئة جادة في العشرين من عمرها، قد قدمت من الأرياف حيث نشأت سليمة الطوية لا تعرف شيئاً عن عالم الأضواء الصاخب الذي جرفها غرامها بكريس إليه. وسرعان ما تلاشت سلامة الطوية منها، ولكن أصالة شخصيتها الحقيقية لم تتغير وذلك على الرغم من الضغوط عليها، خاصة من أسرتها التي لم تغفر لها أبداً جلبها العار لها، وذلك بمساكنة عشيقها الشهير، بالخطيئة. كما أن كلوديا لم تكن تهتم قط بما تقوله الصحف عنها.

سألها مارك: «هل استطاعت أسرته أن تستعيد أي شيء من مدير الأعمال ذاك بعد أن ألقي القبض عليه يا كلوديا؟ لقد قرأت في الصحف أن القضية رفعت إلى المحكمة. ولا بد أن وضعك في هذه القضية كان قوياً وأظن...» وقاطعته كلوديا بسرعة وقد بدا في عينيها عدم الرغبة في متابعة هذا الموضوع، بلهجة حاسمة: «كلا.» ولما لم يبد عليه أنه فهم عدم رغبتها تلك، حملت نفسها على أن تقول بثبات: «كلا.. إنني.. على كل حال، لم تكن إدارة ذلك المدير لشؤونه

www.liilas.com

بأفضل من إدارته لشؤون كريس، وهكذا تخليت عن كل شيء وفضلت الإنزواء».

انتبه مارك أخيراً إلى توترها، فسكت وقد بدا عليه التردد ثم جال بالنظر إلى ما حوله بخجل وانحنى إلى الأمام واضعاً يده على يدها على المائدة وبضغط عليها وهو يقول مطمئناً: «آه، نعم... إنني أفهم...»

كان صوته محملاً بالمعاني. وقد أدركت أنه يفكر في أن السبب في عدم رغبتها في الكلام، هو ما كانت أوردته تلك الصحف من أنها حامل من كريس. لقد كانت قصة مفجعة خليقة بأن تشغل عناوين الصحف حتى بعد كل الزمن الذي مر. ولكن، ربما لم يكن الخوف من غزو مراسلي الصحف الذين يتسقطون الأخبار، أقل من خوفها من تهديد الحالي من قبل ذلك الرجل الذي يجلس أمامها إلى المائدة.

كانت نظراته المتشككة المثبتة على يديهما المتشابكتين بحرارة على المائدة، تمس، من جديد، ضميرها المثقل. إنه ليس بالأحمق، ولا بد أنه أدرك أن ثمة نوعاً من الصلة الصامتة هي الآن بينهما. لا أحد يعلم أية مفاهيم خاطئة تدور بينهما الآن. ويجب عليها أن تعلم أن هذه هي آخر مرة تقابل فيها أياً منهما.

في أعماق ضميرها المثقل، كانت دوماً تعتقد أنها إذا حدث وقابلت مورغان ستون مرة أخرى، فإنها ستتصرف عند ذلك بغاية الهدوء وعزة النفس، مغتنمة الفرصة التي هيأها لها القدر لتخبره بالحقيقة تلك عن موت الطفل، مبينة له مقدار ما عانته من تبكيت الضمير لفعلتها تلك إذ وضعت في ذهنه أنه هو المسؤول عن ذلك. ولكن الخوف لا يلبث أن

يتملكها إثر نظرة واحدة إلى تلك العينين الزرقاوين الصاعقتين، وتنهار شجاعتها. كان تأثيره عليها ممزوجاً بمشاعر لم تكن لتجرؤ على محاولة معرفة كنهها. لقد كان يدفعها إلى الشعور بالخوف، وبالتهديد، وبالشعور بالذنب، وبالغيظ وبكل الأشياء التي كانت تعرف أنه لا ينبغي لها أن تشعر بها. وذلك إذ هي تدرك جيداً أن في استطاعتها أن تسبب له صدمة عنيفة تذهب بكبريائه وثقته بنفسه مما يعيد إليها كرامتها المنهارة...

تذرعت برغبتها في تناول كأسها لكي تنزع يدها من يد مارك بشكل طبيعي.

قال مورغان: «وماذا كانت تلك الظروف؟»

كان ينبغي لها أن تدرك أن رجلاً مثل مورغان ستون لا يمكن أن يدع موضوعاً كهذا ينتهي بهذا الشكل. ونظرت إليه وهي تشرب، كمتحدية لهما، هو وما يثقل ضميرها. وذلك نتيجة الشراب الذي تناولته ليساعدها على تجاوز كابوس هذه الأمسية.

قال مارك بارتباك: «حسناً، هناك ثمة قضايا كثيرة مشابهة أمام المحاكم. وحيث أن كريس كان مواطناً أميركياً، فإن في إمكان كلوديا أن تطالب بنفقة لها من أمواله منذ السنين التي عاشا فيها معاً... هذا إذا كان قد ترك خلفه أموالاً تمكنها من المطالبة...»

سألها مورغان: «كم لبثت مع كريس ناش؟» كان مغزى هذا السؤال من مورغان، الذي يعرف جوابه تماماً، أن تبدو علاقتها بمارك قصيرة وسطحية.

رمقته كلوديا بنظرة احتقار وقد لمعت عيناها بالغضب

www.liilas.com

والكبرياء. وقالت ببطء وإيجاز: «أربع سنوات رائعة.» وحدثت نفسها، وهي تقول ذلك، بأنه لن يكتشف النقيض أبداً.

قال وأنظاره تكتسح فتحة عنق ثوبها الأخضر الواسعة: «لا بد أنها كانت سنوات رائعة كما تقولين. ولما كان من المعروف عن كوريس ناش أنه متقلب الأهواء، فلا بد أنك تملكين شيئاً خاصاً جعله متعلقاً بك كل ذلك الزمن الطويل.» وفهمت هي من نظراته الساخرة إلى ما ظهر من جسدها، انه لا يعتقد أن جمالها الجسدي هو ذلك الشيء الخاص الذي عناه بقوله ذاك.

«أبي...» ولكن احتجاج مارك هذا لم يلحظه أي من ذينك المتحديين أحدهما الآخر.

انحنت كلوديا بازدراء وقد شعرت بتأثير نظراته النفاذة يتلاشى من نفسها، غير مهتمة باتساع المساحة التي كشفها ثوبها بهذه الإنحناءة، وقالت بصوت ينبض بالسرور والزهو: «نعم... كان ثمة شيء. وهذا الشيء إسمه الحب. وأنت تعرف ما هو الحب، أليس كذلك يا مورغان؟ إنه عندما يتعاهد شخصان على تبادل الثقة والإحترام في علاقتهما.»

قال ببطء: «علاقة؟ أوه، إنك تعنين بذلك شؤونك الخاصة. من المؤسف أن حبكما أنتما الإثنين لم يكن من القوة بحيث يعمل على تأمين مستقبلك رسمياً.»

أوشكت هي أن تقول إنهما كانا على وشك الزواج، ولكن الشك داخلها في أنه سيصدقها، ذلك أنه لم يكن لديها ما يثبت ذلك.

قالت بلهجة حلوة مرة: «رسمياً؟ آه، تعني بذلك الزواج.

ولكن، ليس في الزواج، هذه الأيام أية ضمانة لحياة طويلة. فإن الناس يتزوجون لأسباب عديدة مختلفة. فالبعض يهتمون بتبادل التقدير والإحترام أكثر مما يهتمون بالحب.» وساورها شيء من الندم لإدلائها برأي سبق هو وأدلى به، بينما تحولت عيناه إلى إبنه المرتبك مما جعلها تنتبه إلى أن وجنته اليمنى، مثل فمه، هي أعلى من وجنته اليسرى. ولكن، بدلاً من أن يرد لها الضربة بنفس الضراوة، رجع بظهره إلى الخلف، رافعاً كأسه بيده بتحية ساخرة، وهو يقول: «هل أخبرك أحد من قبل انك تبدين رائعة الجمال عندما تكونين خبيثة؟»

احمر وجه كلوديا غضباً من هذه المجاملة الخسيسة، بينما ضحك هو.

قالت: «وهل أخبرك أحد من قبل بأن ألفاظك تشبه عقلك؟»

قال وهو ينظر إليها بعينيه المغناطيسيتين: «ليس ثمة امرأة بمثل جمالك، أيتها الأميرة. وإذا كنت قد رأيتني هذه الليلة قليل الذوق نوعاً ما، فذلك لأنك قد فاجأتني. وإنني اعتذر إذا كنت قد ضايقتك. إنني فقط كنت أحاول التوفيق بين عشيقة حلوة مرفهة لسائق سيارة سباق، وبين صورة عاملة كادحة باردة، لنا ضلين أنت في ضرورة أن تكونيها.»

نظرت كلوديا إليه بارتياب وهي تفكر في ما هو بسبيله الآن.

شعر مارك بارتياب هو أيضاً، فالتفت إلى أبيه قائلاً: «أبي، ماذا جرى لك لكي تسبب لها الإحراج بهذا الشكل؟»

من خلال خبرته بطبيعة أبيه، لم يكن مارك مسروراً بالطريقة التي يحتكر أبوه بها إهتمام كلوديا.

www.liilas.com

أجابه أبوه: «أبداً، إنني لا أفعل هذا. أليس كذلك يا كلوديا؟»

أجابت على تحدية ببرود قائلة: «كلا. فإنك إذا كنت قد سبق وعانيت من مضايقات الصحافيين والجماهير من الجنسين، يصبح، في نظرك، تشدق وفجاجة رجل أعمال، مجرد تهديد تافه لا قيمة له.»

تمتم قائلاً: «تافه؟ إذن، عليّ أن أناضل لكي أغير من رأيك بي.» وبعث لمعان عينيه، وهو ينظر إليها متوعداً رعدة شملت جسدها.

حاول مارك أن يلفت انتباههما معاً إلى نفسه بقوله: «والآن، يا أبي، لقد كنت، قبل فترة، أحدث كلوديا عنك وكيف ابتدأت تكون هادىء الأعصاب في السنتين الماضيتين...»

أجابه والده بجفاء: «أتعني منذ أن توقفت عن التصرف كطاغية؟» كان واضحاً أن الأب كان يردد كلمات سبق أن قالها له إبنه أثناء نوبة غضب، وتابع قائلاً: «لكي أتعرض للإنهيار نتيجة تصرفك الصبياني ذاك؟» فنظر إليه مارك مكشرا وهو يسأله: «تتعرض للإنهيار؟ إنك تعرف أن المبيع في الشركة قد تحسن منذ أن دخلت العمل معك. من الواضح أنك بحاجة إلى دم الشباب بين كل أولئك العجائز الذين يشتغلون معك...»

حقيقة كونهما استطاعا أن يتناولا بالمزاح ما كان يوماً خصاماً مريراً كاد يقود علاقتهما إلى حافة الإنهيار، هذه الحقيقة رأت فيها كلوديا علامة على المصالحة الدائمة الخالصة. ومع ذلك مايزال هناك شيء من التوتر يشير إلى احتمال عودة النزاع. ومارك لم يلاحظ ذلك بنفسه ولكنه

ورث عن والده نفس الرغبة الحادة في المنافسة، وكذلك نفس الكبرياء. لقد كان الأب هو الذي عبّد الطريق نحو ترميم العلاقات مع إبنه. فكيف تكون ردة الفعل عند مارك إذا هو اكتشف أن تلك المصالحة لم تكن إلا وجهاً آخر لممارسة السلطة الأبوية، وأن ذينك الإثنين، والدموتلك المرأة التي كان يظنها صديقة له، قد كذبا عليه وعنه؟ لقد ضيق وعانت كلوديا ما فيه الكفاية من الشعور بالذنب، ويجب أن لا تزيد هذا الشعور بإضافة التسبب في هدم الأساس الذي أقاما عليه علاقتهما الجديدة.

قال مورغان برقة: «إن تحسن مبيعاتنا لا يتعلق، بطبيعة الحال، بزيادة جمهورنا المتعامل. لقد كنا نحن، عماد المحافظين، الذين تغيرنا التأمين الذي يعود عليك الآن بهذه النتيجة الكبيرة.»

تساءلت كلوديا(عماد المحافظين؟) ولم تتمالك من الإبتسام بينها وبين نفسها. على الرغم من بدلة العشاء التي لا عيب فيها، والتهذيب البادي على سلوكه الذي يظهر نشأته في المدرسة الخاصة، فقد بدا لها أن مورغان ستون من الممكن أن يكون أي شيء ما عدا أن يكون محافظاً.

لم يمكنها إلا أن تتمتم قائلة: «لم أكن أدري أن مؤسسة السيارات المستعملة يمكن أن تكون مثيرة بهذا الشكل.»

نظر إليها الرجلان بفزع. وتلاشت ابتسامة كلوديا الباهتة عندما ساد الصمت. وتساءلت عن الخطأ في ما قالته.

بدا صوت مورغان مكبوتاً بشكل غريب وهو يسألها مستوضحاً: «سيارات مستعملة؟»

أجابت: «نعم. أليس هذا ما تتعامل به شركتكما؟»

قال: «أية واحدة؟»

أجابت: «إنني لم أدرك أن لكما أكثر من واحدة.»

أربكها مظهر الألم على وجه مارك بنفس القدر الذي أربكها بشاشة أبيه. وقالت متلعثمة: «ذلك.. لأن مارك قد قال إن أموالك إنما جاءت من وراء التعامل بالسيارات المستعملة...» وسكتت فجأة وهي ترى العينين الزرقاوين اللتين كانتا تحدقان في وجهها بارتياب، تتحولان فجأة نحو ولده.

تنحنح مارك ولكنه لم يقل شيئاً.

قال مورغان لكلوديا: «أهذا هو كل ما قاله لك؟»

أجابت: «أوه، نعم. إننا لم نتكلم كثيراً عن حياته، أو عنك.. وما قاله لم يكن فيه ما يستحق الإطراء.» وشعرت بالضيق وهي تجد نفسها في موقف الدفاع.

لسبب ما، بدت لمحة من السخرية في نظراته المتمعنة. وقال: «كلا. لا يمكنني أن أتصور أنكما أمضيتما الكثير من الوقت بالحديث عن..» وتوقف برهة ثم عاد يقول: «نعم. إنني أملك رخصة بالتعامل. وعملنا هو استيراد (الفيدورلينيني) و(الفيدراري) و(الجاكوار) و(الرولز رويس) وكل أنواع السيارات الأجنبية الراقية من جديدة ومستعملة. ونحن أيضاً نؤمن سيارات السباق.»

أغمضت كلوديا عينيها وهي تقول: «سيارات السباق؟» وشعرت بالأرض ترتعش تحت هجوم الآف من قوى الحصان فيها. وشعرت بمذاق الكيروسين في حلقها المتوتر... رائحة المطاط المحترق، والإثارة التي شعرت

بها في النهاية، أخذت منها أكثر مما خلب لبها حتى قبل أن يقتل كريس، كانت تستجمع كل ما عندها من شجاعة لتتمكن من رؤية السباق. هذا عدا عن ابتساماتها المفتعلة أمام العدسات، بينما هو في سيارة السباق يضع الحزام حوله لأنه يعيش لأجل السباق الذي عشقه أكثر من الحياة نفسها.

فتحت عينيها عندما أسرع مارك يطمئنها: «طبعاً هي نوع «الفورمولا» التي كان كريس يستعملها يا كلوديا. فالتي تحدث عنها أبي، هي السيارات الرياضية والمجوعة الأولى. ولكنني لم أذكر لك كل هذا وانني كنت أعلم مبلغ ألمك عند ذكر أي نوع من سيارات السباق. لقد كنت تتألمين حتى عند ركوب سيارة بعد ذلك الحادث بوقت طويل. إنني آسف، ما كان ينبغي لأبي أن يفاجئك بهذا.» ورمق والده بنظرة عتاب.

ابتسمت كلوديا برقة وهي ترى عبوسه وتردده وقالت: «كلا.. لا بأس في ذلك. صدقني.»

لم تنظر إلى مورغان، الذي لا بد أنه كان ينقب في رواسب حياتها ويثيرها بمكر. وتابعت تقول: «لقد تغلبت على كل ذلك منذ مدة طويلة. لم يكن لدي خيار حيث من المفروض، في الفندق، أن أتعامل مع كل ذوي العلاقة، وإن عندي الآن عدداً من الأصدقاء في عالم السباق.»

نظرت إليه ببطء، فقال بهدوء: «وإذا كنت قد سببت لك الآن أي ألم، فهذا لم يكن متعمداً مني. أرجو أن تسامحيني.»

يا إلهي.. في نفس الوقت الذي كانت مسرورة وتشعر نحوه بالكراهية، إذا به يهزمها بشكل ما. أسامحه؟ لا بد أن شيئاً ما قد قلب الأمور رأساً على عقب.

www.liilas.com

قالت: «ليس ثمة ما يستحق المسامحة.» كانت لهجتها صادقة وأثبتت ذلك بأن قالت هذا وهي تنحني برقة على الطريقة المنتظرة منها كموظفة علاقات عامة.

عندما حاولت أن تتوقع على تكاليف العشاء بنفسها لحسابها، جوبهت بمعارضة مورغان الشديدة وإصراره على أنها هي ضيفته. وسر عندما تناول مارك قائمة الحساب وذهب إلى الصندوق حيث دفعه من جيبه.

قال مورغان: «هل تحبين أن أوصلك إلى غرفتك؟» كان واقفاً بكل تهذيب وراء كرسيها عندما نهضت هي وقد تورد وجهها بالإنفعال. وقالت: «إنني لا أحب أن أعيقك عن الذهاب في طريقك.» ونظرت إليه ببرود وهي تفكر في أن غرضه ليس أكثر من إبعادها عن مارك. فقال: «ولكنك لن تعيقيني، فإن طريقي هو نفس طريقك. تعالي وسنودعين مارك عند المكتب.» وكانت يده على خصرها النحيل يشبه إصرارها عناد كلماته وهو يقودها خارج المطعم. ومشت معه كلوديا محاولة استجماع مشاعرها وهي تشعر بقوته بجانبها.

قالت بإبتسامة متوترة: «إذا كنت تظن أنني سأدعوك إلى كوب قهوة في غرفتي، فأنت مخطئ.» وأومأت برأسها إستجابة لتحية من وريد كان من رواد المطعم، وفكرت في أنها، بعد هذه الليلة، ستتحاشى لقاء أي منهما مرة أخرى.

شعرت بأنفاس مورغان الحارة تلفح عنقها وهو يهمس متمتماً: «كنت على وشك أن أدعوك إلى غرفتي.» وسمعت ضحكته تخترق الظلام. وتساءلت وقد تصلب ظهرها، عما هو بسبيله الآن.

قال: «يا أميرتي العزيزة. ألم تعلمي أن صحبتنا ستكون دائمة في هذا الفندق؟ عندما لا يكون الفندق مشغولاً بالزائرين أو الوكلاء، فإنني سأنزل فيه عندما لا أشعر بالرغبة في الذهاب إلى منزلي.»

تثاءب ساخراً وهو يتابع قوله: «وبالتأكيد، فأنا لا أشعر بالرغبة في العودة هذه الليلة. في الحقيقة، قد تكون فكرة حسنة، تبعاً للظروف، إذا أنا انتقلت إلى الفندق. ما دمت أنت موظفة هنا وعملك هو تحسين سمعة الفندق والعلاقات العامة. وإنني اتنبأ لنا نحن الإثنين، بأننا سنتقابل كثيراً في المستقبل...»

www.liilas.com
toto-06

الفصل الرابع

بعد ذلك بأربعة أيام، فوجئت كلوديا بملاحظاته اللاذعة، تحت ستار التملق والمداهنة، تعود فتتكرر من جديد.

ارتسمت على فمها ابتسامة ملتوية وهي تخرج من الحمام وقد لفّت جسدها بمنشفة. أن حدسها لم يكن ميتاً بالتأكيد، فهو ينبض بالاستياء من الحياة وهي تفكر في ذلك. لقد خشيت أن يشكل خطراً على اتزان حياتها وعلى كرامتها التي ناضلت في سبيل الحفاظ عليها.

سببت أفكارها الثائرة وخزات في أنحاء جسدها أكثر مما سببه الدعك العنيف المتوتر بالمنشفة. وألقت نظرة عابسة على جسدها الرشيق المتورد اللون وهي تلقي بمنشفة الفندق البيضاء. ذلك الرجل اللعين. إنها لم تستطع التخلص منه حتى في تفكيرها.

إنها الليلة الثالثة لمورغان ستون في الفندق حيث لم يجد رغبة في نفسه للعودة إلى بيته. حقاً ان رؤية كلوديا له، قد اقتصرت على لمحات عارضة عن بعد، ولكن، مجرد علمها بأنه موجود في المكان مترددا على الأمكنة التي تتواجد هي فيها، كان يشعرها بعدم الارتياح. وبعد أن كانت قد بدأت تشعر بالراحة في محيطها الجديد، أصبح عليها الآن أن تشد من عزيمتها في كل مرة تخرج فيها من باب غرفتها.

ما زالت تميل نوعاً ما، إلى الاعتقاد بأنه كان يقصد إغواءها عندما كان يهددها بحضوره في الليلة الأولى، وقد

أغلقت كلوديا الباب بحدة في وجهه، ثم اتصلت هاتفياً من غرفتها بعاملة الهاتف الليلية التي كان معروفاً عنها الأنفة وعدم الموافقة على ما قد يجري في كواليس الفندق، وبالتالي يمكن الوثوق بها بالنسبة إلى ما يتعلق بكلوديا. كانت «جوي تاسلتر» امرأة في أواسط الثلاثينات من عمرها، ضئيلة الحجم ذات صوت عميق.

قالت كلوديا: «جوي، هل سمعت باسم مورغان ستون؟»

أجابت هذه: «يا عزيزتي، ليس ثمة أحد في ويلنغتون لم يسمع بهذا الرجل. وأظن أن هذه هي خطته للاعلان. فإن اسم مورغان ستون يذكر بالسيارات. هل تريدين ابتياع سيارة؟»

ارتعدت كلوديا. إن من امتيازات السكنى الداخلية في الفندق، هو عدم الحاجة إلى اقتناء سيارة.

أجابت: «كلا. بالنسبة لمعاشي هذا، وإنما كنت أتساءل فقط. ذلك إنني لم ألاحظ هذا الإسم على القائمة التي تحوي أسماء النزلاء الدائمين، ولكنني علمت أن له مجموعة هنا في الفندق.»

سكتت، لتجيبها جوي: «ليس له شخصياً وإنما لشركته (مورغان وولده) وذلك منذ حوالي الخمس سنوات. فهو يرسل إلينا شخصيات تجارية لا بأس بعددها والبعض منها شخصيات لامعة. مثل سائقي سيارات سباق أو رائدين رسميين... وهكذا.»

غاص قلب كلوديا. «مورغان وولده؟» ربما كان قد عرض لها هذا الإسم في مكان ما في قوائم أسماء النزلاء، ولكن لم يكن ثمة الإسم الكامل (ستون) مسجلاً.

قالت: «لقد فهمت. إنما هل يمكث، هو نفسه، غالباً هنا؟»

www.liilas.com

أجابت: «أظنه يمكث الليل أحياناً، وأحياناً، عندما يكون صديق شخصي له هنا، يطيل إقامته...»

قالت: «أتعنين بالصديق الشخصي، امرأة مثلاً؟»

ساد الصمت برهة لتنفجر بعدها جوي ضاحكة وهي تقول: «كلوديا، هل تسألينني عما إذا كان يستعمل اسم شركته لتنفيذ مآربه الحميمة؟»

قالت كلوديا: «كلا، طبعاً. لم أتوقع منك أن...»

قالت جوي ضاحكة: «إهدئي، فإنما قصدت إغاظتك فقط. إنني أعلم أنك لا تنبشين الأمور القذرة لمجرد الرغبة بذلك. إنه عازب على كل حال. ولهذا فهو غير مضطر إلى التخفي. بعض أصدقائه كن نساء كما أظن، ولكنهن من ذلك النوع العملي البحت المهملات لمظهرهن. إذا كان هذا ما يشغل بالك. ولكن، لا أظن أن رجلاً مثل مورغان، يفكر في القيام بعمل يشين سمعة الفندق.»

قالت كلوديا بسرعة: «كلا، طبعاً لا.» وفكرت بفزع في أنها هي التي من الممكن أن تفعل ذلك وليس مورغان ستون، وبالنسبة إلى سيرتها الماضية ووضعها، فإن من الممكن أن تثير الأمور إذا هي لم تأخذ حذرها في معاملاتها مع الصحافة. ولحسن الحظ، كانت قد بدأت تنشىء علاقات حسنة في أوساط المدينة.

سألتها: «هل تعمل هاتفياً بطلب أي خدمات خاصة منتظمة؟» ولقد حاولت أن تضمن سؤالها هذا صفة رسمية. ولكن جوي لم تكن حمقاء، فقالت: «هل ما زلنا في نفس الموضوع؟»

شعرت كلوديا بوجهها يتوهج خجلاً من تهكم جوي هذا،

وتذكرت ما كان مارك قد قاله عن أبيه من أنه يوشك أن يدفع للنساء أجرة لكي يبتعدن عنه، بخلاف ما هو مفترض.

قالت: «كلا... جوي...»

جاء صوت جوي يقول: «أعمال السكرتارية، عندما يحتاج إلى مراسلات أثناء وجوده خارج الشركة. وهو عضو في نادي الصحة واللياقة البدنية. وأحياناً يقيم مؤتمرات في القاعة المخصصة، كما أنه يقيم دعوات عشاء في المطعم.» وأضافت جوي ضاحكة: «إن الشيء الذي لا يستعمله أبداً هو، خدمات جهنم.» وأضافت بتهكم: «أتريدين معرفة شيء آخر؟ ثمة اتصالات عديدة تنتظرني.»

قالت وهي تضع السماعة: «كلا، شكراً.»

إن ما سمعته الآن هو كاف ليسبب لها الإنزعاج. فقد بدا أن مورغان ستون على معرفة بالفندق وأهله أكثر منها هي. ومن حسن الحظ أنها لم تصادفه قبل الآن، وإلا لذهب منها الحظ.

ارتدت كلوديا ملابسها الداخلية، وجلست تجفف شعرها بسرعة، لتضع بعد ذلك، الزينة على وجهها مما قوّى من ثقتها بنفسها وبالعالم.

كانت تناسبها الألوان المشرقة التي اعتادت على أن تستعملها بمهارة عندما كانت تعرض مع كريس. وقد كان هو مولعاً بالنساء الجميلات بحيث كان هاجسها الأوحد أن تتعلم كيف تبدو على غاية من الجاذبية طوال الوقت، وذلك في سبيل الاحتفاظ به. ومن حسن الحظ، أن بعض عارضات الأزياء من صديقاتها، حاولن أن يعلمنها بعض الخدع المهنية، ولكنها وجدت في مداومة التركيز على مظهرها،

إرهاقاً بالغاً. وبعد أن مات كريس، ألقت كلوديا بأدوات زينتها في الأدراج، كما أنها باعت تصاميم ثيابها الغالية الثمن مع شعور بالارتياح.

فقط عندما جاءت للعمل في فندق بارون، أدركت مبلغ أهميتها وفائدتها بالنسبة لمظهرها العام في الوظيفة، إذا هي استعملتها بحذر وفطنة. ولما كانت ثقتها بنفسها وبمقدرتها، في ازدياد، فقد شعرت بالسرور لابتعادها عن المجتمعات العامة، محاولة، في الوقت نفسه، أن تراقب سير المعلومات عنها قبل أن تقع ضحية لها.

انتهت عملية التبرّج، وارتدت ثيابها باهتمام زائد، كما بذلت نفس الاهتمام في العناية بتصفيف شعرها. ونظرت في المذكرة التي كان مدير الفندق سايمون دسها تحت باب غرفتها في الليلة السابقة، لتقرأ فيها مرة أخرى.

ثمة اجتماع في مكتبي غداً صباحاً التاسعة بالضبط مع مورغان ستون إذ قدم لنا اقتراحاً للتنفيذ في غاية الأهمية.

شحب وجه كلوديا عندما وصلت إلى الجملة الأخيرة المنتهية بعلامتي تعجب. وتساءلت ما إذا كان مورغان ستون يتعمد ابتزازها في زواج ما.. لقد بقيت في فراشها طوال الليل، في التساؤلات والتخمينات، والمخاوف مما يمكن أن يأتي به الصباح.

ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة، وكانت تتأوه، إذ أنه على الرغم من عملية صبغ وجهها المحكمة، فقد ظهر حول عينيها هالتان داكنتان بسبب عدم اكتفائها من النوم. ولكنها ما لبثت أن رسمت على فمها ابتسامة ليست هي تلك الابتسامة الدافئة الساحرة التي كانت تسر

أصدقاءها، ولكن ابتسامة باردة ملتوية تصلح لكل ظرف ولكل قادم.

كان مكان عمل كلوديا محصوراً بين مكاتب المحاسبة خلف غرفة الاستعلامات في الطابق الأرضي. ولم يكن ذلك المكان يبدو عليه نفس الأبهة والجمال الذي تبدو عليه واجهة الفندق. وقد ذهبت أولاً، إلى هناك لتترك الرسائل وتلقي نظرة على المواعيد لهذا النهار، مستبدلة فطورها بكوب من القهوة قبل أن تسلك طريقها إلى مكتب سايمون.

كانت قد بكرت عن الموعد آملة أن تتمكن من تبادل بعض الكلمات مع سايمون لكي تحضر نفسها أمام أية مفاجأة غير متوقعة. ولكن ما أن اقتربت من الباب حتى سمعت أصواتاً رجالية أحدها جعل الرعدة تسري في جسمها. كانت قد لبست حذاء عالي الكعب بدلاً من حذاء العمل المعتاد. ودخلت المكتب رافعة الرأس منتصبة القامة وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة، مستجمعة شتات كبريائها بتكلف مظهر الزهو والثقة بالنفس، ولكنها كادت أن تتعثر بحقيبة مورغان اليدوية الموضوعة على السجادة وسط الغرفة. وقالت كلوديا بلهجة هي أدنى إلى السخرية منها إلى الاعتذار: «ظننتني آسفة» بينما وقف هو يمعن النظر فيها ويده على ذراعها وهو يضع ملف الأوراق الخاصة على مكتب سايمون، فيما سحبت هي ذراعها منه وجلست على الكرسي التالي له بكل رصانة.

وضعت ساقاً على ساق. ولما رأت مورغان ينظر إليها بعينين ضيقتين، انتبهت إلى أن، ودون انتباه منها، كعب حذائها العالي كان مصوباً إلى مورغان الذي عاد فجلس قبالتها.

www.liilas.com

تمتم ونظراته تشمل ساقها إلى وركها الذي كان محدداً بتنورتها الضيقة: «خطرة ومسلحة.» ثم ارتفعت نظراته إلى وجهها المتبرّج مفكراً في الطريقة التي يمكنه بها أن يعكر من فتونها. أما هي، فشملته بنظرة ازدراء متمنية لو تجد ما تأخذه عليه. وفكرت بحقد في أن الرجل غير الوسيم يحسن عادة اختيار ملابسه. ففي الوقت الذي كان سايمون يرتدي بدلته المعتادة القاتمة اللون، كان مورغان يرتدي بدلة صيفية متألقة، سترتها من الكتان لونها وردي قاتم وتحتها قميص حريري أبيض مفتوح عند العنق. إضافة إلى سروال أبيض من الكتان، كما أن حذاءه كان أبيض هو أيضاً.

قال يلفت أنظارها: «إنها لعنة بائع السيارات المستعملة. حذاء أبيض متألق.» ولاحت على فمها ابتسامة ذات معنى ولم تتمالك نفسها من القول: «وشخصية تناسبه.»

قال سايمون ببطء: «لم أكن أعلم أنكما على معرفة جيدة ببعضكما البعض.» وفتحت كلوديا فمها تريد نفي ذلك ولكنها عادت فأقفلته بعد ان انتبهت إلى أن في قوله ما يحملها على الحذر. إذ أن ابتداءها بتبادل الكلام الجارح مع مورغان سيحمل سايمون على التساؤل عن السبب.

قال مورغان: «ذلك أن ثمة ذكريات تجمع بيننا، أليس كذلك أيتها الأميرة؟»

بدت على وجه سايمون علامات عدم الارتياح وهو يتطلع إلى وجه كلوديا قائلاً: «أميرة؟ لم تخبريني أن لك لقباً مضى أوانه، من ماضيك اللامع؟»

أجابت بصرامة: «إنها فقط مزحة صغيرة من السيد ستون.» وبدا عليها عدم تقبل هذا المزاح.

أفزعها مورغان بقوله: «يمكنك أن تفضلي استعمال كلمة السيد هذه فإن سايمون ليس أحمق.» ومال بجلسته نحوها ومد ذراعه ببساطة على مسند المقعد وهو يقول: «إننا، أنا وكلوديا، نعرف بعضنا البعض منذ سنتين وفي الواقع، فقد تناولنا الطعام معاً هنا في الفندق منذ ليالٍ قليلة.»

قال سايمون: «أوه، لقد فهمت.» ومع أنه لم يفهم شيئاً، فقد كان ماهراً في الدخول في الموضوع وتابع يقول: «هل في ذلك ما يحتم علي قيام أي نوع من المشكلات؟»

قال مورغان: «ليس بالنسبة إليّ. وأنت يا كلوديا؟» فنظرت كلوديا إليه عالمة بأنه قد كوّن فكرة زائفة عن علاقتهما الماضية مدركة أنها إذا لم تتصرف بصورة طبيعية، فإن سايمون سيأخذ عن ذلك فكرة خاطئة تماماً.

قالت: «كلا، بالطبع.» وأضافت بطيش، وهي ترى نظرة الفوز في العينين الساحرتين: «في الحقيقة، لقد كنت صديقة لإبن مورغان، وقد تناولنا، نحن الثلاثة، طعام العشاء تلك الليلة. إنني، ومورغان، لا يعرف أحدنا الآخر، أبداً. لقد سبق وتقابلنا مرتين فقط.»

قال مورغان بشهامة ساخرة: «إذن، يمكننا الآن أن نسميك صديقة الأسرة وهذا يناسبني تماماً. ذلك لأنني كما تعلم يا سايمون، أحب أن أقوم بأعمالي على مستوى المعارف غير الرسميين. ومع كلوديا، فإنني مطمئن تماماً إلى مكاني.»

www.liilas.com

قالت كلوديا برقة، متمنية لو استطاعت أن تضعه في مكانه الذي يستحق: «على كل حال، ربما شاء أحدكما أن يخبرني عن سبب هذا الاجتماع.» قالت ذلك آملة أن تتحول المحادثة إلى موضوع أقل خطورة.

قال سايمون: «بالتأكيد. هل تحب أن تتناول كوب قهوة أولاً يا مورغان؟ وأنت يا كلوديا؟ إنك لا تبدين مشرقة كالعادة. هذا الصباح. هل ذهبت إلى موعد وتأخرت الليلة الماضية؟»

تملصت هي من الجواب مازحة إذ رأته يحاول إغاظتها، ولاحظت بعدم ارتياح، نظرات مورغان الحادة إليها. ولم تشأ الاعتراف بأنها كانت منزعجة الليلة الماضية حتى أنها لم تنم إلا لماماً، فتفتح أمامها باباً لأسئلة المزعجة.

قال سايمون: «بما أنك لست مواطنة في هذه المدينة يا كلوديا، ربما لا تعلمين أن مورغان سيقوم بالتأمين هذه السنة، على سباق الخمسمائة كيلومتر. إنه سباق السيارات السنوي حول شوارع ويلنغتون.» وتفرع بهم الحديث حول شؤون مختلفة إلى أن جاءتهم السكرتيرة بالقهوة.

قال سايمون: «في الماضي، كانت تقوم بالتأمين شركة بترول، ولكن، هذه السنة، تسلم مورغان وابنه مسؤولية أغلب التأمينات. وبطبيعة الحال، فإن مورغان يريد أن يقوم بأكبر قدر من الرعاية تستفيدها شركته. وحيث أن أكثر السائقين الأجانب سينزلون في فندقنا هذا، فإن أية دعاية يقوم بها سنستفيد منها نحن طبعاً. لهذا، فهو يقترح، للإقلال من نفقاتنا التي ستتضاعف، إقامة أسبوع لأعمال السباق وذلك على غرار مهرجان الأزهار الذي قمت أنت به

الأسبوع الماضي. لقد كان نجاحه هائلاً. بالمناسبة يا مورغان بما أنك قد طلبت مني مساعدة كلوديا في هذا، فإنني، في الحقيقة، لا يمكنني أن أبيع موهبتها لك...»

«تماماً.» وهذه الكلمة الجافة جاءت مخالفة لحماسة سايمون العارمة حتى أن كلوديا شعرت بالدم يتصاعد إلى وجهها. ومن حسن الحظ أن سايمون لم يلاحظ عدم ارتباكها.

استطرد سايمون قائلاً: «في الواقع، إذا نجح هذا المشروع، فإنه يكون في وسعنا أن نضم إليه مشاريع أخرى ونجعله حدثاً سنوياً فنسميه مثلاً، مهرجان المحركات، أو شيئاً مماثلاً. ما رأيك يا كلوديا؟ ألا ترينها فكرة مثيرة؟»

قالت بضعف: «إن كلمة مثيرة لا تعبّر عنها.»

قال مورغان بمكر: «إنها محركة، منبهة، تهز الجسم. هل أثارت اهتمامك؟» وفكرت كلوديا أن مهارته لا تقتصر كما يبدو، على بيع السيارات، فقد كان يدرس في الجامعة قبل أن تتدخل الكرامة والظروف. وهي تشك في أنه يمكنه أن يربطها بكلمتها إذا هو استعمل حقاً ذكاءه الهائل ذاك.

قالت كالهة بصوت متضعضع يطل منه الخوف: «كنت أفكر في أمور أكثر هدوءاً.»

«أحقاً؟» واستند مورغان بظهره إلى الخلف، وهو يقول هذا، ماداً ساقه ليتمكن من دس يده في جيبه، بينما كان يرفع بيده الأخرى، كوب القهوة إلى فمه ليبدو، بذلك مثالاً للكسل. ولكن عينيه لم تكونا كذلك، بل كانتا كرصاصتين من الفولاذ الأزرق تطلقان عليها أسئلة صامتة. وقال: «إنني

www.liilas.com

لم أر مثلك أبداً موظفة علاقات عامة. في مثل هذه الأحوال، إن أي وكيل إعلام عادي ما كان ليكتسحني بأسئلته وآرائه.»

قال سايمون مبتسماً: «إن كلوديا ذات طبيعة مختلفة، وهذا ما يجعلها ذات كفاءة غير عادية. فهي لا تغرها المظاهر. إنها حذرة وعملية جداً. وتنظر دوماً في كافة الزوايا قبل أن تضع قدمها. فإذا هي تبنت مشروعاً ما، فذلك بعد أن تتأكد من أنه سينجح لفائدة الفندق. وهي لم تفشل أبداً حتى الآن. وإن سجلّها العملي هو من الأسباب التي تجعلنا مسرورين بانتقالها إلينا.»

قال مورغان وهو لا يرفع عينيه عن ملامح كلوديا المتصلبة: «إنك تدهشني بقولك هذا. كنت أظن أن كلوديا مخلوقة ذات حرارة واندفاع...»

ضحك سايمون قائلاً: «كان الحق مع كلوديا. من الواضح أنك لا تعرفها جيداً. تأكد يا مورغان أنها إذا هي صممت على أن تسير في هذا المشروع تحت مسؤوليتها، فإنك ستحصل على كل انتباهها واهتمامها.»

انفرجت شفتا مورغان بابتسامة ملتوية وهو يرى الذعر يجتاح ملامح كلوديا لدى سماعها كلمات سايمون التي أساء اختيارها.

قال مورغان: «إنني متشوق لهذا.»

قالت كلوديا بجفاء: «هذا يكفي. والآن، هل تعني أن لي حق الإختيار؟»

بدت على وجه سايمون الحيرة لنبرة التهكم في صوتها. ولكن مورغان أجاب عنه وهو يهز كتفيه: «بطبيعة الحال.

إلاّ إذا كنت لا تجدين في نفسك الكفاءة والمقدرة على معالجة هذا الموضوع...»

لقد كانت تعلم ما هو بصدده. إنه يتحداها جهاراً بحماس الشباب، مفكراً أنه بهذا، يحملها على القبول. لا بد أنه يراها صبية. وقالت ببرود: «إنني أعرف في نفسي الكفاءة على ذلك.» لقد صممت على أن تثبت له أن الحماسة والحرارة لن يمكنهما أن تتغلبا على عقلها مرة أخرى. ذلك أن آخر مرة سمحت فيها لمشاعرها بأن تفسد حكم العقل عندها، وذلك منذ سنتين، أدت بها إلى هذه الحال. إنه درس التخرج في ميدان الخبرة في ما تراه الآن من نجاح. ست سنوات دراسة لاكتمال النضج عندها. إن ما تتوقعه الآن من الحياة، يختلف كثيراً عما كانت تتوقعه تلك الفتاة البسيطة العاطفية التي كانت ترى العالم قد خلق للحب. وتابعت قائلة: «وأنا لا أريد أن أثبت ذلك بالمجازفة في مشروع غير مقبول.» وما أن خرجت هذه الكلمات من فمها، حتى ندمت عليها ولكن، بعد فوات الأوان.

قال مورغان وعيناه متسعتان ببراءة مصطنعة: «مجازفة؟ إنها كلمة هامة تستعملينها. ما هي عناصر هذه المجازفة التي تتكلمين عنها؟ إنها لا تماثل طلبي منك، مثلاً، أن تقودي إحدى السيارات بنفسك.»

هنا تنحنح سايمون وهو يقول بحذر: «مورغان، هل تعرف أن كريس ناش...»

قاطعه مورغان: «نعم. إنني أعرف تماماً ماضي كلوديا، ولكنها أكدت لي أنها تجاوزت أزمة تحطم السيارة التي قتلت عشيقها.»

www.liilas.com

كانت مقاطعته الباردة هذه قد انتقلت به من التحدي الإستفزازي إلى التشهير الكامل. وتابع: «ولو لم أصدق قولها ذاك، لما كنت هنا الآن أقدم هذا العرض. على كل حال، فأنا لا أعتقد أن خطر الإصطدام في السباق هو المجازفة التي تشير إليها كلوديا.»

قال سايمون: «أوه، فهمت...» كان نادراً ما يصيب الضياع سايمون، إنما هذه كانت واحدة من تلك اللحظات النادرة.

نقلت كلوديا أنظارها بعجز بينه وبين ملامح مورغان الصارمة، وهي تشعر بعدم قدرتها على الاستمرار في هذا الموقف دون أن تفقد كرامتها. لقد علمت منذ البداية أن ثمة مؤامرة ضدها. ولكن علمها هذا لم يجعلها تسلم بالواقع فتجعل فوزه سهلاً. وتساءلت كيف يمكنها أن تنسحب من وضعها هذا دون أن يبدر منها أية حماقة أو نزق، كما حدث منذ قليل؟

قالت بصوت هادىء: «حسناً، إنني...»

قال مورغان موجهاً حديثه إلى سايمون: «ربما إذا أنا انفردت بها وشرحت لها الفكرة، بنفس الطريقة التي شرحتها لك، استطعت بهذا أن أحصل على موافقتها.»

مرة أخرى، أصابها مورغان في الصميم. وبدا على سايمون الارتياح وهو يقول: «حسناً جداً يا مورغان.» وازداد ارتياحه عندما قالت كلوديا وقد أشرق وجهها بابتسامة: «لا ضرورة لذلك. إن المناكدة ليست من طبعي. وفي الحقيقة، يمكنني أن أرى بعض الفائدة من هذا المشروع لمجموعتنا الفندقية بأجمعها وليس فقط

فندقنا هذا. لماذا لا تدعني أقوم بوضع بعض الأفكار؟»

قاطعها مورغان معترضاً: «بل نقوم بهذا معاً...»

قالت له بحذر وهي تصوب نظراتها إلى زر قميصه العلوي: «عفواً؟»

قال: «قلت إن الأمر لا يتعلق بك وحدك، بل بنا نحن الاثنين.»

لكنها ما زالت مصرة على عدم النظر إليه مباشرة... إنها تريده أن يعرف موضعه الحقيقي. وقالت: «من الطبيعي أن أناقش مطالبك مع وكيلك الإعلامي قبل أن...»

قال: «إن هذا ليس ضرورياً، ذلك أن تدخلهم سيكون في مناطق أخرى كما سبق وذكرت ذلك لسايمون. إنني أفضل أن أقوم بتنفيذ هذا المشروع بالذات بنفسي.» وشدد على الكلمة الأخيرة بشكل جعلها لا تغفل ما يتضمنه كلامه من تهديد.»

انحنى إلى الأمام يتعمد النظر إلى الأماكن المكشوفة من جسمها، وكانت عيناه تلمعان بسخرية دفينة وهو يتابع قوله: «في عصر الآلة هذا، ما زلت أعتقد أن اللمسة الشخصية تضفي جمالاً على الشيء. أليس كذلك؟»

قالت: «ولكن، لا بد أن وكيلك سيطلب أن يكون داخلاً في المشروع. أعني كثيرون منهم ولكن...» وتوقفت عن الكلام وهي تتساءل عما يمكن أن يحدث من وراء لمسته الشخصية تلك، إذ أن سرورها يزداد، كلما ازداد عدد الأشخاص الذين يقفون بينهما، ولو استطاعت لوضعت كل كثافة مدينة ويلنغتون بينها وبين هذا الرجل.

قال وقد بدت في صوته لهجة السيطرة: «إن

www.liilas.com

الديموقراطية جيدة جداً، ولكن، في هذه القضية، فإنني أفضل أن أكون مستبداً. إن أمامنا شهرين فقط قبل أن يحل موعد السباق، ولهذا يكون من الأفضل، بالنسبة إليك أن تتعاوني معي مباشرة. إنني متأكد من أن التعاون بيننا نحن الاثنين، سينتج عنه بعض الآراء غير العادية.. وسيزيد من اهتمامك مما سيدر علينا معاً من فوائد جمة.»

لو كانت كلوديا في حالتها العادية، لانفجرت ضاحكة. فقد كان ذا نبوغ فائق في المكر. ولكن روح النكتة فيها قد تلاشت كلياً في الأيام القليلة الماضية التي أمضتها برفقة مورغان ستون حتى انها لم تكد تعرف نفسها.

قالت له: «إنني، بطبيعة الحال، أتكلم بن فيانك بوصفك متعاملاً معنا ولو أنني أظن أنك مخطىء في هذا بالذات.»

قال بسرور وهو يمدّ يده برقة بالغة: «إنني لست متعاملاً، بل شريكاً. هل اتفقنا على هذا الأساس؟» وأخذت هي يده، وهي تخفي اشمئزازها من سايمون إنما ليس منه هو. وكانت عيناها اللتان كانتا متبلدتين من الإرهاق حين دخلت الغرفة، قد اشتعلتا الآن بالثورة المكبوتة، ولم تكن لتدهش لو أنه حاول أن يقبلها بتقبيل يدها كما سبق وفعل حين قدم مارك لواحد منهما للآخر. ولكنه مدّ يده معلناً اتفاقهما. وكان شعورها بأنها وقعت في المصيدة أقوى منه في أي وقت آخر. وتساءلت كلوديا عن نوع الاتفاق الذي ربطت نفسها به، في الوقت الذي كانت تنسحب فيه، نفسياً وجسدياً، من الحقيقة الصارخة لقبضته الواثقة.

قال سايمون متلهفاً لأن يقوي من اتفاقهما: «هذا عظيم. إنني إذن، سأترك الأمر لكما لكي تبحثا في التفاصيل. وستبلغانني النتيجة. أليس كذلك يا كلوديا؟ وحيث أن هذا الأمر سينعكس على اسمنا، دولياً، أظن أنه من الأنسب أن نأخذ موافقة رئيس المكتب على ذلك. ولا أظن أنه سيمانع في ذلك حيث أن حدثاً كهذا سيمنحنا شهرة واسعة.»

نهض مورغان واستدار إليها قائلاً: «وفي هذه الأثناء، أكون أنا قد أوضحت لكلوديا كل شيء. هل تفضلين ذلك أن يكون في مكتبك أم في مكتبي؟»

أجابت وهي تحمد الله على أنها وجدت عذراً حقيقياً: «في الحقيقة إنني مرتبطة، لهذا النهار بمواعيد تستنفد كل وقتي.»

لقد كانت بحاجة ماسة إلى وقت تستوعب فيه الأحداث المستجدة هذه الضاغطة عليها.

بانت السخرية في عينيه وهو يقول: «إنني أيضاً رجل مشغول، ألا يمكنك منحي دقيقة أو اثنتين الآن قبل أن تبدئي أعمالك المتراكمة؟»

انتبهت كلوديا إلى حركة من سايمون تنم عن عدم ارتياح، مما لم يدع لها سبيلاً للمعارضة. ذلك أنه يمكنها بالطبع، أن تنهي هذه المسألة وتتعامل معها بالسرعة وقت، وإذا قامت هي بعملها على ما يرام، فباستطاعتها، عندئذ، أن تقلل من اجتماعها بمورغان قدر الإمكان.

قالت بثبات وهي تقف: «إن أول موعد لي لن يكون قبل عشرين دقيقة.» كانت تريد أن تبدو بمظهر أرباب الأعمال. وكانت عيناها بمستوى ذقنه حتى مع كعب حذائها

العالي... وكانت ذقناً عنيدة مشاكسة. وقالت: «وأظن هذا وقتاً كافياً بالنسبة إليّ لوضع الخطة. إذا لم تجد في هذا استعجالاً مني لك.»

فأجاب بلطف: «عشرون دقيقة هو وقت كافٍ جداً بالنسبة إليّ.»

سرت في جسدها رعشة وهو يتبعها إلى الممر، وسارت في الممر القصير، شاعرة بتحديق مورغان إلى كعب حذائها، وما أن دخل إلى مكتبها الصغير، حتى بدا لها، هذا المكتب فجأة، أصغر حجماً. وأسرعت هي تدعوه إلى الجلوس، آملة أن يقلل حجم المكتب من الهالة المرعبة من الرجولة الطاغية التي تحيط به.

لكن، ما أن مرت بجانبه، حتى أمسك بمرفقها برقة، وأدارها لتواجهه، قائلاً: «هل تشعرين بصداع؟»

كان من القرب منها بحيث أمكنها أن تشم رائحة جسده. كان عبير رجولته القوي يناقض رقة صوته العميق. وما أن نظرت إليه، حتى ارتفع اصبعه الضخم يربت على التقطيب الذي بدا بين حاجبيها. وقبل أن يصدر عنها أي احتجاج، مر بإصبعه على الهالتين الخفيفتين حول عينيها وهو يتابع قائلاً: «إنني أعلم أنك لم تخرجي الليلة الماضية. لهذا يجب أن يكون ثمة سبب آخر لهذه العلامات هو الذي منعك من النوم.»

أجابت بحدة: «أنا.. كلا.. في الحقيقة، لقد رقدت كالطفل.» وحاولت، وهي تقول ذلك، أن تخفي الرعدة التي شملتها وهي تشعر بلمساته. وفكرت بأسى في اضطرارها الدائم للكذب.. ولكن، كذبة أخرى لا تهم كثيراً.

غير أن جوابه كان صاعقاً وهو يقول برقة الأبوة المتفهمة: «ولكن الأطفال يستيقظون، أحياناً، باكين، أثناء الليل.» ومر بأصابعه على عينيها بلطف وكأنه يمسح دموعاً غير مرئية فوق الهالة الداكنة حول عينيها. وتابع قوله: «هل تبكين أحياناً، طفلك المفقود، يا كلوديا، أثناء لياليك الطويلة الموحشة؟»

شعرت كلوديا به يطعنها، بقوله هذا، في الصميم. وحوّلت رأسها بعيداً عن لمسات أصابعه الرقيقة التي ضايقتها، ولكن قبضته على مرفقها منعتها من الحركة.

همست: «ليس لك الحق...»

أجابها بمثل همسها: «ومن غيري له الحق؟ من غيري عرف عن أمر طفلك؟ ثمة ألم وحزن خفيان يجمعان بيننا يا كلوديا. إنك لم تنسيه وكذلك أنا. إنك لم تفعلي أكثر من أن طويت ذكراه جانباً بحيث لا يراها أحد، فلا يؤذونك بإظهار شفقتهم أو فضولهم. ولكننا، أنا وأنت، نعلم أنه ما زال بيننا ويوماً ما، سنتحدث في هذا الشأن لننهي النزاع...»

«كلا...» وحاولت بذعر، أن تخلص نفسها من قبضته. أن تحمله على الاعتراف بأن مشاعره هو زائفة ويريد بها إخراجها عن طورها، ليس إلا. ولكنه منعها، بسهولة، من أية محاولة للتخلص ومن ثم جذبها نحوه.

صرخت: «إياك...» ولكنه كتم صرختها المحتجة بصدره، وهو يقول: «كفّي، إذن، عن محاربتك لنفسك. لقد قلت، «يوماً ما...» وليس «هذا اليوم...» ذلك أننا غير مستعدين لذلك بعد.»

لم تقاطعه، بل قالت: «اتركني.»

www.liilas.com
foto-06

أجاب: «سأتركك عندما تهدئين. إنك ترتجفين وكذلك قلبك يخفق بعنف.»

انتابها إحساس بالغ بالتوتر والخوف وهو يضغط صدرها بصدره الصلب. ويزيد من احتوائها بذراعه بلطف ورقة بالغين تعبران عن كل ما تعني مشاعر الرغبة عنده، كرجل، إزاء ضعفها كامرأة، في الحماية وبعث الإطمئنان في نفسها. لقد مرت ثلاث سنوات تقريباً منذ أن كان ينتابها مثل هذه المشاعر عند احتضان كريس لها، وحتى في ذلك الحين، لم يكن احتضانه لها ليبعث مثل هذا الشعور الذي كانت دوماً تفتقده حتى في ذلك الوقت، لم يكن شعورها بذلك، بنفس القوة التي انتابها حين شعرت بالحمل. وسواء كان كريس في شارع السباق أم خارجه، فقد كان دوماً من عشاق السرعة. ومع حبها له، كانت تشعر أحياناً بالإهمال لها منه وذلك بالنسبة لطبيعته العجول. فهو لم يجد وقتاً أبداً، أثناء حياته المندفعة، ولو لاحتضانها أو للشعور بالقرب منه. لقد كانت قبلاته دوماً موزعة بين الأصدقاء والمعارف، ولكن، إذا هو فكر مرة في أن يضع ذراعه حولها، فذلك فقط للوقوف أمام عدسات الصحافيين.

دفعها تداعي أفكارها الخطر، إلى أن تجذب نفسها من بين يديه، وهي تتساءل عما يمكن أن يظنه أي شخص يمكن أن يدخل مكتبها فجأة فيراها بين ذراعيه.

قالت تتصنع الهدوء: «إنني بخير الآن.»

رفع هو ذقنها يمعن النظر بوجهها النحيل وعينيها الواسعتين البنيتين اللتين تعكسان شعوراً بالذنب. وأحست

هي بنظراته تنحدر إلى فمها الجاد. وبقي كذلك إلى أن أحست بالحرارة تتصاعد إلى وجهها.

عندذاك، أطلق سبيلها وجلس وقد بانت في عينيه لمحة سرور وهو يراها تأخذ مقعدها وراء مكتبها.

قالت بصوت مرتجف: «كيف علمت أنني لم أخرج في الليلة الماضية؟» وكمنت نفسها لأنها لم تبدأ بالحديث مباشرة عن العمل.

ازداد سروره وهو يجيب ببساطة: «لقد سألت عن ذلك.»

شرت في داخلها إذ أفلحت في أن تظهر الغضب والصرامة وهي تقول: «سألت من؟ وكيف تجرؤ على التجسس علي؟»

كان من عادة كلوديا أن يتحشرج صوتها عند الغضب ليبدو كمواء القطة بينما هي تريد أن تزأر كالأسد.

أجاب هو: «رويدك يا كلوديا. إنك تعرفين حساسيتي إزاء التحدي. إنني أجرؤ على ذلك لأن هذا يهمني. إنك تبدين إنساناً طبيعياً وأنت ثائرة أكثر مما لو كنت في ملابس العمل الرصينة وقد بدا عليك البرود وعدم الإكتراث. ثم قلت لك إننا سنتقابل كثيراً بعد الآن، ويجب أن تصدقيني فأنا لا أكذب.»

حاولت كلوديا أن تتمسك بكبريائها وهي تقول: «ولقد سبق أن قلت لك إنني لا أشكل أي تهديد لك ولمارك، كما لا بد أخبرك به جواسيسك. إنني لم أره منذ ذلك العشاء تلك الليلة...»

تصاعد رنين الهاتف لتتناول كلوديا السماعة بلهفة. وتجمدت أسارير وجهها عندما سمعت الصوت من الجانب

www.liilas.com

الآخر. وتراجعت بكرسيها إلى الخلف بعنف وهي تدير جانب وجهها إلى الرجل الجالس أمامها ومضت تستمع بحذر: «إنني أعلم أنك كنت تبحثين عن شقة حسنة. إنها في مكان مناسب بالنسبة لشخص لا يملك سيارة، وهي بعيدة عن المدينة ربع ساعة فقط في الحافلة. ما رأيك؟ لماذا لا أمر عليك وآخذك في السيارة في وقت الغداء؟ ثم نذهب بنزهة في السيارة؟ أو بعد انتهاء العمل هذا المساء؟ عليك أن تسرعي بذلك حيث أن هذا المكان إذا كان حسناً بهذا الشكل، فإنه سرعان ما يذهب...»

أدركت كلوديا فجأة السبب في أن صوت مارك يبدو غريباً في مسمعها. فقد نظرت إلى ما حولها لترى إصبع مورغان يضغط الزر الذي يرفع الصوت في قاعدة الهاتف. ولم يبد منه أي اعتذار وهو يقول لها أمراً: «قولي له كلا.»

غطت كلوديا السماعة بيدها وقالت في محاولة للحفاظ على حريتها الشخصية: «سأتصرف في هذا الأمر بنفسي إذا لم تمانع.»

قال: «بل أمانع... ولكن يبدو أن مقاومتك تتلاشى عندما يتعلق الأمر بإبني. يبدو أنك تعطينه كل ما يطلب وإلى جهنم بالنتائج. حسناً، إنني هنا الآن. وربما ليس بإمكانك أن تتجاهليه ولكنني أستطيع ذلك. أخبريه بأن جوابك هو كلا في هذا الحين. إنك لا تريدينه أن يضعك في شقة مريحة لكي...»

قالت: «كيف تجرؤ...»

قال عابساً: «لقد سبق وحذرتك من أن تقولي ذلك لي يا كلوديا!» وانحنى إلى الأمام ليتكلم مخاطباً مارك: «إنني

آسف يا مارك، فإن السيدة مشغولة طوال هذا اليوم. ولكنها في المستقبل، فهي ليست بحاجة إلى أية مساعدة. ألم تخبرها بعد بأنك ستسافر إلى إيطاليا الأسبوع القادم؟ كلا؟ حسناً، لا تهتم لذلك سأتأكد من أن كلوديا ستبقى على علم بكل التزاماتك.»

تناول السماعة من يد كلوديا المرتجفة وهو يتابع كلامه موجهاً القول لها: «ما الذي قلته يا عزيزتي؟ أوه.. إنها تريدك أن تعلم أنها مشغولة جداً، يا مارك، فهي ربما لن تستطيع رؤيتك قبل سفرك. بالمناسبة، لا تتوقع مني العودة إلى المنزل هذه الليلة. فإنني سأبقى في الفندق. نعم، مرة أخرى. لا أظنك بحاجة إلى أن تسألني عن السبب، إذ من الواضح أنك خمنت السبب الحقيقي. نعم، بالطبع، سأبلغها حبك.. ما دمت تدرك أنه إذا كان حبك عفيفاً، فإن حبي ليس كذلك. إلى اللقاء يا مارك...» وأقفل السماعة، لتبدأ كلوديا بالزعيق.

www.liilas.com

الفصل الخامس

«هل يمكنني مساعدتك؟»

كانت كلوديا تضع يدها على سطح السيارة الصقيل، فالتفتت إلى الفتى البائع الأنيق الزي وهي تبتسم بتبرم متمتمة: «إنني لم أر واحدة من هذا الطراز من قبل.» ولكنها لم تخف إعجابها بشكل هذه السيارة الرياضية ذات البابين.

ابتسم الفتى قائلاً وهو لا يرفع عينيه عنها: «إنها جميلة، أليس كذلك؟ إنها طراز (بريكلين فورد) بسرعة ١٨٧، إن لونها يناسب لون دهان أظافر يديك.»

سرّت كلوديا نظراته الحادة إليها بقدر ما سرها إطراؤه. ذلك أنها لم تكن قد لاحظت أن لون السيارة الأحمر يماثل، فعلاً، لون أظافرها. وقالت له: «أتظن أنني يجب أن أشتريها لمثل هذا السبب؟»

قال: «إنه سبب جيد كأي سبب آخر، ولكن، في الواقع، لا أظن أن هذا هو الطراز الذي يناسبك.»

كان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره، وخمنت أنه ملتحق حديثاً بعمله.

رفعت حاجبيها. لقد كانت بمفردها في قاعة العرض، وربما كان يحاول قتل الوقت في هذا النهار الطويل الممل، أو ربما بدت ثيابها الأنيقة الحديثة الطراز، غالية في نظره. وزادها أناقة القبعة الصيفية التي خلعتها عند

دخولها. فلو كانت ترتدي بزة العمل لما كان البائع اعتبرها زبونة جاءت للشراء.»

قالت له: «وأي طراز تظن أنه يناسبني؟»

قال ونظراته تتحدر إلى ساقيها تحت تنورتها القصيرة: «ربما تناسبك سيارة أكثر سرعة.»

كانت كلوديا تعرض ساقيها العاريتين للشمس لتكتسبا اللون الأسمر الجذاب، وكذلك بالنسبة إلى ذراعيها، على الرغم من لونها الأسمر بطبيعته، فقد كان يبدو أبيض بعد أن بقيت سنوات لا تهتم بتعريض جسدها إلى الشمس.

أشار الفتى بيده إلى سيارة رمادية فضية، مفتوحة السقف، قد وضعت على مصطبة في زاوية المعرض، وقال: «ما رأيك في (الفيراري)؟»

أوحت أن تغيظه قليلاً فقالت: «ولكن (الفيراري) مبتذلة جداً.. أليس كذلك؟ فالرجال المتوسطو السن يستعملونها. أليس عندك شيء آخر للشبيبة؟»

أضفت ابتسامتها وهي ترى الحدة تكسو وجه الفتى، كان حديث السن، ودون شك، مثل كل الفتيان في سنه، يتوق إلى أن يمتلك سيارة فيراري.

قال: «ما رأيك في (البورتش ٩١١)؟»

بدا على وجهها الازدراء وهي تقول: «وهذه أيضاً شعبية جداً.»

شعرت من التهاب نظراته أنها أيقظت في نفسه غريزة القتال، ولتكبح ضحكها، أدارت له ظهرها.

هتفت فجأة: «آه، تلك.. إنها تناسبني جداً.» وقصدت مجموعة من السيارات الرجالية المفضفضة.

www.liilas.com

أسرع الفتى خلفها وقد بان في عينيه سرور خبيث وهو يهتف (كورفيت؟)... هيا. أدخلي إليها وجربيها خارجاً.» وفتح الباب بلهفة دون أن يلتفت إلى ترددها وأخذ يدها ثم دفعها داخل السيارة خلف المقود. وغاصت كلوديا في المقعد المجوف وكأنه صنع خصيصاً ليناسب جسمها وكان سرورها غير متوقع وهي تفاجأ بمرونة المقود بين يديها، حتى أنها لم تلاحظ أن تنورتها القصيرة الضيقة قد ارتفعت، عند جلوسها، إلى أعلى فخذيها، وأن الفتى الذي كان متكئاً على الباب كان يحملق فيهما مأخوذاً.

قال لها مزهواً: إنها (غرينوبل) وهي الوحيدة من هذا النوع في البلاد. وهي، في الحقيقة، أسرع قليلاً من (الفيراري) ولن يكون بإمكانك تجربتها حول المدينة إلا إذا كنت بسرعة الخمسمائة.» وتفحص الرفرافة ثم مال نحوها وهو يقول: «هل ستدفعين نقداً أم شيكاً يا سيدتي؟»

بادلته كلوديا بابتسامة. لقد انتهت اللعبة. إنها لم تتصرف قط بمثل هذه الحماقة من قبل. وتنهدت وهي تمرر بأصابعها على عجلة المقود الملساء وهي تقول: «إنها حقاً رائعة. أليس كذلك؟... إنها توحي.. توحي...»

«إنها توحي بالحميمية.. أليست هذه هي الكلمة التي تفتشين عنها؟»

انتحب الفتى واقفاً فجأة وقد فارقه كل زهو شبابه، وتراجع بسرعة عن السيارة تاركاً كلوديا تتطلع مباشرة في عيني مورغان ستون.

قال الفتى متلعثماً: «أ.. إنني كنت فقط أري السيارة لهذه السيدة...»

قاطعه مورغان وهو يبتسم ببرود: «وكانت السيدة على وشك أن تأخذك بنزهة في السيارة..» ونظر إلى كلوديا متابعاً: «من الغريب عليك أن تستغلي فتوة فتى عديم الخبرة مثل كارل.»

احمر وجهها لتعنيفه لها لمجرد شيء من الخفة والطيش.

قال للفتى بجفاء: «إنها ربما تعرف عن أمور مثل هذه السيارات أكثر مما تعلم أنت.» وتناول قبعة كلوديا وملف المستندات الذي كان مطوياً كالحقيبة، ثم أشار إليه برأسه أن يبتعد عنهما.

أسرعت كلوديا بالنزول من السيارة مطرّحة بساقيها ولكن مورغان منعها من ذلك، فعادت تجلس وهي تتطلع إليه.

سألها: «حسناً، هل تظنين أنها توحي بالحميمية؟» ونظر إليها نظرة ذكرتها بأغنية للمغني المفضل عندها «رود ستيوارت» وكان الجواب، في الذهن وباللسان، هو نعم. وانتابتها رعدة شملت جسمها. لقد ارتدى ثيابه هذا الصباح بنفس العناية والتكلف اللذين بدا بهما أول مرة رأته فيها في أوكلاند. بدلة قاتمة وقميص قطني أبيض، وبدا مختلفاً جداً عن ذلك الرجل الغاري الملابس الذي حشر نفسه كالسم في حياتها أثناء الأسبوع الماضي لتشعر هي فجأة وكأن ملابسها هي أقل أناقة مما ينبغي.

قالت وهي تحس بالإستياء من إجباره لها على الخضوع لأمره: «إنها جيدة للغاية.»

أجابها وهو ينظر إليها بشيء من السرور ممزوج

www.liilas.com

بالسخرية: «جيدة؟ من الواضح أن مستواك عال جداً. أي نوع من السيارات كان كريس يستعمل في الطرق؟»

ارتبكت كلوديا وهو يأتي على ذكر كريس دون مبالاة كعادته كلما أتى على ذكر عشيقها السابق. وقالت مجيبة: «سيارة (بوكس ويرلينيتا).»

قال: «إنه رجل حسن الذوق.»

قالت وهي تتمنى أن تعرف ما يدور وراء هذا التعبير الخادع، ذلك أن عينيه لم تكونا أبداً هادئتين: «نعم. إنه لكذلك.» كانت عيناه قلقتين نافذتين، وكانت ملاحظته على ذوق كريس من الجفاء بحيث خرجت عن كونها مديحاً. وتمنت أن لا يستطيع قراءة ما يدور في ذهنها.

قال: «إنني آسف لأنني لم أكن هنا عند وصولك. لقد حضرت اجتماعاً هاماً هذا الصباح. ولهذا ترين ملابسي عادية.» وأشار إلى بدلته. وكأنه تكهن بسبب عدم شعورها بالإرتياح. وتابع: «ولكنني أرى أن كارل قد أدخل التسلية إلى نفسك.»

قالت بلهجة الدفاع: «إنه كان فقط يؤدي عمله.»

قال: «وكان يمزح مع الزبونات؟»

قالت بجفاء: «أليس هذا جزءاً من التدريب على المهنة؟»

قال: «هذا صحيح. هل يمكنني مساعدتك في النزول؟ إن تنورتك هذه تجعل من الصعب عليك النهوض من هذا المقعد العميق دون الإخلال بالحشمة.»

كان من الممكن أن تتجاهل يده الممدودة هذه، ولكن السخرية في عينيه نبهتها إلى حقيقة ما قال. ونبهتها قوته وهو يجذبها إلى أعلى بسهولة، إلى ارتفاع قامته ومتانة

بنيته. وبدلاً من أن يبتعد ليسمح لها بالمرور، بقي واقفاً حتى كانت تلتصق به، ليعود فيفسح لها الطريق. وبينما أخذت تفكر في ما إذا كان عمله هذا متعمداً أم عرضياً، مدّ يده يأخذ بذراعها ليقودها برقة وثبات مجتازاً بها أرض المعرض الرخامية، نحو باب في جدار خلفي من دون نوافذ في المعرض.

كانت تتوقع أن يأخذها إلى المكتب، فقد دهشت إذ وجدت نفسها تخرج إلى ضوء الشمس في باحة صغيرة مظللة بشجيرات مغروسة مبعثرة بين سيارات واقفة هناك.

قالت: «ظننت أننا ذاهبان إلى مكتبك.» حتى الآن، كانت اجتماعاتهما الأولية تأخذ مكانها في الفندق حيث كانت كلوديا تتخيل نفسها في حماية منه هناك.

قال مورغان مشيراً إلى الباب الزجاجي المتارجح في بناية من القرميد في الجهة المواجهة من الباحة: «إنه عبر الطريق هناك.»

هناك، توقف مورغان ليلقي نظرة على مجموعة رسائل ناولته إياها موظفة الإستعلامات. وقدم مورغان كلوديا إلى سكرتيرته ذات الشعر الرمادي والتي يقع مكتبها وراء مكتب موظفة الاستعلامات. وباغتتها السكرتيرة التحية باهتمام دافئة وهي تنظر إليها بفضول، لتنتقل نظراتها إلى مورغان متسائلة، وقال هو: «إنني وكلوديا، سنخرج لمدة ساعة على الأقل، يا إيرين.» وبعد أن رمق كلوديا بنظرة جانبية، عاد يقول: «وربما ساعتين..!»

رمقت إيرين كلوديا بنظرة فضول أخرى وهي تقول: «إلى أين تذهبان؟»

قال مورغان: «هذا ليس من شأنك.» وابتسم.

ضحكت المرأة، وهي تقول: «إذا كان هذا ليس من شأني، فهو إذن ليس من شؤون العمل. وإذا أنت لم تعد قبل الخامسة فهل أرسل جماعة للتفتيش عنك؟ لا تنس أنك مدعو إلى العشاء هذه الليلة.»

كان من الواضح أن علاقتهما، لم يكن يسودها التكلف والإحترام المعتاد من الجهتين. وقال: «لا تهتمي بذلك إذ أنني إذا لم أرجع حتى الخامسة، فإنني لا أستحق الإنقاذ.»

قالت كلوديا وفي صوتها رنة عدائية مدافعة: «ظننت أنك قلت إن اجتماعنا سيكون هنا؟»

قال: «وهو كذلك.»

قالت: «ولكنني أحضرت معي كل المعلومات التي قلت إنك تريدها.» ورفعت حقيبة المستندات بيدها ثم استطردت: «إنك قلت إننا سندرس الخيار بين غداء احتفالي أو حفلة رقص...»

كانت فكرتها عن إقامة حفلة رقص في الليلة التي تلي السباق، قد نالت الإستحسان من مورغان وسايمون معاً.

أجابها قائلاً: «وهذا ما سنفعله.» كان يتكلم بلهجة إنسان لم يفشل قط خطة وضعها. وعاد يقول لسكرتيرته: «ولكن، هناك شيء آخر يا إيدين. لا أريد أن يتصل بي أحد إلى هاتف السيارة لأنني لن أجيب ولا تستثني أحداً في ذلك.»

قالت السكرتيرة بجمود: «حسناً، إذا حدثت أزمة في الشركة بأجمعها، وجاءت مندفعة إلينا، فلا تلمني.»

قال مورغان لكلوديا: «هيا نخرج يا كلوديا، لأن إيدين قد ابتدأت في المضايقة.»

بعد لحظات، كانت كلوديا تعبر معه الباحة مرة أخرى إلى حيث كانت سيارة مورغان تنتظر. كانت سوداء صغيرة ورجالية الشكل تماماً.

سألته بضعف وهو يخلع سترته ويضعها خلف المقعد قبل أن يجلس وراء عجلة القيادة: «هل هذه سيارتك؟»

أجاب: «تعنين سيارتي شخصياً وليست تابعة للشركة؟ نعم. إنها كذلك. إنني أملك عدة سيارات، ولكن (الكوبرا) هي المفضلة عندي.» كان الزهو، بتراثه، يبدو من خلال حديثه إذ يعدد لها ما يملك ويذكر لها سيارته المفضلة. ورمقها بنظرة ساخرة وهو يتابع كلامه عندما رآها صامتة لا تجيب: «إنني أحب الأشياء غير العادية.»

قالت وقد أثارتها سخريته، بينما كانت نفسها تلح عليها بأن تفتح باب السيارة وتنطلق مبتعدة عنها: «هل تريد أن تؤثر علي بذلك؟»

قال: «وهل تأثرت فعلاً؟»

قالت بصوت جامد لا يعني ما يقول: «نعم، وإلى درجة لا تصدق.»

ما لبث أن وضع المفتاح في المحرك، بينما تابعت هي: «حسناً، إن الأولاد يحبون تجميع الأعاجيب الثمينة.»

كانت كلوديا تتكلم وهي تحاول أن تركز ذهنها في اكتشاف المعاني من الحديث. لقد كانت تعلم بالضبط ما الذي سيحدث بعد ذلك. وقد صح توقعها.

كان سائقاً ممتازاً، ولكن، في الوقت الذي توقفا فيه أمام إشارة السير الحمراء، كان العرق يسيل من جسمها.

قال: «هل ما زلت متضايقة يا كلوديا؟»

www.liilas.com

لكنها لم تستطع أن تجيب.

أطلق من فمه شتيمة وهو يديره نحو وجهها الشاحب. ثم أطلق شتيمة أخرى وهو يرى التعبير الجامد في عينيها اللتين اختفت منهما الرؤية، ووضع يده على وجنتيها برقة قائلاً: «كلوديا. إنني آسف. هل أخفتك؟»

طرفت عيناها، وكسا ملامحه القاسية الإهتمام البالغ. وشعرت أصابعه الدافئة ببرودة وجنتها.

عاد يقول: «إنني آسف. لقد تصرفت معك بطريقة صبيانية آثمة.»

كانت كل كلمة من كلماته بطيئة، قوية بسورها التأكيد مما جعلها تنفذ إلى أعماقها. فبدت وقد طرفت عينيها ثانية وكأنما قد استيقظت من سبات عميق.

تابع قائلاً: «لقد، كنت هناك، في الطريق، عندما قتل كريس؟ أليس كذلك؟»

عادت عيناها إلى طبيعتهما. تمكنت من الرؤية مرة أخرى لترى ملامحه الغاضبة وتشعر بالراحة إذ تدرك أنها ليست هي سبب غضبه.

أجابت: «أنا... نعم.» لم يسبق أن تحدثت مطلقاً عن ذلك اليوم. ظلت ذكرى مؤلمة كامنة في أعماقها. وارتعشت. وعندما لم تنسب أية كلمة أخرى لامس وجنتها، الذي كان الدفء يعود إليها، وهو يسألها: «هل ما زالت الكوابيس تراودك؟»

نظرت إليه متسعة العينين. كيف عرف هذا؟

قالت تجيبه: «أحياناً.. إنها لا تأتيني كثيراً هذه الأيام..» ونطقت بالجملة الأخيرة بثبات وقد ابتدأت تتمالك نفسها.

لتبدو، مرة أخرى، امرأة هادئة تملك أمرها ومصيرها. فقال بخشونة: «إلا إذا حاول بعض الحمقى أمثالي تذكيرك بها. إنني آسف يا كلوديا.»

ساورها شعور بأن هذا الرجل اللعين سيظل يعتذر إلى أن ينتزع منها الرد. فهزت كتفيها قائلة: «لا بأس. إنك فاجأتني فقط. وهذا هو كل شيء. أعني، إنني بخير، عادة، إذ أنا علمت مسبقاً قبل أن تسير بي السيارة بـ...»

قطع عليها محاولتها المهذبة لتقبل اعتذاره، بقوله: «تعنين بسرعة غير عادية؟ أطمئنك إلى أنني لست من عشاق السرعة، وخصوصاً في المدن المزدحمة. إن أنانيتي منعتني من التصرف كما يجب لعدة ثوان.»

تجهم وجهه لفكرة أنه أخبرها بأن السيارة يمكنها أن تزيد سرعتها إلى الثمانة، في أربع ثوان فقط. واستطرد: «هل السيارة هي المشكلة بالنسبة إليك؟ هل تفضلين سيارة مقفلة أو ربما أقل...»

قاطعته بضجر: «أقل تظاهراً...» ومالت برأسها بعيداً عن يده التي ما زالت تلامس وجنتها. هل تراه قد ابتدأ يعاملها كإنسانة مريضة عصبياً؟

قال وقد شابت لهجته رنة فكهة: «كنت أريد أن أقول أقل انكشافاً..» وأعادتها لهجته إلى سابق ثقتها بنفسها. قد يكون في مقعد القيادة، ولكنه لمح لها إلى أنها هي التي تملك مقاليد الأمور: «هل نعود لنستبدل السيارة؟»

أجابت وقد انتبهت فجأة إلى تحول إشارة السير إلى اللون الأخضر، بينما كان خلفهما صف طويل من السيارات: «كلا. إن سيارتك الكوبرا حسنة جداً ما دمت تسير بها بهدوء.»

لمعت عيناه وهو يقول: «ربما أحببت أن تقوديها بنفسك؟» وذعرت وهي تراه يوقف المحرك ثم ينزع المفتاح ويناولها إياه.

لم تتحرك هي لأخذه، وبقيت تحدق فيه برعب بينما كانت السيارات أخلفهما تطلق أبواقها بنفاد صبر.

قالت: «إننا نعرقل السير يا مورغان...»

أجاب وهو ما زال ماداً يده إليها بالمفاتيح: «ربما كنت تشعرين براحة أكثر لو كنت أنت السائق.» ولكنها دفعت يده بعيداً. وهي تقول: «كلا، أبداً. تابع القيادة يا مورغان، فإنهم يستحثوننا من خلفنا.»

كان وجهها الآن متوهجاً من الإحراج، بعد شحوبه السابق.

سألها: «هل أنت متأكدة؟» وبدا عليه الإستعداد للبقاء حيث هو طوال النهار متجاهلاً السيارات التي كانت تحتشد حولهما. لقد كان الأمر صعب التصديق، ولكنه كان جاداً تماماً.

أجابت: «نعم، إنني متأكدة. إنني لا أعرف كيف أقود سيارة كهذه.»

سكت وهو يعيد المفتاح إلى موضعه، ثم تابع قائلاً: «إنها مثل أية سيارة أخرى شديدة السرعة. ماذا عن سيارة كريس الفيراري؟ هل أعتدت قيادتها؟»

ارتسمت على فمها ابتسامة ملتوية وهي تقول: «أتراك تغيظني؟ لقد كان كريس يكره أن يقود به السيارة أحد غيره، وخاصة إذا كان إمرأة. وهو، بالطبع، لم يكن ليسمح لي بأي شكل بأن أقترب وحدي من سيارته الغالية. لقد اعتدت

أن أستقل سيارة أجرة لتذهب بي إلى حيث أشاء، إذا لم يكن هو موجوداً.»

«هل تريدين أن تخبريني أنك لم تكوني تمتلكين سيارة خاصة بك.. وأنه لم يكن ليسمح لك بالقيادة.. وأنك سمحت له بمداومة هذا التصرف...؟؟»

قال ذلك بلهجة عدم تصديق جعلت وجهها يتضرج مرة أخرى.

قالت: «لم أكن بحاجة إلى قيادة سيارة. فلقد كنا كثيراً ما نخرج معاً لدرجة جعلت من مسألة امتلاكي لسيارة، شيئاً لا ضرورة له. ودرجة الفندق الذي كنا نقيم فيه، كانت تسمح له بأن يقدم لنا ما نشاء من خدمات.»

لكن كلامها هذا لم يغيّر من تعابير وجهه غير الموافقة على هذا الأمر. وأضافت بحدة: «إنك تعلم أن بعض الناس يمكنهم أن يعيشوا من دون سيارات، خصوصاً في المدن حيث يوجد نظام جيد للمواصلات العمومية.»

قال: «إنهم الناس العاديون الذين ليس بإمكانهم العيش برفاهية. وهذا، كما أظن، لم يكن مشكلة بالنسبة إليك عندما كان كريس حياً...»

قالت بحدة: «كل ما في الأمر هو أنني لم أشأ أن أسوق سيارة. فهل في هذا أية مشكلة بالنسبة إليك؟ هل عليّ أن أعتذر لذلك؟ هل يؤذيك، بالنسبة لمهنتك، أن لا يهتم بعض الأشخاص باقتناء سيارة؟ هل تريدني أن أخرج من السيارة؟ ربما هذا هو الأجدى إذ يبدو، على كل حال، اننا لن نذهب إلى أي مكان ما دمت أنت في مقعد القيادة!»

قال: «لا بأس، لا بأس. لا تستسلمي لثورة عصبية أيتها

www.liilas.com

الأميرة.» وضاقت عيناه لعصبيتها هذه التي نقلتها من حالة السلبية المطلقة التي سبق وعانتها منذ فترة قصيرة، إلى هذه الثورة.

قال: «حسناً إنني أسير الآن. أنظري.»

قالت وهي تنظر إليه بحدة بينما كانت السيارة تهدر بنفاد صبر: «حسناً، وماذا تنتظر؟ هيا، إضغط قدمك على دواسة الوقود.»

قال: «يجب أن أنتظر إشارة السير الخضراء، أولاً. فأنا لا أريد أن أعيد اختراق قانون السير.»

نظرت كلوديا إلى إشارة السير التي كانت قد عادت فتحولت إلى اللون الأحمر، واحمر وجهها بالمثل، وحاولت أن تتمالك هدوءها.

قال: «أتريدينني أن أضغط قدمي؟» وجعلتها رنة السخرية في صوته ترفض أن تنظر إليه. وتابع هو: «إن قولك هذا ليس فيه أية رزانة يا كلوديا؟»

عقدت ذراعيها حول صدرها وفي نفسها تعتمل ثورة عارمة.

قال: «إنك تسحقين قبعتك.» فرفعت مرفقها إذ كانت كذلك فعلاً، وكانت القبعة في حال يرثى لها، وهذا ذنب آخر يضاف إلى ذنوبه. وأخذت القبعة بيدها بتوتر وهي تلاحظه بطرف عينيها. كان مورغان مائلاً في مقعده نحو الباب وقد بعثرت نسائم الصيف شعره الأسود، كما أن ميله نحو الباب قد جعل قميصه الأبيض مشدوداً حول كتفيه القويتين. وبينما كانت تتأمله، مد يده إلى ربطة عنقه يفكها وكذلك زر قميصه الأعلى. وأثارت صورته التي بدت لها مثالاً للراحة

والاسترخاء، أعصابها من جديد لتقول له بحدة: «أليس من الأفضل لك أن تراقب إشارة السير؟ إنك لا تريد أن تفوتك الإشارة الثانية، أليس كذلك؟»

أجاب: «لا أدري. أظن أن في ذلك شيئاً من الفائدة.» نظرت إليه بحدة، لتقابلها بتسامة حيرتها.

قال: «لقد عرفتك أثناء وقوف حركة السير الصغيرة هذه، أكثر مما عرفتك طوال مدة اجتماعاتنا في مكتبك الذي كنا نتبادل فيه الآراء.»

أثناء عدة اجتماعات، سواء كانا وحدهما أم باشتراك سايمون معهما، كان مورغان مثالاً لرجل الأعمال حتى أن كلوديا تخلت عن مشاعرها السابقة التي كانت تتوخى الحذر منه، متوقعة في كل لحظة، أن يعود إلى عادته. وهكذا، انصاعت وراء قيادته هذه غير المتوقعة، وقد تخلصت من إحساس العداء نحوه والذي كان يهدد بثورة منها فيخرج الأمر من يدها. ووجدت نفسها، أخيراً، تسير معه، مهنياً، كأي زميلين يقومان بعمل مشترك.

الآن، وقد نجحت في الاعتقاد بما شاء لها جبنها أن تعتقد، إذا بمورغان يكشف عن حقيقتها بشكل صارخ للتمرد شكوكها السابقة أقوى ما تكون. كيف سمحت لنفسها بالتصور أنه ليس ذلك الشخص القاسي الذي عرفته من قبل؟

قال يستفزها: «كنت أعلم أنه لا بد لك من نزهة تستمتعين فيها بالشمس والهواء الطلق. وآمل أن تكوني، في نفس الوقت، قد ازدادت معرفتك بي.»

أجابت: «نعم، وهو أنك سائق سيىء.»

www.liilas.com

لم يبد عليه الضيق لقولها هذا وهو يجيب: «هذا لأنني لا أريد أن أسبب لك أي ضرر أو خوف.»

لكن كلامه هذا زاد من خوفها. ذلك أن لهجته الجادة، مع ملامحه الرضى عن النفس، كل هذا كان لا يدعو إلى الارتياح.

قالت ساخرة: «لقد فهمت الآن لماذا أرسلتم مارك فجأة إلى إيطاليا! ذلك لأنك كنت خائفاً من أن يسبب لي ضرراً ما...»

قال: «لقد ذهب مارك بكامل مشيئته. وفي الحقيقة، لقد كان يتمنى دوماً أن يرى عن كثب مصنع سيارات فيراري. ولم يكن في استطاعة أي كان أن يمنعه من الذهاب عندما تلقى الدعوة لذلك. حتى ولو كانت لدي المقدرة التي تظنينها، إلا أنني لا أملك النفوذ الكافي للاطلاع على الكشوفات الشخصية لصانعي السيارات في ميلانو وتورينو. ثمة أشياء تأتي بالمصادفة.

قالت متهكمة غير راغبة في التفهم: «وما أجملها» من مصادفة.

قال: «يا لك من فتاة كثيرة الشكوك يا كلوديا. هل اشتقت إليه بهذه السرعة؟ لقد ذهب فقط لمدة أربع وعشرين ساعة...»

«عفواً يا سيد ستون. هل تريدني أن أطلب لك عامل ميكانيك؟ لقد كنت متوقفاً بسيارتك هناك ولاحظت أنه لا بد أن سيارتك تعاني من مشكلة تمنعها من السير.»

كان رجل الشرطة هو الذي كان واقفاً عند باب السائق

وقد بدا مشتت المشاعر بين الفضول وبين إعجابه بالسيارة التي كان يدقق النظر فيها.

لاحظت كلوديا المغمومة، أن إشارة السير قد عادت خضراء دون أن يلاحظ ذلك أي منهما.

تمتم مورغان بمكر وهو يستقيم في جلسته: «المشكلة هي في الركاب وليس في السيارة.» وأسرع قائلاً، بينما كان رجل الشرطة ينقل نظراته من المقاعد اللامعة إلى وجه كلوديا المتورد.: «أما السيارة فلا غبار عليها. وفي الحقيقة، هي سيارة سباق.»

ابتسم رجل الشرطة قائلاً: «لقد فهمت يا سيدي، ولكن أظن أن من الأفضل استعراض سيارة السباق هذه في الطريق وليس في الشارع. وبالمناسبة، إنها سيارة رائعة.»

قال مورغان: «أشكرك. بالمناسبة، إذا أنت رأيتني مرة في مأزق بالنسبة للسيارة، فلا تحضر لي ميكانيكياً. فأنا لا أحب أن أذل نفسي أمام الغير. إذ من المفروض أن أكون قمة في الميكانيك. لذا، أي مشكلة تحدث للسيارة، يمكنني إصلاحها بنفسي.»

ازدادت ابتسامة رجل الشرطة إتساعاً. ولمس خوذته بيده محيياً، وهو ينظر إلى كلوديا، قائلاً: «لقد فهمت، يا سيد ستون. أتمنى لكما نهاراً سعيداً يا سيدي. وكذلك السيدة.»

ما أن أسرع بالسيارة، لكي يرضي رجل الشرطة، ويثير مخاوف كلوديا من جهة أخرى، حتى انفجرت هي فيه قائلة: «ولماذا كل هذا الشرح الطويل منك؟ إنك تعلم ماذا سيظن بنا.»

www.liilas.com

قال: «لقد سبق وظن ذلك، لأن وجهك توهج بالإحمرار عندما جاء حتى كاد يظن أننا نفعل شيئاً مخلاً بالأدب بدلاً من مجرّد الحديث.» وأبطأ من سرعة السيارة، عند منعطف، ملاحظاً التعبير الذي طرأ على ملامحها عند وصولهما إلى إشارة السير. وقال: «هل ستعاودين نفس المشهد؟ هل تتذكرين آخر مرة قمت فيها بعمل شيء من هذا القبيل؟»

قالت كاذبة وقد ازدادت حدتها: «كلا.. لم أفعل قط شيئاً من هذا القبيل.»

قال: «لا تجربي أن تقنعيني بأن كريس لم يجمع، ولو مرة واحدة، بين غراميه الكبيرين. أنت والسيارة.»

لأول مرة، يتكلم مورغان عن عشقها الراحل دون أن تشوب لهجته أي أثر من الإزدراء. ولأمر ما، لم تشعر أمام إغاظته لها بذكر الماضي، بذلك الألم الذي اعتادت أن تشعر به كلما أتتها الذكرى. لقد كانت دوماً تتخذ موقف الدفاع إزاء تورطها بتلك العلاقة مع كريس حتى، أنها مزجت كل الذكريات الحسنة مع السيئة.

قالت: «أظن من الأفضل أن نغير موضوع الحديث.» ولكنه، كعادته، رفض أن يفرض عليه اقتراح مهذب.

قال: «لقد قدت عشريني في سيارة.»

قالت ببرود كلي: «ما أعظم هذا!»

لم تستطع كلوديا منع نفسها من الضحك. وعندما تضحك يصبح من المستحيل أن تعود إلى نفس الاحساس بالعجرفة والنفور الذي كانت تتمسك به كلما كان مورغان بقربها. وابتدأت تقول: «هل كان ذلك...» ولكنها سرعان ما توقفت

في الوقت المناسب، فهي لا تريد أن يشعر منها بأي اهتمام في أي أمر يخصه.

لكنه قال: «أتعنين والدة مارك؟ نعم، إنها هي. لقد كانت مارينا أول حب لي، مع أنني لحسن الحظ، لم أكن أول حب لها.»

شعرت كلوديا بصدمة بالغة، وقالت: «تعني أنه كان قبلك صديق آخر؟»

سر مورغان لاستثارة اهتمامها وأجاب: «لقد كانت في الثامنة عشرة، وبالطبع، عرفت اصدقاء كثيرين، إنما فقط، عشيق واحد قبلي.»

وقعت كلوديا في حيرة واضطراب بالغين إزاء هذا الاعتراف الغرامي، ذلك أنه، في جمل قلائل مختصرة، قد محا بعض الأحكام العشوائية التي سبق وكونتها عنه.

سألته: «هل كانت أكبر منك؟»

أجاب: «أكبر بسنتين.» ولوى زاوية فمه وهو يتابع: «أقل من نصف الفرق بينك وبين مارك. ولكن، بالنسبة إلى سن المراهقة، فإن فرقاً كهذا لا يؤبه له. المهم في الأمر، يا كلوديا، هو أن لا يذهب بك الخيال بعيداً، متصورة ذلك الفتى المختال بنفسه الذي يغوي فتاة صغيرة حلوة على فعل شنيع مفسد لسلوكها بذلك.»

قالت كلوديا بلهجة ملتوية وهي تتذكر أنها، فعلاً، قد فكرت بشيء كهذا: «كلا.. ما كنت لأحكم عشوائياً هكذا...»

قال بمنطق قاس: «في مثل وضعك، لا أظن أن في إمكانك أن ترمي أحداً بحجر. ولكن، يظهر أن الناس، عموماً، يحبون أن يفترضوا السوء في الوقائع العارية.»

قالت: «نعم، حسناً، إنك لم تفعل شيئاً لتكسو الوقائع

www.liilas.com

العارية التي حدثتني عنها. وبالنسبة إلى قضيتك، يبدو أنك خرجت عن طريقك الواضح مما جعل الأمر يبدو وكأن الخطأ كان خطأك.»

قال وهو يهز كتفيه بينما يداه مستندتان إلى عجلة القيادة: «طبعاً كان ذلك، من ناحية، ذلك أنه، مع أن مارينا كانت أكثر نضجاً، جسدياً، مما كنت، ولكنني كنت أكثر منها عاطفياً. فكنت بذلك أسرع منها إلى الوصول إليها، لذا كان إسراعي إلى تدبير أمر التورط بـ الـ... حمل. وكان يمكن أن أكون سعيداً جداً بأن أترك لها وحدها المسؤولية ولكنني لم أستطع التملص من مسؤوليتي في ما حدث.»

كان لتردده الطفيف عندما لفظ كلمة الحمل، أن يخفى على المستمع العادي، ولكنه لم يكن ليخفى على كلوديا التي كان الموضوع بالنسبة اليها بالغ الحساسية.

قالت وهي لا تكاد تصدق أن سؤالها ممكن أن يكون صحيحاً: «هل خطر لك؟...»

مرة أخرى، بدا أنه خمن ما تريد قوله، فقاطعها قائلاً: «تعنين أنها تعمدت الحمل لكي تفرض علي الزواج بها؟ نعم، لقد خطر لي ذلك، خصوصاً عندما دفعتني لكي أقبل الصورة البدائية من أهلي. ولكن، الحكمة والخبرة تجعلانني أقول: كلا. ذلك أنها بدت في غاية التعاسة من فكرة أنها حامل، ولم تكن رغبتها في الزواج، بأشد من رغبتها في الحصول على طفل. ولكن التخلص منه، أو التخلي عنه لمن يتبناه، كانت أموراً لا تسمح بها تربيتنا، أنا وهي.»

كان في كلماته شيء من المرارة جعل كلوديا تتساءل،

برغم كل الدلائل المناقضة، عما إذا كان فعلاً قد أحب الفتاة التي غيرت مجرى حياته. وقالت: «وكيف ماتت؟»

توقف برهة قصيرة قبل أن يقول: «في حادث سيارة.»

كتمت كلوديا شهقة وهي تتصور صدمته بفقدها، وقالت: «إنني آسفة.»

قال: «وكذلك أنا. لقد كانت خسارة. فقد كانت شابة في الثالثة والعشرين فقط، وكانت مليئة بالحياة. وكانت قد عادت حديثاً إلى الجامعة لنيل شهادتها، بعد أن كان قد عطلها عن ذلك، الحمل. لم أكن أنا السائق بل لم أكن مطلقاً في السيارة.»

أما عن المقطع الأخير من حديثه، فقد قالت بخشونة: «إنني لم أسأل عن ذلك.»

قال: «ولكنك كنت تتساءلين.»

ظهر على يديه اللتين تمسكان بعجلة القيادة، توتر لم تخطئه عيناها. وقالت: «في الحقيقة، أنا لم أتساءل. إنك سائق ماهر.»

بدا على ملامحه الإرتياح، وقال: «لم يكن هذا رأيك منذ عشر دقائق.»

فقالت: «هنالك فرق بين السرعة، والطيش. أنا نفسي أسرع أحياناً.»

تلاشت رغبتها في المزاح عندما نظر إليها متمعناً وهو يقول: «إذن، فأنت تحسنين قيادة السيارة؟»

قالت: «بالطبع، إنني لست بالغة التوتر.»

قال متفكهاً: «إنما أحياناً. هل كان كريس طائشاً أثناء القيادة؟»

www.liilas.com

أجابت: «بالنسبة للطرق الخارجية، نعم. إنما ليس أثناء العمل أبداً. كان يسرع في الطريق إنما بهدوء أعصاب. إنه لم يخرق قوانين السير أبداً. وعندما كان يسير متنزهاً، كان يضع قوانينه بنفسه. كان لا يخاف. ولكنه كان يحمل مصيره معه أينما ذهب. كان يعلم أنه إذا كان مصيره القتل، فعلى الطرق. وهكذا، خارج الطرق، كان يعتبر نفسه محصناً ضد الموت.»

قال مطلقاً: «يا له من وضع عاش في ظله. هل هو الذي لم يفكر في مستقبلك، أم أنك أنت التي كنت تخافين من التفكير في ذلك؟»

لقد كان تدخله الآن، ساخراً. وكانت على وشك أن تدلي بجواب يوقفه عند حده، وهي تزيح عن وجهها خصلات بعثرها الهواء، عندما بدا السرور على وجه مورغان وهو يتحول في منعطف، ليدخل نفسه وراء سيارة كانت تنسحب خارجاً من بين صف من السيارات الواقفة على الناحيتين من (أوريتنال بارك).

سألت بحدة: «ما الذي نفعله هنا وإلى أين نحن ذاهبان؟»

أجاب هو بهدوء: «لقد كنت أتوقع هذا السؤال منك قبل الآن. بالنسبة إلى عدم ثقتك بي. ولهذا حيرتني ثقتك هذه في هذه الحالة. فإن ثقتك في مكانها. إننا ذاهبان إلى المنزل...»

الفصل السادس

وقفت كلوديا في منعطف الشقة الأنيقة المطروشة، وقد وضعت يديها على وركيها، وهي تحدق إلى الرجل الذي كان يجلس متكئاً على أريكة جلدية بنية اللون. ونظر إليها مورغان بإمعان وهو يقول: «لماذا؟ يبدو لي أن هذا هو الحل الأمثل. لقد قلت إنك تفتشين عن مكان لسكناك. فلماذا لا تسكنين هنا؟» ونهض عن الأريكة ومضى نحو باب زجاجي يقود إلى شرفة صغيرة وهو يتابع: «إن هذا مكان خاص، والمنظر هنا رائع. وهو مناسب لعملك في المدينة بشكل لا يصدق. فإنك، أثناء فصل الصيف، يمكنك الذهاب إلى عملك مشياً على القدمين. وأنا أعلم أنك تحبين المشي إذ أن سايمون قد قال مرة إنك متحمسة جداً لاكتشاف المدينة سيراً على القدمين. وهذا ما قاد إلى إقامة مشروع (المتفرجين). وفتح الباب وخرج إلى الشرفة، واتكأ فوق «البرابزون» قائلاً: «انظري. يمكنك رؤية مرفأ هاربور من هنا.»

لكن كلوديا لم تتحرك. إذ لم يتغير رأيها بالنسبة لأي من هذه الأسباب التي أوردها.

قالت: «كل هذا لا يهمني. هل نعود إلى العمل الآن؟»

عاد نحوها، بينما أشعة الشمس تنساب من النافذة مكونة خطاً من النور حول قميصه الأبيض، كما كانت تخفي تعابير وجهه عنها.

www.liilas.com

قال: «ولكن، لماذا يا كلوديا؟ إنك لم ترفضي استعداد مارك لإيجاد شقة لك. اعتبري هذه مقابل تلك التي تسببت في خسارتك لها عندما أخبرك عنها مارك بالهاتف.»

قالت كلوديا: «تلك كانت مختلفة.» واستجمعت شتات ذهنها الذي كان شارداً في اللحظة التي انتهى فيها مورغان من اطلاعها على الشقة ليخبرها بعد ذلك أنها ملكها. ولأنه أخبرها بذلك بدلاً من أن يسألها أو يقدمها إليها، أعادها ذلك إلى البداية. وقال: «بماذا هي مختلفة؟»

قالت: «تلك التي قال عنها مارك لم تكن شقته.» فأجاب: «وهذه ليست شقتي.»

ثم استطردت: «إن شركتك، عند ذاك...»

قال: «ولا هي لشركتي. إن بيتر وهو صديق لي كان يشتغل عندي، وسيستاء جداً إذا علم أنك تعتبرينه غير مالك لبيته. إنه سيمضي الأربعة أشهر التالية في ألمانيا، وكان قد قرر أن يؤجر المنزل إلى بعض الطلاب، ولكن الاتفاقية ألغيت قبل سفره مباشرة. ولم يشأ أن يترك منزله خالياً فطلب مني أن أصنع معه معروفاً بأن أجد ساكناً للمنزل جديراً بالثقة يولي المنزل عنايته.»

قالت كلوديا متهكمة: «وهكذا فكرت بي بالطبع منذ متى شرفتني بثقتك؟»

قال: «هل نظرتك إلى تعني بك بهذا الشكل يا كلوديا؟ كشرف؟» واقترب منها، فابتعدت عنه إلى أن اعترضتها ذراع كرسي.

قالت بسرعة: «إنني... على كل حال أبحث عن شقة دائمة.»

قال: «تذكري أنه، بغياب مارك، واقتراب موعد سباق الخمسمائة، علي أن أمكث في الفندق، أغلب الأحيان. فإذا شئت تجنب رؤيتي أثناء ساعات فراغك فإن حظك هنا هو أفضل ذلك. إذ ليس عليك هنا أن تعاملينني بنفس الاحترام الذي تعاملين به الوكلاء عادة. ولن يكون عليك هنا أن تتظاهري. هنا لا يمكنني رؤيتك إلا بدعوة منك شخصياً.»

كانت تدرك أنه يتصرف في شؤونها دون خجل. ولكن، هذا لا يغير من حقيقة قوله شيئاً. وفجأة، ابتدأت ترى فوائد حيث لم تكن ترى قبلاً سوى المشكلات. وأوشكت أن تنكر قوله في أنها تحاول تجنبه، ولكنها عادت ففكرت في التصرف بما يعود عليها بالفائدة. فنظرت حولها بتردد. لقد كانت في الحقيقة شقة جميلة. وقالت: «لا أدري في الحقيقة...»

قال بابتسامة واثقة: «إنك تريدينها فعلاً، إذن، خذيها.» ولم يعجبها منه هذه الابتسامة التي خالتها تنطق بالفوز، ولم تشأ أن تستسلم بسهولة. فقالت: «إنها فلسفتك في الحياة. أليس كذلك؟»

قال وهو يهز كتفيه: «طالما أنك تدفعين الثمن.»

قالت برقة: «ولكنك قلت إن هذه الشقة هي امتحاناً. في الحقيقة، ما دمت أنا أقدم خدمة هي العناية بالشقة، ألا تظن أن عليك أن تدفع لي أجراً لذلك؟»

قال: «أتريدين الأجر نقوداً أم شيئاً آخر؟ أطلبي ما تشائين يا كلوديا.»

ذكرها هذا بعطائه المر منذ سنتين، ذلك العطاء الذي

www.liilas.com

هزّها بالمشاعر المتناقضة. وقالت: «ولكنك سبق وأعطيتني أجرتي. أتذكر؟» واستدارت مبتعدة عنه.

أوقفها بلمسة واحدة من إصبعه إذ أدخله في كمها القصير، مما بعث في جسدها رعدة. وقال: «كنت أظن أنه أنت من دفع الأجرة، حينذاك. إنني أقدم هذه الخدمة كجزء من الدين الذي أدين به لك.»

قالت كلوديا بيأس وهي تشعر بالرغبة في الاختباء من عينيه الواسعتين الزرقاوين: «ولكنك لا تدين لي بشيء. إن الماضي قد مضى فعلاً وانتهى أمره. لقد سبق وأخبرتني بمقدار أسفك وكذلك فعلت أنا. فلنبق كل شيء عند هذا الحد.»

قال برقة: «إن الكلام لا يفي بالديون. لقد قال شكسبير هذا الكلام بحق. إن ما أدين لك به لا يسدده الكلام حتى ولا النقود.» وعند ذاك، أخطأت إذ نظرت إليه، لأنه قال وقد لمعت عيناه: «ولكن، كلا. فأنا لن أترك هذا الأمر. لا أستطيع...»

كانت في كلماته رنة القسم، ليعود الهلع فيجتاح نفس كلوديا. وقالت: «ها أنذا سأقبل الشقة وإنني لشاكرة لك جداً...»

قال: «إنني لا أريد شكرك.»

قالت بغضب: «ماذا تريد إذن؟ ولماذا تفعل ذلك لأجلي؟ هل للإنتقام؟» وعضت على شفتها وهي ترى نظرته الحادة. وقال: «الإنتقام؟ ولماذا أنتقم؟ وما الذي فعلته نحوي ليحملك على الظن بأنني أبغي معاقبتك عليه؟»

ساد صمت ثقيل كانت كلوديا، أثناءه، متأكدة من أن

عذابها وترددها يتجليان بوضوح، على ملامح وجهها الشاحب. وألح عليها عقلها، الآن... أخبريه الآن... إنها فرصة لإيضاح كل شيء... فتبدأ مرة أخرى، أو تنهي كل شيء إلى الأبد...

«إنني... إنني...» وما أن ابتدأت الفصال النطق بالكلمات التي قد تهدم أية إمكانية لاحترام أو صداقة أو أي شيء آخر بينهما، تابع هو مفكراً: «وما هذا الذي أقوم به لأجلك، بهذه المناسبة؟ فإلى جانب تهيئة الفرصة لك للتقدم في وظيفتك، وإثبات نفسك في عملك الجديد، بالطبع، ومساعدتك في إيجاد سكن لك في مدينة غريبة، ثم طلب المغفرة لأخطاء اقترفتها نحوك في الماضي والحاضر... ما الذي إذن يحمل قبولك، لكل هذا مني، عسيراً عليك؟»

لم يتحرك من مكانه، ولكنه مد يده حول خصرها يجذبها إليه، وصرخت: «مورغان...»

قال: «هل السبب هو هذا يا كلوديا؟ هل هذا هو سبب خوفك مني أيتها الأميرة؟»

ودفعها على الأريكة ليستلقي بجانبها وهو يسكت الاحتجاج في فمها، بفمه، باعثاً في جسدها مزيجاً محيراً من الإثارة والإنفعالات التي شملت أحاسيسها بأجمعها. وأقفلت عينيها متجنبة النظر في تلك العينين الزرقاوين اللتين كانتا تبعثان في جسدها الخوف واللذة معاً. وعلى الرغم من تشوش ذهنها، استجابت له كما تستجيب الزهرة لأشعة الشمس. لقد تفتحت أحاسيسها إزاء دفء مشاعر دفينة كانت تنساها، ومشاعر بقيت زمناً طويلاً ممزوجة بالألم والفراغ والضياع...

www.liilas.com

لم تشأ كلوديا أن ترفع وجهها عن صدره، ولكنها كانت تعلم أن عليها أن تواجهه في أي وقت... فهي لن تستطيع أن تخفي إحساسها بالعار إلى الأبد.

أخيراً، حملت نفسها على أن تقف منتصبة بين ذراعيه. تظاهر بصمت أنها لم تعد بحاجة إلى مساعدته، وبنبله، رفعت إليه وجهها لتلتقي عيناها بعينيه. وبدلاً من النظرة المنتصرة في عينيه، التي كانت تتوقعها، كان هناك على وجهه كآبة ورقة غير عاديين. وهذا ما جعل شعورها يزداد سوءاً. ربما كان حائراً أو مشمئزاً كما شعرت هي نفسها. وأخذت تفكر، يائسة، في تعليل لتصرفها المشين هذا، ولكنها لم تجد. وشحب وجهها المتضرج، ثم عاد فتضرج ثانية. لم يكن ثمة انسحاب كريم من هذا العناق المذل. وتملكتها التعاسة وهي تفكر في أنه مهما قالت، سيظن أنها قد أثبتت ما كان يتهمها به دوماً من أنها بائعة لذة متشردة.

لم يعد الصمت محتملاً. وانتظارها له أن يتركها بنفسه، كان عبثاً. لقد بدا عليه الرضا بالوقوف بهذا الشكل، إلى الأبد، منتظراً إياها أن تتكلم. وماذا بإمكانها أن تقول لتقويم هذا الوضع الشاذ؟ وفكرت في موضوع عادي تتحدث فيه... موضوع يساعدها على استعادة كرامتها.

تنحنحت، وهي تهز كتفيها قليلاً، ولدهشتها تركها تذهب. وابتعدت هي عنه تنظر إليه مفكرة، إن الرجل ينتظر منك أن تقولي شيئاً يا كلوديا.. أي شيء، فقط ليتأكد من أنك لست تلك المرأة المخبولة التي كنتها منذ لحظات.

قالت: «إنني... أنت.. أعني هل أنت حقاً ميكانيكي مؤهل؟»

نظر إليها باستغراب بينما تابعت هي قائلة: «أعني، لقد قلت لرجل الشرطة ذاك أن بإمكانك إصلاح السيارات. فهل.. هل تعلمت ذلك بطريقة نظامية؟»

سرعان ما عادت إلى نفسها.. أوه، يا إلهي.. هذا فظيع. إنها الآن تتصرف كعانس في حفلة شاي تتبادل حديثاً مهذباً مع رجل غريب.

انفجر هو ضاحكاً مثبتاً بذلك سخافة هذا الموضوع الذي اختارته. وتضرج وجهها. وفي النهاية، هدأ وهو يهز رأسه قائلاً: «هل هذا انتقاد لي أيتها الأميرة؟ هل تريدين أن تخبريني بطريقة غير مباشرة، أن كل إنجازاتي هي ميكانيكية مخبية للأمل؟»

تساءلت عن معنى كلامه.. إنجازات؟ لقد تضمنت هذه الكلمة معنى ضمنياً بالنسبة إليه بدا كإهانة. إن تأكيده على كلمة (مخبية للأمل) جعلت الموضوع يسخر من أي إنكار يمكنها أن تقدمه. فهو يعلم تماماً أن آخر شيء بالنسبة إليها، هو خيبة أملها فيه!

عاد يضحك بينما حل الغضب في نفسها مكان الحرج. ولكنه في النهاية، سوّى من الأمر بأن قال: «أطمئنك يا كلوديا إلى أنك كنت رائعة في تعاونك معي.»

كانت هي تعرف ذلك فقالت: «ذلك لأنني إمرأة طبيعية.»

قال وقد عادت إلى وجهه ملامح الرقة المخيفة في جانبيتها: «إنني لم أقل أبداً خلاف ذلك.»

تساءلت، كيف يكون له الحق بأن يقف هكذا، ببرود وراحة ذهن، بينما هي تشعر بكل هذا العار والإشمئزاز؟

www.liilas.com

حسناً. إنه ليس برودا بالضبط، ذلك أن في تلك العينين الزرقاوين معنى غامضاً محرقاً.

قال وهو ينظر إليها بإمعان: «ليس ثمة ما يجعلك تشعرين بكل هذا الحرج الذي يبدو عليك يا كلوديا! إنني فخور بالثقة التي وضعتها فيّ مما جعلك تسلمينني نفسك. إنك لم تعرفيني جيداً هذه المرة.»

هذه المرة؟ هل يعني أن ذلك سيتكرر؟ تساءلت كلوديا، ثم قالت متلعثمة: «ولكنني لا... أعني أنني لم أقصد.. لقد كانت المسألة كلها، مجرد غلطة.. إنني عادة، لا.. أعني، أبداً لم... أوه يا ربي» وخبأت وجهها بيديها.

قال: «ألم يحدث لك مثل هذا من قبل؟ لماذا كل هذا؟»

قالت وهي تشعر بوجهها يلتهب: «مورغان...»

قال: «إنني آسف إذ سببت لك كل هذا الحرج يا كلوديا. ولكنني لست آسفاً لما فعلت. وإنني مسرور لما أشعرتك به من السعادة. ولهذا أظن أن هذا الشيء بيننا سيتكرر مراراً كثيرة ليصبح أمراً لا بد منه...»

فرقت بين أصابعها لترى في ملامحه ما إذا كان يسخر منها، وكانت تتأوه بصوت عال وهي ترى تعبيرات ملامحه. فقد كان وجهه يفتح بالرضى وزهو الرجولة.

أمسك بيديها يبعدهما عن وجهها قائلاً: «ليس ثمة ما يجعلك تخفين التجاذب بيننا بعد الآن، يا كلوديا! لقد كان هذا برهاناً حل مكان الشكوك التي كانت عندك. إنك تريدينني وأنا أريدك. ولقد تجاوبت أحاسيسنا معاً. وسنناقش في ما بعد، الأشياء الأخرى الممكنة التي تسود علاقتنا. هل أنت جائعة؟»

قالت: «ماذا؟»

أجاب: «إنه وقت الغداء.» وابتسم لها بمكر وهو يستطرد: «ألرأيت كيف يمر الوقت بسرعة في أوقات المرح؟»

قالت بابتسامة مرتجفة: «أتسمي هذا مرحاً؟ ولماذا إذن، أشعر بكل هذه الأوجاع العضلية والكدمات؟»

قال: «يمكنني أن أجيبك عن سؤالك هذا، ولكن، بدلاً من ذلك عليّ أن أطعمك أولاً، وأثناء الكلام عن محتويات ذلك العلف الذي لوّحت به في وجهي منذ فترة.»

قالت: «إنني.. إنني بحاجة إلى الاغتسال وتسوية منظري.» فقد فكرت في أنها إذا هي خرجت معه إلى مطعم، فمن الأفضل أن تكون حسنة المظهر.

لكن، عندما خرجت من الحمام وجدت أن مورغان قد وضع منضدة في أشعة الشمس في الشرفة وعليها أطعمة أخرجها من سلة مجدولة كانت مفتوحة وموضوعة على الأرض.

قالت له بعجب، فقد رأت حين وصولها، أن المطبخ كان خالياً من أي طعام: «من أين لك هذا؟»

قال: «من الصندوق الخلفي لسيارتي.»

سألته: «وهل أنت تنقل معك دوماً طعاماً للطوارئ؟»

تقدمت تتفحص أنواع الأطعمة التي كان يسيل لها اللعاب والتي كان يضعها على غطاء الطاولة الأبيض. ولاحظت أن الغطاء عليه شارة الفندق الذي تعمل فيه.»

أجاب: «ذلك فقط عندما أحاول إغراء سيدة ذكية لكي تحبني.» قال ذلك وانتظر إلى أن جلست ليجلس هو بعدها.»

قالت: «هل تظن أن من الضروري حقاً أن أحبك؟» قالت

www.liilas.com

ذلك وهي تفكر في هذا البرهان الجديد على أنه كان يخطط لهذا النهار أكثر مما تعمد أن يظهر.

قال: «إنني لا أستطيع أن أحب امرأة إذا هي لم تعجب بعقلي قدر إعجابها بجسدي. وإلا لما احترمتني بعد ذلك.»

قالت: «والآن، تناول طعامك وكف عن استفزازي. والآن، أخبرني هل استقر رأيك على من سيقع تصميم بطاقات الدعوة إلى حفلة الرقص؟ إنني أعرف فناناً شاباً ذكياً جداً قد يعجبك. وماذا ستقول لأحد كبار مخططي سباق السيارات عندما يبدأ المذيع في افتتاح الإحتفال؟»

الفصل السابع

أفرغ مورغان آخر ما بقي في زجاجة الجعة في كأس كلوديا التي أخذت تثيره بأصبعها وهي تلاحظ كم شربت حتى الآن. ولكنها كانت من الاسترخاء والراحة بحيث لم تهتم بذلك. إنها تعرف الآن أن مورغان ليس بحاجة إلى الشراب ليغوي النساء.

كان وضعها الآن مختلفاً جداً عما كان منذ أسبوعين، عندما جلسا معاً على الشرفة في شقتها، حين رمقت الشراب الذي كان مورغان قد أحضره معه في السلة، رمقته بريبة وكراهية.

لكن، بعد ذلك، لم يعد ثمة أثر لمثل تلك الريبة والكراهية. ثم، بعد ذلك، لكي يمحو من نفسها كل أثر للحرج والشعور بالعيب، أخذ يغرقها، بحذق، بسيل من المناقشات حول مختلف الآراء التي كانت تضعها وتعرضها عليه لأخذ موافقته. وأحياناً يتحداها حول عدد من النقاط، فيدفعها ذلك إلى التركيز على مناقشاتها بدلاً من الاستسلام الودي الذي استخلصه منها. وبرغم هذا، فإنها لم تكن لتستطيع كبح ضربات قلبها كلما اصطدمت يدها بيده أثناء العمل وهي تشير إلى القوائم على الأوراق بين يديها. أو حين كانت تنظر إليه فجأة وهو ينظر إليها يتفحصها بعينين ضيقتين، فكانت تعلم أن تلك النظرات لا علاقة لها بالموضوع الذي بين أيديهما.

www.liilas.com
toto-06

لقد أفاض، هذا النهار، في شرح التفاصيل بنفس الهمة والتركيز بكل نجاح وذلك لكي يبعد عن ذهنها حقيقة أن الشرفة، هذا النهار، كانت شرفته وأن الغداء لم يعد مطبخ الفندق وإنما منبرة منزله.

كانت الوجبة خفيفة وشهية، وكان المنظر من شرفة منزله بالغاً حد الروعة، وكان العمل قد انتهى بنجاح كبير. وفي الحقيقة، كانت ثقة كلوديا بنفسها قد أصبحت من القوة بحيث شعرت أن في إمكانها التعامل مع كل شيء، في هذه اللحظة، حتى مع مورغان ستون.

كان المرتفع حول السباق قد أقيم بشكل حسن، والحقيقة أن ذلك، كما قالت، هو نتيجة مثابرة مورغان. ومع أنه كان متشدداً في معاملاته، متطلباً ممن يعمل عنده أو معه، انجازات عالية الكفاءة، فقد كان يفرض على نفسه، الشيء نفسه. ولمعرفة ذكائه العملي مباشرة، ذهبت كلوديا إلى شركته لتجد أن جزءاً منها كان نتيجة تكريس جهوده لتحسين علاقاته الشخصية مع الموظفين مما أكسبه ولاءهم، حتى أولئك الذين كانوا يختلفون عنه في الرأي.

في مناسبتين فقط، صعرت منه نظرة متعجرفة دفعت مارك، وهو المرافق، إلى الإستياء. وكانت في تلك المناسبتين، عندما أخذ طبع مورغان لأشياء رأتها كلوديا مجرد شؤون عائلية تافهة، ولكن ظهر لها، في ما بعد، أنه يعتبرها محاولة لا تحتمل للتدخل في سلطته.

لقد شعرت بأن مورغان يحب الزعيق وخبط الأشياء حوله في مكتبه يشبه بذلك صبياً سيىء الطبع. ولكن، ليبدو في

النهاية، بشوشاً متواضعاً، وكأنما كان صراخه ذاك متنفساً لأمور مكبوتة في أعماقه تسبب له التوتر الذي تذهبه تلك الثورات.

من الابتسامة الملتوية التي تلقتها من أول موظف هو ضحية لنوباته تلك، وهو ينسل خارجاً من الباب، أدركت أن الموظفين الذين يعرفونه جيداً، قد تعودوا أن يتقبلوا نوباته العنيفة تلك، بهدوء ورحابة صدر.

لقد تعلمت، هي أيضاً، درساً مهماً. وهو، إذا أنت واجهته بالأمر بهدوء، فحظك أحسن كثيراً في أن يناقشك بالأمر بتفهم، من أن تبدأ بخلق الأعذار مهما كانت هذه الأعذار مشروعة.

في دراستها المعمقة لشخصيته هذه تعلمت كلوديا أن لا تسمح لفضولها بأن يجعله يخرج عن زمامه. فهي لم تدعه قط إلى العودة إلى بيتها الجديد، ولا إلى الحفلة الصغيرة التي اقامتها احتفالاً بتلك الشقة. كما أنها لم تقبل منه دعوة قط قبل أن تتأكد من أنها لمجرد العمل لا غير.

لكن، لقد أثبت هذا القياس مرونته غالباً، إذ انه في الأسبوعين الماضيين، كان مورغان يتدبر عذراً في غاية المنطق لرؤيتها وذلك كل يومين. وقد قدمها إلى عدد لا بأس به من ذوي النفوذ في المدينة الذين قد يفيدها الاتصال بهم في عملها، ليس فقط بالنسبة إلى المشروع الحاضر وإنما في المستقبل. كذلك، تدبّر أمر دعوتها إلى حفلتي كوكتيل في سفارتين أجنبيتين كان من الحماقة عدم قبولها الدعوة إليهما، حتى ولو كان مورغان هو مرافقها إليه. وهناك اكتشفت مورغان آخر غير الذي تعهده... كان هذا رجلاً

www.liilas.com
foto-06

مهذباً رقيقاً بمستوى رجال السياسة والدبلوماسيين الذين قابلاهم.

لقد هنأها سايمون، في ما بعد، على نجاحها المرموق هذا في غزو الأوساط الإجتماعية في المدينة، وفي يوم الجمعة التالي الذي كانت كلوديا تعتبره يوم الإرتباط غير المقدس، أعلن أن المكتب الأعلى قد بلغ من تأثره وتخططها حد أنه أراد أن يزيد من شأن التعامل مع الفندق وذلك بأن يقدم تأميناً لواحدة من سيارات السباق، إذا أمكن.

بالطبع، كان هذا يتطلب مناقشة أخرى مع مورغان. ولكن لم يكن في الإمكان إدخاله في قائمة أعماله الأخرى، فاقترح أن يكون ذلك في اليوم التالي. وقد كان سرور كلوديا شديداً عندما أضاف أن عطلته الأسبوعية هي عادة خالية، إنما، إلى جانب أنه لن يكون مضطراً إلى الحضور إلى مكان العمل، فإنه شاء أن يسوّي الأمر. لقد كانت كل سجلات السباق عنده في المنزل على جهاز الكومبيوتر، بالإضافة إلى اولئك الأفراد الذين يطلبون التأمين الكلي أو الجزئي. وكانت هي قد سمح لها باستخدامها. ووافقت كلوديا بتوتر، عالمة أنها إنما تمط القوانين التي وضعتها بنفسها لتناسب ما يملي عليها فضولها.

طلبت كلوديا استعارة إحدى سيارات الفندق لكي تضمن الوصول إلى أي مكان في أي وقت شاءت.

قال مورغان: «هل أفتح زجاجة ثانية؟» واستيقظت كلوديا من أفكارها لتدرك أن كأسها فارغ. وقالت تسأله: «إننا لا نحتفل بمناسبة ما، أليس كذلك؟» وكان سؤالاً قابلاً للاستغلال، فلم يفوت مورغان الفرصة، فرفع كأسه إليها

قائلاً: «نخب عطلة أسبوعية طويلة أخرى. أتصدقين أنني أعتدت أن أعمل في كل ساعات الأسبوع التي وجدت، كان ذلك قبل أن أدرك أنني أنما أعزل نفسي في برج عاجي. كنت أفقد بالتدريج، لحسنات الفرح البسيطة في الحياة. كنت أكبر في السن وأنا ما أزال ألهث خلف مطامح شبابي، مع أن عندي من المال والسلطة بحيث أتمكن من عمل ما أريد. ذلك أنني لم أتوقف لفترة تكفي لأن أفكر ملياً في حقيقة ما أنا أريده تماماً.»

لم تستطع كلوديا أن تمنع نفسها من الإدلاء بحكمها عليه، بقولها: «إنك ما زلت تملك شيئاً من الثقة في أهمية الذات عندك. وعندما عرفت الحقيقة، ماذا وجدتها؟»

ابتسم قائلاً: «إنها المكان الذي أشعر فيه أنني في بيتي، والشخص الذي أشعر معه أنني في بيتي. أظنك ستقولين أن أكون محبوباً لأجل نفسي. وهذه كلمة قديمة ولكنها حقيقة.» وأخذ ينظر في كأسه وهو يتابع باسماً: «بالطبع عندما أعتبر أن نفسي تستحق الكراهية أكثر مما تستحق الحب، فإنه من الصعب أن أقنع نفسي بأن أحاول تغييره إلى الأحسن. إنني لست رجلاً متديناً، ولكنني أعتقد في أعماقي بأنني أحصد ما أزرع، خصوصاً بالنسبة إلى العلاقات الإنسانية.»

تفتت المرارة في صوته، وهو يسخر من نفسه، إلى أعماق قلبها الحنون، وأدركت فجأة أنه كان يحاول أن يخبرها، بأنها كانت هي السبب في تحوّله عن نمط حياته الماضية، وذلك في السنوات الأخيرة. إذ، في ضربها الانفعالي له أثناء غمرة الآلام، غيّرت شيئاً ما جوهرياً في

www.liilas.com

نفسه، مرّة واحدة وإلى الأبد. إن عملها العشوائي للتخريب، مندفعة بوحي من مشاعرها المعذبة، دفعه إلى أن يبني صورة جديدة كاملة لنفسه حول كذبه.

قال: «إن لك كل الحق في أن لا تصدقيني، يا كلوديا. ولكنني أؤكد لك أنني رجل مختلف تماماً عما كنته منذ سنتين. حسناً، ولكنني أخطىء أحياناً. إنني بشر، ولكنني، بوجه عام، قد هزمت الشر في داخلي الذي دفعني إلى تحطيم آمال الآخرين. إنني أعرف أنك ربما ظننتني متحجر القلب لم أهتم لما حدث في ذلك اليوم. وإنني لم أهتم بالتفكير بك مرة أخرى. ولكنني فعلت وما زلت. لقد بقيت خارج حياتك وكذلك أبقيت مارك لأنني اعتقدت أن تلك كانت مشيئتك، وأن ذلك كان تغييراً أقل إيلاماً لك. ولكن، لو صادفتك أية مشاكل فإنني سأكون على علم بها، فأساعدك. ولكنك بخلت عليّ بتلك الكفارة الصغيرة. لقد تدبرت أمرك بنفسك بشكل حسن جداً.»

سألته وهي ترتجف وقد عاد إليها الشعور بالذنب: «ولكن كيف.. كيف كان سيمكنك أن تعرف في ما لو احتجت إلى مساعدة؟»

أجاب: «إن لي صديقاً في أوكلاند كان يتحرى عنك أحياناً. أعني ليس بالنسبة إلى الأشياء الخاصة، وإنما بالنسبة إلى وضعك الخارجي.»

اسرع مورغان بطمأنتها وهو يرى النظرة التي بدت في عينيها. واستطرد: «وذلك ليرى ما، إذا كنت في حاجة إلى معونة مادية، أو أنك متخذة عملاً، وسعيدة مكتفية في حياتك.»

اقشعر جلدها وهي تدرك أنها كانت موضعاً للمراقبة، كل ذلك الوقت، مهما كانت هذه المراقبة سطحية أو متقطعة. لقد كانت شخصيتها من الشياطين التي تكمن في أعماقها، بينما كان هو يواجه شياطينه ليتخلص منها.

سألها إن كانت تريد مزيداً من الشراب، لتدرك أنها إنما كانت ترفع كأسها، فارغاً، إلى شفتيها لتوقف ارتجافهما.

قالت بسرعة: «أوه، كلا، كلا. شكراً. إنني أفضل شيئاً من القهوة.»

لقد سبق واستعملت الكومبيوتر، بمساعدة مورغان، لإنجاز تأمين مسلق سيارة سباق نيوزيلاندي وذلك بواسطة الفندق. أما ما هي بحاجة إليه الآن، لتحسب على الكومبيوتر، فهو مقدار الإحساس بالذنب وكذلك الشراب اللذين يسريان في عروقها.

جمع مورغان الأواني الفارغة ودخل بها المنزل، بينما بقيت كلوديا ساهمة تتطلع إلى أشعة الشمس تتألق على مياه المرفأ، وذلك في محاولة لتهدئة نفسها المضطربة، بالنظر إلى جمال هذا المنظر البادي أمامها.

كان منزل مورغان المبني من الإسمنت، مثالاً للهندسة العصرية. كان يبدو وكأنه جزء قائم من الصخور الشاهقة بجانبه، وكانت الشرفة، حيث كانا جالسين، مشرفة على منحدر يؤدي إلى بحيرة (مارين درايف).

اتكأت كلوديا على حاجز الشرفة معرضة وجهها وذراعيها العاريتين لدفء أشعة الشمس. كانت ترتدي ثوباً أصفر بكمين قصيرين. وكانت خصلات شعرها تتناثر

www.liilas.com

على عنقها ونسيم البحر يتلاعب بها ويعبث مداعباً وكأنه همسات الغزل.

من هنا، كان المنظر الرائع، الذي كانت تشرف عليه، يمثل خليجاً صغيراً يدخل الشواطىء الشرقية للمرفأ. وعبر الشاطىء الغربي، كان بإمكانها أن ترى مجموعة من بنايات المدينة تتجمع على سفح التلال التي كانت تنعطف بحدة إلى الداخل لتكوّن ضواحي المدينة التي أدهشت كلوديا بجمالها لدى رؤيتها لها لأول مرة.

قال مورغان وهو يعود بنظره إلى فنجان القهوة: «لا شك أن كلاً منا بحاجة إلى الكسل والإسترخاء أحياناً. إذ يبدو عليك الرضى البالغ هنا في أشعة الشمس.»

لم يعد، الآن، في صوت مورغان، أي أثر للكآبة التي اجتاحته منذ دقائق، وهو يجلس، مسترخياً، يرشف القهوة. وقد بدا، بقميصه الأسود وسرواله الأبيض، في غاية الأناقة. وسألها: «ألست مسرورة أن جئنا إلى هنا؟ لقد ابتدأنا ننسجم معاً، أليس كذلك؟ إذ لم تصدر من أحدنا أية كلمة غاضبة في الأسبوعين الماضيين حسب ما أذكر.»

قالت: «هذا لأن...» وسكتت.

بينما اتكأ هو على كرسيه باسترخاء تام، وهو يقول: «لأن ماذا؟» سألها ذلك وهو ينظر إلى البحر الذي كان لونه يماثل تماماً لون عينيه.

قالت: «لأنك ابتدأت تصبح... أكثر... أكثر تعاوناً.»

ابتسم لتردّدها هذا وقال: «تعاون؟»

قالت بسرعة وهي تراه يغمز لها بعينه...: «أعني رضى الطباع.»

قال: «رضى الطباع فقط؟ لا بد أنني كنت مغروراً إذ كنت أظن أنني ساحر.»

قالت وقد لذعت القهوة الساخنة لسانها لتذكر هي أنها نسيت مزجها بالحليب: قالت: «إنني خبيرة بما يكمن خلف سحر الرجال.»

قال: «أتعنين عندما كنت مع كريس؟ يمكنني أن أتصور أنه في وضعه ذاك، يلاحقه، عادة، عدد من الناس غير المرغوب فيهم، أملاً في أن ينالهم شيء من شهرته.»

فكرت في أنه، على الأقل، لم يكن يصنفها كأحد أفراد حاشية كريس.

قالت: «لقد كان كريس يحب أن يرى الناس حوله على الدوام. لقد كان يعشق الحفلات والجموع.»

قال متسائلاً: «وأنك لم تكوني كذلك.»

قالت: «انني لم أقل هذا.» كانت حساسيتها دوماً تظن الانتقاد حيث لا يوجد. وتابعت «لقد كنت صغيرة السن ومغرمة برجل شهير. وكنت أحب المرح ومقابلة أناس جدد على الدوام. ولقد كنا نذهب الى اي مكان في العالم، لتغرقنا الدعوات...»

قال: «هل معنى ذلك انك وقعت في حب الشهرة وليس في حب الرجل نفسه؟»

قالت بجفاء: «في الحقيقة، عندما وقعت في حبه لم اكن اعلم بشهرته تلك. ذلك انه كان يمضي فترة نقاهة اثر حادث صدام، وكان متوارياً عن الصحافة. لقد جاء ليمكث بعض الوقت في فندق ريفي كان والداي يمتلكانه. وقد بقي هناك ثلاثة اسابيع.»

www.liilas.com

قال: «وعندما ذهب؟»

رفعت ذقنها قائلة بلهجة فيها مزيج من الاستخفاف والدفاع: «ذهبت انا معه.»

على الرغم من كل الظروف التي حدثت بعد ذلك لها، فانها لم تندم، اذ لم تكن تتصور ان تمضي بقية حياتها في ذلك العالم الضيق المنعزل حيث كان والداها يعيشان، ولم يكن بامكانها ان تكتشف عالم الغنى والرفاهية الذي عاشت فيه بعد ذلك. لقد كانت طفولتها مجدبة الى درجة محيرة. فلقد امضت سنوات الحداثة مجتهدة في ارضاء والدين يعتقدان ان افضل ما في الحياة هو تشويه محاربة الباطل. لقد كانت عقيدتهما صارمة في ان ارخاء الحبل يفسد الطفل، ولكونها وحيدتهما، فلقد كانت مجبرة على ان تنهج نهجهما في اعتبار الحشمة والطاعة من شيم الاناث. لقد كان واجب الطاعة هو الدليل الوحيد على الحب الذي تعلمته كلوديا.

كان لوجود كريس، في ذلك المكان الخالي من البهجة، فعل القنبلة وهي تفجر كل مشاعر وحنين الصبا في داخل ذلك القلب السجين. لقد كان الحب، بالنسبة اليه، سهلاً مشرقاً بالضحك والمرح والدفء والحرية.

سألها: «هل بقيت لا تعرفين من هو؟»

أجابت: «لقد عرفت طبعاً، فهو لم يضللني. اذا كان هذا ما تعني؟ لقد اخبرني عن حقيقته وماذا يشتغل وما شكل عمله...»

قال مورغان: «لابد ان هذا بدا لك مثيراً. ولكن، الحقيقة دوماً تحدث شيئاً من الصدمة، خصوصاً بالنسبة الى فتاة ريفية.»

غاظها منه ان اجمل حياتها في موطنها بهذه البساطة، مختصراً كل مساوئها في كلمات قليلة مختارة. وقالت بعناد: «انني لم اطرح نفسي عليه لكي اخفف من وحدته في طور نقاهته كما انه لم يطلب مني ان اذهب معه. ولكنه احبني.»

تمتم: «انك وفية جداً، أليس كذلك يا كلوديا؟» وكان البخار المتصاعد من قهوته يخفي ما تنطق به عيناه.

سألها: «هل كان حقاً، مثالاً للرجل اللامع؟ وهل انت من نوع النساء اللاتي يعشقن البطولة في الرجل؟»

أجابت بحرارة: «كلا بالطبع. ولكن يبدو انك تحاول ان تقول ان كريس حاول، بشكل ما، استغلالي. لقد اردت فعلاً ان اذهب معه. لقد كنت في العشرين من عمري ولا بد انني كنت بريئة ومحاطة بحماية فوق المعتاد في حالات معينة، ولكنني كنت اكثر رشداً من الفتيات اللاتي في مثل سني. فلقد كنت اعرف ما انا بسبيله، وان لا سبيل لي الى العودة. في الواقع، كنت في بعض الحالات اشعر انني اكبر من كريس سناً. فلقد كانت حياته ساحرة دوماً. انه لم يشعر يوماً بمرارة الحاجة الى اي شيء. لقد كان دوماً متفائلاً في الحياة، مرتاح المشاعر، يعتقد، بطريقة صبيانية، بالنهاية الطيبة لكل شيء. وكأنما الحياة كانت لعبة تثير البهجة. واعتقد انه كان سيبقى هكذا على الدوام وإلا لما كان في استطاعته التغلب على مخاطر مهنته الهائلة. بل انه كان يشعر بالغيظ عندما كنت انصحه، احياناً، ان يأخذ الامور بجد، فكان يبتسم وينصحني بعدم الاهتمام بالأمر، لان كل شيء سينتهي على خير.»

www.liilas.com

سألها بهدوء: «هل فكرت مرة، قبل موته بقليل، في انك ربما ابتدأت تكبرينه سناً؟»

انفجرت قائلة دون وعي: «كلا، بالطبع لا. فقد كنا نستعد للزواج.»

كانت تكبح، بانكارها الحار هذا، الشكوك التي كانت مستقرة في اعماقها. قال مورغان: «لم يكن هناك ذكر لهذا الزواج في الصحف.»

لم تستطع هي ان تعلم من ملامحه ما اذا كان قد صدقها ام لا. وقالت: «لقد كان ذلك سراً. وكانت خطة كريس ان نذهب الى لاس فيغاس بعد يوم واحد من السباق. ولم يكن احد يعلم بذلك. فقد كنا سنعلنه بعد ذلك. فقد كان يحب ان يعلن ذلك في الصحف، كمفاجأة لاصدقائه. ولكن، بدلاً من الزواج في ذلك الاسبوع، كانت الجنازة...»

احست بالذنب وهي تقول ذلك، شاعرة بانها تستغل موت كريس لتعلن ذلك. وفي السابق، كانت تحاول ان تدافع عن عدم رغبة كريس في الزواج بحجة عدم قضائهما الوقت الكافي معاً. وذلك كلما ازداد نجاحاً في عمله. ومع تفاؤله البالغ، فقد قرر ان مشكلتها هي عدم ضمان حياتهما، وهذا يضع له الزواج وحده، الحل. ولكن كلوديا لم تكن مشاكسة تماماً. لقد كانت ستظفر بسرور لكلامه هذا قبل سنتين او ثلاث، ولكن، مع ازدياد خبرتها في الحياة، كانت قد ابتدأت تتساءل عما اذا كان الحب الذي كانت تكنه له، هو من القوة بحيث يحتمل مثل حياته المهنية الحافلة بالخطر، وبتدقيق المجتمع في شؤونه الخاصة. هذه الحياة التي كانت هي تعلم جيداً انه لن يتخلى عنها ابداً.

لكن الحمل سبق رغبتها الغامضة في هجره. وسمحت لبهجة كريس العارمة بولدهما المنتظر، بان تكتسح هواجسها وشكوكها الماضية التي كانت تراودها عن جدوى الحياة معه. فلقد كانت تعلم ان كريس، على الرغم من عيوبه، سيحب ولده القادم بكل ما في طبيعته من حرارة. وقد يبدي شيئاً من عدم الشعور بالمسؤولية نحو حياته اليومية مع ولده، ولكن ولده هذا لن يشعر أبداً بانه حمل ثقيل على والده. وشعرت كلوديا بان من الواجب عليهما نحو ولدهما هذا ان يهيئا له حياة مضمونة مستقرة في ظل اسرة حقيقية بزواج حقيقي على الاقل.

قال مورغان: «لا عجب اذن ان حاولت الهرب من المجتمع بعد ذلك. ولا بد انك كنت في غاية الحساسية...»

ادركت هي، بالم، انه ربما كان يفكر في انها سرعان ما كانت تدفن آلامها بين ذراعي رجل آخر، وذلك بدافع مغلوط لالتماس التعزية والسلوان.

ألح عليها ضميرها، اخبريه.

قالت: «مورغان... انني...»

قاطعها: «هل فكرت مرة بالعودة الى والديك؟»

أجفلت، دون وعي منها، لهذا السؤال وقالت: «ان والدي هما في غاية المحافظة والتشدد الاخلاقي. إنهما لا يظهران، أمام الآخرين، أية عواطف تجاه بعضهما البعض مع انهما زوجان. وفي الحقيقة، لقد شعرا بغاية الذل والعار لما فعلت. حتى انهما لم يستطيعا ان يواجها المجتمع حيث يعيشان، ولهذا باعا الفندق، بعد رحيلي، وسافرا إلى استراليا. ولم ارهما أو اسمع صوتهما منذ سنوات.»

تمتم مورغان: «يا للآباء الذين يتخلون عن اولادهم بحجة الكبرياء.» وادركت هي انه كان يتحدث انطلاقاً من خبرته الخاصة مع ابنه، اولاً، ثم انطلاقاً من نظرته المستهينة للعلاقات العائلية وخصوصاً الابوة. وهي تعلم انه لم يتصالح تماماً مع والديه بعد ان ارغماه على الزواج في سن المراهقة، وكل انجازاته العملية كانت من كرّ يمينه، اذ لم تسمح له كبرياؤه ان يقبل قرشاً واحداً من والديه، وبعد ان توفيا حفظ الارث لولده مارك.

قال بهدوء: «انك شجعت مارك على ان يبدأ بإعادة العلاقات معي... اذن، فانت تؤمنين بأهمية العلاقات العائلية.»

قالت كلوديا: «لم أكن أظن انك قد صدقتني حينذاك بالنسبة لهذا الموضوع.»

قال: «لم اصدقك في ذلك الوقت. ولكن مارك اخبرني في ما بعد، انك انت التي دفعته الى ان يعود إليّ، متخلياً عن عناده.»

كان يتكلم بصوت منخفض وقد نفد صبره. لم يكن مهتماً بالإتيان على سيرة ماضيه قدر اهتمامه بكشف الغموض عن ماضيها هي: لقد كانت تغيّر قناعاتها نحوه غير مستقرة وتبعث على الحيرة. فهي تدعوه احياناً، ثم بعد ذلك ترفضه... مما دعاه الى الظن بأن ثمة مانعاً نفسياً عميقاً يتدخل في هذه التصرفات.

يبدو ان كلوديا تعاني من سيطرة العقل الباطن بالنسبة لهذا الامتناع. وربما كان ذلك نتيجة سنوات تكوينها الاولى التي كانت نتيجتها دفع الطفل لكي يولد قبل الاوان، وذلك

بدافع من الأم وإلى عدم ضبط النفس. ولكنها كانت ذكية وواعية. فالرغبة، اذن، في عدم ضبط النفس، هي، حسياً، أو عاطفياً، ربما كانت مهددة بقدر ما كانت تشكل اثارة لا تقاوم، انها مهددة من رواسب تربيتها المحافظة المستقرة في عقلها الباطن.

كان هو يأمل في ان يثبت عدم مقاومته لاغراء جمالها. الحل اذن، هو في اجتذابها عاطفياً. وان يحملها على ان تتخذ موقفاً محدداً، فإما ان تفصح عن مخاوفها، واما ان تستسلم له برغم كل شيء، ومن هنا، يمكن التخلص من تهديد العقل الباطن.

سألها: «هل جربت الاتصال بوالديك مؤخراً؟»

تمتمت بلهجة ذات معنى: «انعني منذ اصبحت سيدة محترمة؟»

تساءلت: ماذا يمكن ان يكون وراء تلك العينين الزرقاوين الصافيتين لكي تعطيه كل ذلك المظهر الرجولي، والحرارة الخانقة التي تشبه عاصفة صيفية توشك ان تنطلق من سماء صافية.

- حتى سؤاله كان ينذر بالرعد. وقالت: «انني لن اكون ابداً تلك السيدة التي يريدانها ان تكون. ولقد... لقد كتبت اليهما، عندما كنت حاملاً. ولكنهما اعادا إليّ رسالتي مفتوحة في مغلف، وهذا هو كل شيء. فلا رسالة معه ولا ملاحظة. وفكرت انا في ان هذا رفض واضح» وابتسمت بلامبالاة وتابعت: «اظن ان طفلاً غير شرعي هو اقل مما كانا يتوقعانه مني. ربما كانا خائفين من انني، اذا هما اظهرا لي اي تشجيع، سأطرق بابهما يوماً ما حاملة طفلي القذر.»

www.liilas.com

سكتت. ومع ان طفولتها لم تكن سعيدة، فقد كرهت ان تفكر في انها لم تعد تنتسب الى ابويها.

قال: «انهما هما الخاسران يا كلوديا. لا بد انك كنت طفلة رائعة الجمال، كما لا بد انك كنت ستصبحين امأ ممتازة.»

دخلت مجاملته البسيطة قلبها. واغرورقت عيناها بالدموع، فحاولت الادعاء بان ذلك من تأثير الشمس. وانحدرت انظارها الى اصابعها المتشابكة في حضنها، فلم تره يقف ويتقدم نحوها ليضع يده على يديها الباردتين. هل ادركت ما الذي فعلت؟ لقد استدعته الى الاقتراب منها بمظاهر ضعفها ذاك.

قالت وهي تحاول ابعاد يديها عنه دون ان يسمح لها بذلك: «انك لا تعلم ان... لقد كان كل شيء غلطة مريعة على كل حال. لقد كنت على حق عندما قلت ان فقدي الطفل كان لحسن حظي...»

قال منكراً بهدوء: «انني لم اقل هذا قط. وانت لم تفقدي طفلك، اذ ان ذلك يدل على الاهمال وانت لم تكوني كذلك ابداً...»

قالت: «لقد كان استهتاراً مني، منذ البداية، ان اسمح لنفسي بان احمل.» وتدفقت دموعها وهي ترفض تعزيته. وما زالت ترفض النظر الى وجهه الذي كان منحنياً عليها، وفكرت في انها لم تسمح لمشاعرها المحطمة بان تدفعها الى البكاء امام شخص آخر، منذ سنتين. وها هو ذا قد انتصر عليها الآن ايضاً...

قال: «أهكذا؟ ولكن، من هو الذي كان يحترز من الحمل؟ هو ام انت؟»

احمر وجه كلوديا وسط دموعها. انه يظن نفسه يتحدث عن ابنه وعما اذا كان هو عديم المسؤولية... الا يكفي ما سببته له من عذاب حتى الآن؟

اجابت: «انه انا، ولم اكن ناسية. ولكن من مرة. لقد كانت واحدة من مرات عديدة. وما اعتصر الالم قلبها وهي تتذكر ان هذه الجملة قالها لها الطبيب وهو يعزيها بفقد طفلها.

قالت: «لم اكن اريد ان احمل. حتى انني لم اكن اريد طفلاً.» ربما كلامها هذا يكفي لأن يقفل الموضوع ويتوقف عن تعذيبها بعطفه.

قال: «اذن، فهو بالتأكيد لم يكن استهتاراً. لقد، كانت معجزة. ربما لم تكوني تريدين طفلاً يا كلوديا، ولكنك كنت فقط تريدين ذلك. أليس كذلك؟...»

ظنت ان البلل على يديها انما من دموعها، وذلك قبل ان تكتشف انه فمه. وحدقت في شعره الاسود وهو ينحني على يديها يقبلهما.

قالت: «كلا...»

رفع رأسه قائلاً: «لقد كنت في غاية المرض طيلة مدة حملك، لقد اخبرني مارك بذلك مرات كثيرة، وعندك فكرة مفزعة عن الولادة. هل اخبرك الطبيب انك ستعانين من نفس المشكلات اذا انك حملت مرة اخرى؟ هل كان هناك ضرر دائم؟»

قالت: «كلا.. لقد اخبرني بذلك... قال ان صحتي لم تكن حسنة حتى قبل الحمل. اما ما عدا ذلك، فإنني طبيعية جداً... وقال ايضاً انه لن تحدث اية مشكلات في ما لو شئت ان احمل مرة اخرى...»

www.liilas.com

لم تستطع، وهي تتكلم ان تركز على الكلمات، خاصة وهو ينظر اليها باهتمام عميق، وخاصة عندما توقفت عند الكلمة الاخيرة.

سألها: «وهل تريدين ان تحملي مرة اخرى، ام ان الذكرى المؤلمة تخيفك؟ تخافين من المجازفة مرة اخرى؟»

لماذا قال هذه الكلمة (المجازفة) بلهجة تشوبها لمحة من الاحتقار؟ هل يظن بانها مريضة عصبياً؟ وترددت وهي تشعر بانه يريد ان يوقعها، ولكن كيف؟

سألها: «هل تريدين طفلاً آخر يا كلوديا؟ صبياً آخر أم بنتاً؟»

لحست شفتيها بلسانها وهي تهمس متلعثمة: «انني.. يوماً ما، من المفروض.. انني لست.. اعني، ان الامر لن يكون نفس الشيء.»

قال بهدوء: «طبعاً، لن يكون نفس الشيء. هذه المرة يجب ان تخططي جيداً لحملك. تأكدي من انك حسنة الصحة تماماً قبل ذلك. تأكدي من صحتك جسدياً وعقلياً، مالياً وعاطفياً.»

قالت: «انني، نعم.. اظن، نعم... يجب ان.» وشعرت وكأنما هي تقاد في طريق سري، ثم ينحرف الى غابة مظلمة. وشعرت بالشمس تلذع رأسها، وموريغان، راكعاً على ركبتيه مواجهاً لها، في ظلها هي، وتتعمق في عينيه... وتصلبت في جلستها.

قال: «اذا اصبح عندك طفل آخر، من رجل من نفس سلالة والد طفلك الاول، فغالباً ما سينشأ حاملاً اكثر صفات الطفل الاول، وان كان لا يمكن ان يكون بديلاً منه.»

كانت تعاني من ضربة شمس. لا يمكن ان يكون قد اقترح عليها ما ظنت انها سمعته منه، بمثل هذا الصوت البطيء العميق الهادئ. وتبللت عيناها بالدموع وانتبهت اليه يقدم اقتراحات متنوعة: «لقد قلت لك انني مدين لك، يا كلوديا، وهذا لا يسدد بالكلام. وكما ارى، ان الطريق الوحيد امامي لرأب الصدع بيننا ولأستعيد شرفي هو ان امنحك حياة مقابل حياة. انني لا استطيع ان أعيد إليك طفلك. ولكنني استطيع ان اعطيك طفلاً آخر. وفي هذا الوقت لن اكون جداً بل اباً لطفلك. واذا كنت نزيهة كما احاول أنا ان أكون، اظن انك ستسلمين بأن القيام بإنجاب طفلنا سيكون حافلاً بالسرور المعنوي والخبرة لكل منا...»

www.liilas.com
toto_06

الفصل الثامن

فتحت كلوديا عينيها: «ماذا! ماذا جرى؟»

أجاب: «لست متأكداً. ولكن يبدو لي أنه إغماء قديم النوع.»

حاولت كلوديا أن تستقيم جالسة بين الوسائد الناعمة على الأريكة القرمزية اللون. ونظرت، بإدراك غامض إلى الغرفة البيضاء ذات السجادة العجمية في مكان ما داخل منزل مورغان المبرد. لا بد أن كل ذلك كان حلماً. ودفنت أصابعها المرتجفة في شعرها ونظرت إلى الرجل الذي يجلس بجانبها بهدوء وصبر، وتمتمت وهي ما زالت مشوشة الذهن: «أنا... كيف جئت إلى هنا؟» ولم تتذكر ذلك الدوار الذي انتابها والذي أدى إلى هذا الإغماء.

أجاب وهو يقرب من شفتيها كأساً يحوي شراباً مثلجاً: «لقد نقلتك أنا إلى هنا.»

ارتشفت الماء بلهفة مبردة جوفها ومرطبة شفتيها الجافتين، ودفعت بشعرها خلف أذنيها ووضعت يدها على عنقها حيث اكتشفت أن قميصها قد فك أزراره وبينما قطرات من الماء تبلل عنقها وفتحة ثوبها، كما لاحظت أيضاً أن حزامها قد فك جانباً. واستندت إلى الوسائد خلفها وهي تعيد إقفال قميصها بتوتر وسألته: «هل غبت عن الوعي مدة طويلة؟»

أجاب بجفاء: «لمدة لا تكفيني لكي أغتصبك.» وتناول

الكأس من يدها يضعها على المنضدة، وهو يستطرد: «لقد كانت ملابسك ضيقة جداً وفكرت أن من الأنسب أن أحلها قليلاً لكي ترتاحي ثم أرشك بشيء من الماء البارد.»

لم يكن في لهجته أي تهكم أو سخرية، وإنما كان ثمة غضب.

أدركت هي من غضبه، أنها أهانت فيه رجولته وشرفه بشكوكها الملموسة في أنه ربما استغل فرصة ذلك الإغماء.

تمتمت بأسف وهي لا تعرف كيف تعتذر: «أشكرك.» وحاولت أن تسوي من ثوبها، ولكنها ما زالت لا تريد أن تكشف بذلك، من تفاصيل جسدها أمامه. وأخذت بدلاً من ذلك، تمسح البلل من عنقها بأصابع مرتجفة.

قال وهو يخرج من جيبه منديلاً نظيفاً: «اسمحي لي بهذا السرور.» وأخذ يمسح قطرات الماء عن عنقها، وقد أقفل شفتيه بقوة مركزاً على عمله دون أن يظهر على ملامحه أي تعبير.

بدا لها أنه أمضى وقتاً طويلاً في عمله ولكنها لم تبد أي احتجاج، وبقيت تحدق في أسفل عنقه بينما هو منحنٍ يقوم بعمله بهمة ولطف.

تسارعت دقات قلبها شيئاً فشيئاً إذ ارتفعت نظراته فجأة، إلى وجهها المتوهج، ومن ثم ألقى بالمنديل الذي كان يمسح به جسدها، جانباً ليعيد ذراعه تحت كتفيها وينحني عليها محتوياً رأسها بين ذراعيه، كان عناقاً رقيقاً مليئاً بالمشاعر. ورفع رأسه أخيراً، ليسألها وهي تعود فتصلح من جلستها وقد ساد الإضطراب حركاتها: «لماذا أغمي عليك يا كلوديا؟»

أجابت واهنة: «أغمي علي؟ لقد فقدت الوعي وهذا كل

www.liilas.com

شيء.» وبدا ضعفها هذا غريباً بالنسبة إلى المرأة العصرية العملية التي تحاول هي أن تكونها.

استطردت: «إنه الشراب والشمس الحارة...»

قاطعها: «والصدمة.. إن الصدمة تصيبك بسهولة، أليس كذلك يا كلوديا؟ هذا على الرغم من كل خبرتك في الحياة؟»

وأمعن النظر في فمها الشاحب ووجنتيها المتوهجتين. لقد كانت ثمة أسرار عميقة في عينيها البنيتين الواسعتين. وانحنى فوقها يتمتم: «هل فكرة أن تحملي طفلي هي التي أصابتك بالصدمة؟»

أحست بالخجل البالغ. كان من اللؤم حتى أن تسكت مفكرة إزاء هذا السؤال. كما أنه لم يكن ينبغي له أبداً أن يغريها بهذا الشيء. وأدارت رأسها عنه إذ شاهدت الرغبة في عينيه. إنها لا تريد أن تستجيب إلى إغرائه. وقالت: «إن أية امرأة تصيبها الصدمة عندما... عندما...»

قاطعها: «عندما ترى أنها مرغوبة؟»

قالت: «إن الذي تتحدث عنه ليس رغبة.»

قال: «كلا، بل هي الرغبة.» وزاد من احتضانه لها، وهو يهمس: «لا تظني أنني أريدك لأعطيك طفلاً فقط، ولكن لأنني أريدك لذاتك. وأنا أعرف أنك أنت تريدينني أيضاً. ولكنك دوماً تعيشين في الماضي وتعاسته. وتجعلين له أهمية كبرى، ولا أريدك أن تشعري بالذنب لعلاقتك هذه معي. يمكنك أن تستحوذي على كل شيء. عليّ وعلى انتقامك مني.»

قالت بيأس: «ليس من الضروري كل هذا. إنني لا أريد الإنتقام. إنه لم يكن ذنبك.. إنك... إنك لا يمكن أن تعطيني طفلاً منك.»

قال: «ولماذا لا يمكنني ذلك؟»

أوشكت أن تبلي باعترافها عندما اعترض مورغان حديثها بعناد قائلاً: «هل النساء فقط يتلهفن إلى أن يكون لهن أطفال؟ بالنسبة إليّ، فإنني لم أستمتع بطفولة ولدي مارك. ذلك أنني كنت مشغولاً دوماً بتأسيس أعمالي وإثبات نجاحي ولهذا كنت أبداً غائباً عن ولده الذي من الطبيعي، ككل الأولاد، أن ينشأ في ظل والده اليومي مما يمكنه أن يأخذ عنه ويشعر بحمايته. وتأكدي من أنني سأكون هذه المرة، والداً أفضل بكثير مما كنته مع مارك...»

أحست كلوديا بالهلع وهي ترى تصميمه هذا، ولكن كلمته (يتلهفن) أدخلت الرقة إلى قلبها. وقالت: «ولكن... إن مارك...»

قاطعها: «آه، نعم. مارك.» وأطبق فمه بشدة وهو يتابع: «هو ذا السحر الذي يلوّح لك كلما أردت أن تتخلصي مني. فلنتكلم عن مارك إذن. هل يقلقك أن أتصرف كرجل منحرف حسياً بحيث أشتهي خليلة إبني السابقة؟»

كانت كلماته واضحة صارمة، ولكن كلوديا لم تتراجع وقالت: «هل أنت كذلك؟»

ظهرت في عينيه لمحة من التفكه وهو يجيب: «بالنسبة إليّ، فأنا أشتهيك، فهذا مؤكد. ولكنني، وكذلك أنت، نعلم جيداً أن علاقتنا هي أكثر من مجرد الاشتهاء، ذلك أن الرجل لا يقدم طفلاً في كل مرة يشعر فيها بالرغبة في امرأة. ولكن، ربما عدم ثقتك هي في شخصيتي المسيطرة وليس في الدوافع التي تحثني على هذا.»

قالت: «وهل لديّ شك في ذلك؟»

قال: «أحقاً؟»

قالت: «أعني أنني أفكر في أن مارك هو إبنك» ورمقته بنظرة ساحكة.

أجاب: «كان ذلك منذ مدة طويلة. ولكنني لا أظن أن الزهد والتقشف قد أضعفا قدرتي على الإنجاب.»

نظرت إليه بازدراء وهي تقول بحدة: «زهد وتقشف؟»

قال بمكر: «عنيت الزهد في إنجاب أطفال. هل تستعملين وسيلة ما يا كلوديا؟؟»

فوجئت هي وأجابت دون وعي: «كلا، ولكن.»

قال: «أظن أنك منذ مدة طويلة لم تسمحي لرجل بأن...»

سرعان ما كان كلها يصفع فمه ليسكته عن التفوه بهذه الكلمات القاسية. ولكنه أمسك بالكف يقبلها قائلاً: «لماذا لا تفكرين في الطفل الجميل الغالي الذي سيكون لنا؟»

تساءلت، هل تستجيب لرغبته، متغاضية عن صوت ضميرها؟ فتستمتع، رغم أنف قدرها التعس بشيء من السعادة؟

قال: «إنني أجد التفكير في حملك شيقاً جداً. أن أراقب تغير جسدك الذي يحمل طفلي، يحمل حياة جديدة تأتي إلى هذا العالم...»

تصلب جسدها عندما أدركت حقيقة تفكيره وقالت: «تعني أنك ستبقى معي؟... ولكنني ظننت...»

قاطعها: «ظننت ماذا؟ إنك دوماً لا تظنين بي إلا المساوئ. ماذا ظننتني أعني؟ أن أعطيك طفلاً لليلة واحدة وأدير ظهري؟»

احمر وجهها وهي تشعر بالتعاسة، ولكنه لم يسكت وتابع

قائلاً: «إنني لست عديم المسؤولية بحيث أتركك حاملاً وأرحل. إنني سأبقى معك مسبغاً عليك كامل عنايتي ورعايتي، طبياً ومادياً.»

شعرت بموجة من الحرارة تشمل جسدها بكامله. وقالت بصوت مرتجف لم تستطع لشعورها البالغ بالتعاسة، أن تجعل فيه رنة سخرية: «يا لك من رجل محب للتضحية بنفسه.»

قال: «أليس كذلك؟ كيف يمكنك تجاهل رجل بمثل هذا النبل؟»

فكرت كلوديا في أن الطريقة الوحيدة للتخلص منه ومن تأثيره عليها، هي مكاشفته بالحقيقة. وقالت: «مورغان...»

قاطعها: «لا تقلقي أيتها الأميرة، فسأهتم بك وبطفلك. إنني أعدك...»

قاطعته: «إن الطفل الذي...»

قاطعها: «سنجعله رائعاً قدر استطاعتنا. وإذا لم يأت كما نريد، حسناً، فسنمنحه كل حبنا على كل حال ما دام سيكون أكثر الأجزاء منا براءة.»

يا إلهي، كيف أمكن لهذا الرجل أن يكون بكل هذه الرقة والروعة والسحر؟؟ وتجمعت الدموع في عينيها المغمضتين وهي تفكر في أنها ستفقده باعترافها الآن. وقالت: «كلا.. كلا.. أريد أن أتحدث عن الطفل الآخر. عن طفلي، إبني أنا.» وشددت اللفظ على الكلمتين الأخيرتين وكأنما هي تريد أن تثبت ملكيتها الخاصة للطفل، واستطردت: «لقد رأيته. لقد طلبت رؤيته فأحضروه إلي...»

www.liilas.com

شعرت بجسده يتصلب وهو يقول: «أوه...» وفتحت عينيها وهي تفكر في اهتمامه وتجاوبه الطبيعي معها، وأحست بالمرارة وهي تنظر إليه. كانت ملامحه الصلبة هادئة بزينة وبالغة الجذر... وكأنما كان يخاف من نهاية الحديث.

تابعت: «كان له شعر أسود و... ولا أدري ما كان لون عينيه... إنني لم أرهما مفتوحتين.» وشعرت باضطراب أسكتها مدة طويلة... واستطردت: «كان هناك قداس جنائزي...»

اشتد توتر الذراعين اللتين تمسكان بها وبقيت نظراته متشابكة، مع نظراتها... وهمس: «كنت أنت وحدك. إنني آسف جداً.»

تابعت هي: «وتعميد أيضاً.» وسارعت بالكلام قبل أن يقاطعها بكلماته المتعاطفة: «لقد طلبت أولاً أن يعمدوه لكي يمكن اعطاؤه اسماً يدفن به. وليس معتبراً... شيئاً ما... ولكن شخصاً سوياً ينتمي إلى شخص ما.»

قال: «كلوديا...»

هزت رأسها قائلة: «أتريد أن تعلم ماذا أسميته؟»

خف بعض توتره وهو يقول: «إذا شئت أن تخبريني.»

تساءلت عما إذا كان يتوقع أن يكون اسماً عادياً، وكرهت فيه جهله الغبي هذا.

قالت بحدة: «كريستوفر. لقد سميته كريس.»

قال بهدوء: «إنه اسم رائع لصبي.»

لم تستطع كلوديا أن تصدق كيف يمكن لرجل ذكي مثله أن يكون بهذا الغباء. ولم تستطع أن تقاوم نظراته الثابتة أكثر من ذلك، فتابعت: «أعطيته اسم أبيه كريس.»

نظرت إلى يديها وهي تدفع عنها صدره الصلب، وهي تتابع: «كريستوفر ناش لاوسون.»

لم يحدث أي تجاوب مباشر منه، ولم تجرؤ هي على النظر إلى وجهه الذي كان غاضباً كبقية أجزاء جسمه. وتساءلت، لماذا... لماذا... لا يتركها تذهب... لماذا لا يدفعها عنه مشمئزاً؟

صرخت بغضب: «إننا، أنا ومارك، لم نكن حتى عاشقين...» وانقبضت يداها وهي تحاول عبثاً، إخراجه عن هدوئه العنيد، وهي ما زالت تصرخ: «اللعنة ألا تفهم؟»

أجاب وما زال على هدوئه: «لقد فهمت جيداً. لقد قلت ان مارك لم يكن والد طفلك.»

جاء دورها الآن لتتجمد في مكانها. كان في الطريقة التي قال لها بها هذا... وفي ضبطه لنفسه الذي كان مختلفاً تماماً عن العاصفة الهوجاء التي توقعتها منه... وفي عدم إظهاره أي عداء بينما له كل الحق في أن يشعر بالمرارة لهذا الخداع منها له...

«ها أنت ذا قد عرفت...» ووضعت قبضتها في حضنها بوهن وقد تأكدت من ذلك بالغريزة. «إنك تعلم الآن كل شيء...»

أجاب ببرود: «ليس كل شيء. ليس قبل عدة أشهر من آخر مرة رأيتك فيها في المستشفى. لقد عدت لزيارتك بعد ذلك، أو، على الأقل لرؤية منزلك فوجدت أنك قد رحلت. وكان جيرانك كرماء في عواطفهم نحوك وفي إعطاء أخبارك أيضاً إذ أخبروني بمدى أسفهم لفقدانك طفلك في شهره السابع.»

www.liilas.com

الآن فقط، أبعد قبضتيه عنها، ليعود فيمسك ذراعيها براحتيه صعوداً ونزولاً وكأنما كان يشعر ببرودتها الداخلية التي جمدت إرادتها وقدرتها على تحريك أعضائها. وقالت وهي ما تزال مستغرقة في ذاتها، وقد تجمدت أفكارها في خليط مشوش: «إذن، فقد كنت تعلم...»

ابتدأ اعترافه يتبلور تدريجياً في ذهنها. لقد كان يعلم أن ابنه ليس ولد الطفل الذي فقدت... ولكن... إنها لم تعرف شيئاً!

قالت: «إلى أي حد... تعلم؟»

أجاب: «كل شيء.»

كان من الصعب أن تتقبل هذا. وعادت تسأله: «لابد أنك لم تكن تعلم... كل الأشياء التي قلتها...» كان صوتها محطماً مثل أفكارها. «والآن فقط قبل أن يغمى علي، ما الذي قلته عن السلالة الأبوية؟»

أجاب ببساطة: «لقد كنت أعلم أنه إذا أنا فتحت لك السبيل، فإنك ستضعين ثقتك بي لكي تخبريني بالحقيقة.»

سألته ثائرة: «أتعني أنك قلت كل تلك الأشياء متعمداً؟» وحاولت أن تتذكر كل ما قالته له. لقد كان يعلم حقيقة كل الأكاذيب وأنصاف الحقائق التي كانت تحدثه بها، واكتنفها الشعور بالعار. وقالت غاضبة: «إذن، فقد كنت تحاول أن توقع بي.»

تمتم: «وكيف للحقيقة أن تكون فخاً، يا كلوديا؟» وما زالت يداه تحاولان بعث الدفء في جلدها البارد. «إنك تعلمين أنك كنت دوماً تحاولين أن تخبريني بذلك. فأنا إذن، لم أجبرك على ذلك.»

لكن إدراكها بأنه كان على حق، لم يخمد الثورة في نفسها... لقد كان كل ذلك العذاب النفسي الذي عانته، باطلاً.

عادت تقول ثائرة: «ولماذا لم تخبرني؟»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة كئيبة وهو يقول: «ذلك لأنها قصتك أنت لتخبريني بها أيتها الأميرة، وليست قصتي.» وشعرت هي وكأنه يضع الملح على جراحها. فقالت تتحداه: «وماذا لو انني لم أخبرك أبداً؟»

أجاب: «حسناً، عند ذاك كنت سأحترم صمتك.»

قالت مذعورة: «وكل ذلك الكلام عن رغبتك في إنجاب طفل مني؟ هل كان كل ذلك مجرد طريقة لحملي على أن أخبرك؟»

قال مورغان: «إنني لا أعد بشيء لا أريد أن أفي به.» وتناول يدها يرفعها إلى شفتيه ثم يضعها على صدره.

أدركت فجأة أن ملابسها الداخلية ما زالت ظاهرة فرفعت يدها تقفل قميصها بينما كان يقول: «وبالنسبة لي لم يختلف الأمر معي بشيء. فإنني لم أغير رأيي، فهل غيرت أنت رأيك؟»

همست: «كان يجب أن تكرهني.» وفكرت في أنها كانت ستكرهه حتماً لو كانت في مكانه.

أجاب بلهجة رقيقة متفهمة فتحت في نفسها جراحاً قديمة: «لقد سببت لك ضرراً، وقد انتقمت أنت مني بالطريقة الوحيدة التي كانت أمامك في ذلك الوقت. لقد ثرت غضباً في البداية، بالطبع، وكان هذا سبباً في أن أحتفظ بصلة بيني وبينك. ولكن، مضت على ذلك سنتان، وعندما قابلتك مرة أخرى، أدركت أن تلك الكذبة القاسية ربما كانت مؤلمة لك

www.liilas.com

بقدر ما كانت مؤلمة لي. وعلى كل حال، أياً كان والد الطفل، فقد تسببت أنا في أن تقعي وتفقديه...»

فغرت فاها وقد أصابتها جملته الأخيرة بطعنة نجلاء. وزاد ضعرها وهو يستطرد: «إنك لا تجدين في التسبب للآخرين بالألم، شيئاً سهلاً. أليس كذلك أيتها الأميرة؟ حتى ولو ظننت أنه عدل. لماذا لم تدعيني أريك كم هو سهل عليك أن تسببي السرور للآخرين...»

أراها فعلاً وهو ينحني عليها يأخذ رأسها بذراعيه، وشعرت هي بأن شجاعتها قد تجاوزت حدودها. ولم تستطع أن تعترف، في هذه اللحظة بما يجرح كرامتها. وأرادت في يأسها أن تتقبل فكرة أنه يعلم كل شيء، ولو كان جلياً الآن تماماً أنه لا يعلم.

كان تعليلها الرائع مؤقتاً، ولكنها فجأة، لم تعد تهتم لشيء. فلتدع كل شيء للمستقبل. فهي لن يمكنها احتمال انتظار سنتين أخريين لكي ينطفيء غضب مورغان ويعود لأخذها بين ذراعيه. هذا إذا عاد. إنها تريده الآن. هذه اللحظة. إنها تريد الدفء الذي يشفيها والرغبة التي تتحدث عن غرامها الصامت.

الفصل التاسع

«إذن ما هي الخطة العبقرية التي وضعتها؟ ماذا ستصنعين بالنسبة إلى وظيفتك عندما يولد الطفل؟ هل ستبحثين على فتاة تستأجرينها لتجلس بجانبه نهاراً؟ أم انك تريدينني أن أدفع أجرة روضة أطفال؟»

صرّت كلوديا على أسنانها، وهي تنقل البيض واللحم من المقلاة إلى صحن مورغان، وتقول: «ما هذا؟ أهو استجواب؟» واستدارت تعد القهوة والخبز المحمص لتعطيهما لمورغان وتأخذ واحدة لنفسها. ليس لأنها كانت جائعة، وإنما لتجد عذراً تبتعد به عن عينيه النافذتين الزرقاوين.

لم تكن تريد ازعاجه بقولها إنها لم تضع تلك الخطة بعد. ذلك ان مثل هذه الاجراءات لم تدخل عقلها منذ اسبوع حين استسلمت إلى اغرائه. والآن وقد استبد بنفسها الذعر مما قد يحمله لها المستقبل، فقد رفضت هذا الموضوع بتاتاً. وكان تفكيرها ينحصر في أنه إذا كان بإمكانه أن يعد بأن يحب طفلها، ففي إمكانه أيضاً أن يحب أم طفله ذاك. يا للحماقة... ذلك انه من الممكن أن يهتم بها، ولكن الإثم والرغبة هما مزيج لم يضيفوه إلى الحب. وبالنسبة إلى صراحته في كل شيء، فقد كان بمكنه أن يصارحها بحبه لها إذا كان لهذا الحب وجود. ولكن العنصر الحيوي مفقود في علاقتهما. فالثقة بذلك غير موجودة من ناحيته.

www.liilas.com

وأما من ناحيتها، فقد تعمدت امساكها. لقد كان مثيراً ورقيقاً كعاشق، ولكنها لن تسمح لنفسها بأن تنسى انه كان يوماً ذا مطامع وحشية، ومستبداً سنين طويلة أكثر عدداً من السنوات التي استحال فيها إلى رجل رحيم سهل القيادة كما هو الآن. فالجانب القاسي الساخر من شخصيته لا يمكن أن يكبح نهائياً. فقد كان كامناً في أعماق نفسه سرعان ما يظهر إلى العلن لدى أول معارضة له... أو خداع. فهو قادر تماماً على أن يرتد إلى شخصيته الأولى حالماً يكتشف أن شخصيته الجديدة قد استغلت بشكل يبدو معها أحمق.

بوزنها لكل هذه المخاطر، استقر رأيها أخيراً على أن تلغي حالياً ما ستتعرض له من آلام في حالة تركها له، على أن تختزن ما أمكنها من السعادة التي ستمكنها في ما بعد من مواجهة تعاسة المشاعر التي من المؤكد أن تتبع ذلك.

على الأقل، إذا أصبح لديها طفل منه، فستكون متأكدة من أنه سيبقى على اتصال دائم بها، كما انه يضيف إلى حبها اتساعاً يمنح حياتها غنى وتنوعاً وهدفاً طالما افتقدته حياتها من قبل. قد يهجرها مورغان، ولكنه لن يمكنه أن يهجر ولده أبداً، مهما كان رأيه في أمه. قد تكون نظرتها هذه أنانية أو عديمة الخلق، ولكن كلوديا كانت ستصبر عليها بأي شكل. كانت تريد أن تخضع القدر.

أجاب مورغان: «أريد أن أفهم شيئاً واحداً، وهو لماذا أنت متجهمة الوجه هذا الصباح؟»

كان يتناول فطوره بشهية وقميصه مفتوح على صدره، وذقنه غير حليقة مما أسبغ عليه مظهراً جذاباً. بينما كانت

كلوديا قد ارتدت ثياب العمل بكل عناية، مما أشعرها بعدم الارتياح في المطبخ.

قال: «هل هذا هو السبب في عدم سماحك لي بالبقاء الليلة قبل الماضية؟ أهو الخوف من أن أغير رأيي في الصباح؟»

كلا، لقد كان خوفها، في الحقيقة، هو في أن يزداد حبها وتعودها عليه مما هو عليه الآن. كان خوفها من أن قضاءه الليل معها يحملها على الاسراف في الحب أكثر مما تطيقه صحتها. فبقدر ما تملك كلوديا مقاليد أمورها بيدها، تشعر بالأمان. إذ إنها إذا بقيت مستقلة وبعيدة عنه قليلاً فبإمكانها ابقاءه مشغول البال بها، وبهذا تبقي على اهتمام هذا الرجل المتقلب بها.

لقد أبقاها ساهرة الليلة الماضية، عدة ساعات ظانة بأنها يمكن أن تبقى ساهرة إلى هذا الحد بغير تعب.

لقد دفعت الثمن عندما أيقظها قبل الفجر بعناقه.

عادت إلى المناقشة قائلة: «ربما بإمكانك أنت أن تذهب إلى مكتبك في أي وقت تشاء، ولكنك نسيت انني مجرد موظفة. فأنا عادة ما أكون في الصباح على عجلة من أمري فلا أملك وقتاً لأي شيء آخر...»

ابتسم ببرود قائلاً: «ألا يعجبك الاستيقاظ على مهل؟ لقد توخيت ايقاظك قبل أن يزعجك المنبه. في الحقيقة، إذا أنت لم تجلسي وتسترخي لعدة دقائق. فإنك ستصلين مبكرة إلى العمل أكثر من اللازم. لا تهتمي للزحام في الشارع فسأتدبر أمري معه. هل تريدين قطعة أخرى من الخبز؟» وناولها واحدة بعد أن جلست ممتثلة لنصيحته.

www.liilas.com

إنه الآن سيتدخل في أمر طعامها كما يتدخل في أوقات نومها. هل هي حقاً تريد أن تفسح لهذا الرجل مجالاً في حياتها على الرغم من الآلام التي سببها لها؟ ولسوء الحظ كان الجواب هو: نعم.

قالت له: «هذا كل ما اعتدت تناوله في الصباح.»

قال: «ولكن، منذ الآن يجب أن تهتمي بغذائك. يجب أن تتناولي الحليب وكل أنواع الطعام المغذي وربما الفاكهة.»

قالت: «شكراً. إن طعامي متوازن تماماً. هذا إلى أنني لم أحمل بعد.»

سألها: «ومن أين لك العلم بذلك؟»

احمر وجهها وهي تمسح الخبز بالمربى قائلة: «بالطريقة المعتادة.»

ساد صمت قصير، قطعه بقوله: «وهذا الصباح؟»

كانت تغص باللقمة. وأخذت رشفة من القهوة كانت تلذع شفتيها. ولم تعرف ما إذا كان عليها أن تأسف أم تفرح لعدم حدوث الحمل حتى الآن. والآن، إذا هو أراد أن ينكث بوعده، فهذه فرصته.

قال: «كان يجب أن تقولي شيئاً. هل تشعرين بعدم الارتياح؟ حباً بالله يا كلوديا، يمكنك أن ترفضيني في أي وقت شئت، فأنا لست مهووساً جنسياً.»

كان صوته مزيجاً من الارتباك والانزعاج مما دعاها إلى النظر إليه، لترى وجهه وقد صبغه الاحمرار. وخامرها الارتباك وهي ترى انه هو الذي احمر وجهه الآن وليس هي. وانفجرت ضاحكة وهي تقول: «إنني مسرورة لسماع ذلك.»

هذا بينما كان احمرار وجهه يزداد. وقال: «كان يمكن لك أن تعتذري بالصداع أو بأي شيء كهذا، إذا لم يكن باستطاعتك السهر معي.»

رفعت حاجبيها قائلة: «ما هذه الطرق الملتوية يا مورغان؟ لم أكن أظنك تحب أن تستبدل بالحقيقة الجارحة جملاً مهذبة.»

قال متضايقاً وهو يرفع كوب القهوة إلى شفتيه: «هذا حسن. إذن، فقد انتهى الأمر. ألن تنتهي هذه القهوة؟»

تابع تناول فطوره وقد بان عليه الغم حتى أنها فكرت في أن تقترب منه وتقبله. وقالت:

«إذا كانت لا تعجبك فأنت تعرف ما عليك عمله. إنك تستطيع أن لا ترغم نفسك على تناولها.»

قال: «من الواضح ان علي أن أشتري لك غلاية خاصة لأعلمك طريقة صنع القهوة.» ونظر إليها باسماً.

قالت: «يمكنني أن أشتري غلاية بنفسي إذا كان الأمر يستحق ذلك.»

قال: «إذن، فسأعرف كيف أجعلك تظنين ان الأمر يستحق ذلك. لماذا نتناقش في مثل هذه الأمور التافهة؟ هل ظننت أن هذا يحول اهتمامي عن الأمور الرئيسية؟ مثلاً، ما يتوجب عليك عمله، مثلاً عندما تحملين (خيراً؟)»

(خيراً؟) وبدا لها انه يعتبر هذا من الصعوبة بحيث يأخذ وقتاً طويلاً. وفكرت، بمكر، في انها إذا هي توخت الحذر الشديد فباستطاعتها أن تمدد الوقت قدر استطاعتها معه لكي تبقيه بقربها شهوراً عديدة. ولكنها ما لبثت ان صدمت إذ وجدت نفسها تفكر بهذه

www.liilas.com

الطريقة غير المستقيمة. وحاولت أن تكفر عن ذلك بتعنيف نفسها إذ تقول له:

«ولماذا؟ يمكنني أن أترك وظيفتي وأبقى معك في المنزل بينما أنا حامل وذلك إلى أن يولد الطفل. بالطبع لقد وعدتني بأن تزودني بكل ما أحتاجه أثناء ذلك. وبما أنني سأتحمل عناء حمل طفلك، فمن العدل أن تتحمل نصيبك أنت أيضاً من هذا العناء وذلك بدفع نفقاتي. وهذا أفضل شيء يمكن عمله.»

قال: «أنا موافق.»

قالت وقد شعرت بتشوش في ذهنها: «هل تعني انك موافق؟»

قال: «نعم. أظن هذه فكرة ممتازة.» واستند إلى الخلف في كرسيه. وهو يتابع قائلاً: «ولكن، لماذا الانتظار إلى حين تصبحين حاملاً؟ لماذا لا تنتقلين الآن؟»

كانت هي قد وقفت تنظر إليه. فقالت مكررة كلماته غير مصدقة: «انتقل الآن؟ تعني أن أعيش معك؟»

كان في لهجتها ما جعله يقفز فاهه ناظراً إليها ثم يقول بمنطقه الخاص: «ولماذا لا؟ إن هذا يبدو عملياً أكثر من غيره. فهو يعطيك فرصة للراحة والتفكير بهدوء في اتباع نظام مريح قبل أن تبدأ الهرمونات في جسدك افرازها. إذا أنت أقمت معي، فإنه لن يكون عليك أن تدفعي ايجار المنزل أو ثمن مشترياتك للبقال، أو تكدحي في أعمال المنزل. ليس عليك أن تقومي بشيء إطلاقاً. فكري في هذه الفوائد. إن عملك متعب جداً وكثير المتطلبات. وبالطبع، أنت تحبينه، ولكنه يتطلب مستوى عالياً من الطاقة والحماس

مما يضغط على صحتك. لقد لاحظت أثناء العمل، انك تحاولين جاهدة، تجنب الأخطاء، وتنسين أن تأكلي عندما تكونين مشغولة وذهنك يعمل دائماً متوقعاً مشكلات قادمة تتعاملين معها. لقد كنت هناك، وصدقيني إن المكافأة على كل ما تعانيه في هذا العمل، لا تستحق كل هذه المشقات. فإذا أنت تركت عملك هذا، فسيكون أمامك حظ أكبر في تأمل خططك المستقبلية. وأنا سأرى كل احتياجاتك وراحتك واستقلالك بدخل خاص. وستأكلين طعاماً صحياً مصنوعاً في المنزل كما ستنالين قسطاً كبيراً من الراحة...»

بعد ذلك بعشرين دقيقة، كانت كلوديا واقفة تحدق في باب شقتها بعد أن أغلقتها خلف مورغان وقد وضعت يدها على صدرها حيث كان قلبها يخفق بعنف. كانت تتنفس بسرعة وهي تحاول أن تفكر في ما حدث.

إنها الآن متأكدة من خداعه!

تملكتها غصة، وشملت الحرارة جسدها وهي تفكر في انه يقدم إليها أتعاباً أجرة اتخاذها خليلة له في منزله، وتملكتها ثورة عارمة وهي تلمس وضوح هذا الفخ الذي يضعه لها. هذا الوحش المتعجرف يريد منها أن تفقد أعصابها! إنه يتوقع منها أن ترد عليه عرضه المهين الذي عرضه عليها، تماماً كما توقعت هي منه أن يرد عليها عرضها الكاذب ذاك حين حدثته عن جلوسها في البيت: لقد كان انتقامه منها خداعاً مزدوجاً، دافعاً إياها إلى عمل طائش لكي يعرف حقيقة شعورها.

استقامت في وقفتها بكبرياء، في محاولة للتهدئة من ثورتها، وابتدأت تفكر في خداعه الأحمق ذاك.

غير انه لم يضف شيئاً إلى عطائه، ولكن، كلا. فقد زاد من هذا العطاء بينما هي، بنفس حماقة المقامرين قد قبلت الرهان، ذلك انه إذا هو شاء أن يدفع ثمن الحب، وهو عادة مجانية لبهذم غلطته هو. واطمأنت إلى هذه الفكرة وحملت كلوديا نفسها على إنهاء استعدادها للذهاب إلى العمل. وكانت يدها من الارتجاف بحيث لم تستطع أن تضع زينتها على وجهها إلا بعد مشقة. لا بد انها مجنونة.

نظرت إلى وجهها الشاحب في المرآة وهي تتابع مخاطبة صورتها تلك... يكفي الوقوع في غرام مورغان ستون، ولكن أن تكذب عليه في قبولها حمل ولده ثم تقيم معه لتعيش هذه الكذبة يومياً، كل هذا جنون محض. وما الذي هي بسبيله لأن تفعله؟

بعد عدة ساعات ألح عليها نفس السؤال، عندما كان سايمون مور يشير بإصبعه إلى كتاب استقالتها قائلاً وقد صعقته الدهشة: «كلوديا، لماذا؟ كنت أظنك سعيدة هنا؟ وماذا عن سباق الخمسمائة؟ إن معظم هذه الأشياء هي من انجازاتك. إنها طفلك منذ البداية!»

أجفلت كلوديا لدى هذا التعبير غير المتعمد منه، وقالت: «إن لي الحق في شهر عسل بعد الاستقالة تبعاً لعقد العمل. وهكذا سأبقى هنا عدة أيام بعد انتهاء السباق، إلا إذا وجدتم أنتم من تأخذ مكاني قبل ذلك.»

تجهم وجه سايمون وهو يخبط بيده على المكتب قائلاً: «من المحتمل أن يأخذ هذا وقتاً أطول، وهذه حقيقة وليست مجاملة. ما زلت لم تخبريني عن السبب في رغبتك في الاستقالة.»

قالت بضيق: «إنها... إنها أسباب شخصية.» كانت تدرك أن له كل الحق في أن يعرف سبب تصميمها على هجر مهنة كهذه ذات مستقبل كبير، وتابعت: «لقد استمتعت، في الحقيقة بعملي هنا... حسناً، ثمة أشياء خاصة في حياتي الآن علي أن أوجه إليها كل اهتمامي...»

سكت برهة ثم قال: «هل آل إليك إرث مثلاً أم انك ربحت ورقة يانصيب؟...»

قالت: «أوه، كلا... لا شيء من ذلك.»

أحجمت بجين عن أن تخبر سايمون بشيء هي نفسها لا تكاد تصدقه، على الرغم من انها تعلم انه سيعلم به قريباً جداً كما سيعلم به الجميع.

كان مورغان قد اتصل بها هاتفياً حالما وصلت إلى منزلها، لا ليهنئها في انتهاء همسات العشاق التي كان قلبها يتوق إليها، بل ليخبرها انه صمم على أن يحتكر لنفسه حق إذاعة نبأ انتقالها إلى منزله، قبل أن يسبق علم ذلك إلى الناس، وذلك باتصاله هاتفياً بصديق صحافي يبلغه خبر علاقتهما الجديدة هذه.

قالت، وقد أدركت انه يكلمها بعد أن قام بهذا الاتصال فعلاً: «ولكنني لم أوافق...»

قاطعها برقة: «ولكنك قلت إنك تتركين لي التفاصيل للتصرف، ولكن، مهما كانت الأشياء التي ينبغي علينا تجاهلها، فإنني أحب الصراحة التي تسكت أقاويل الناس. إنك تعلمين بالطبع انه كلما حاولت تجنب الصحافة، اهتمت الصحافة بك. فإذا نحن أظهرنا أن ليس عندنا ما نخفيه، فالصحافيون، عند ذاك يسجلون هذه الأشياء في الأرشيف

www.liilas.com

يعودون إليها لتأكيد القصة وذلك بدلاً من أن يبدأوا بالبحث والتنقيب في الخفايا.»

أفهمها منطقه وهي تعترض قائلة: «ولكن...»

قال يستفزها بغضب: «ماذا حدث؟ هل أنت خائفة؟ لقد فات أوان التراجع وأصبح الأمر الآن رسمياً. يمكنك هذا ولكنه ليس لائقاً كما أخشى. ذلك ان الصحافة في ما لو تراجعت قبل أن تبدإي، ستجعل من تصرفك هذا قضية اليوم. إنهم سيصرون على النبش عن السبب وتعرفين غرام مخبري الصحف في التنقيب عن الفضائح...»

كيف يجرؤ على أن يشير إلى ماضيها المؤلم بمثل هذه البساطة والبشاشة؟ وقالت: «هل هذا كل ما أردت أن تخبرني به؟» قالت ذلك وهي تقاوم رغبتها في أن تقذف بالهاتف في أرض الغرفة.

لم يظهر في لهجته أي خوف. بل بدا عليه الرضا عن نفسه بينما شعرت هي وكأنما تلقت لطمة. ولكنها كانت تفعل تماماً ما تريده بكامل إرادتها. فلماذا هذه الرغبة في البكاء؟

قال بكذبة مكشوفة: «ولكنني لم أخبرهم انني أتحلث بحركة مثل لتنقل أشياءك هذا المساء، وهذا لن يستغرق وقتاً طويلاً إذ انه ليس عندك أثاث خاص بك. وكان يمكنني أن أنقلك بنفسي لولا ان عندي اجتماعاً هذا المساء، ولكنني سأتدبر أمر إرسال سيارة لك تقودينها بنفسك إلى بيتي. وسأوافيك إلى المنزل حوالي الثامنة لتناول العشاء. ويمكنك أن تخبري مديرة منزلي عن أي شيء تحبين للعشاء. هل هذا حسن؟»

أقفل الخط بسرعة قبل أن تلقي بالسماعة في وجهه. إنه لم يترك شيئاً للمصادفات أو لمعاودة التفكير في الأمر. كل شيء كان يحدث بسرعة فائقة. وشعرت بالقدر يسرع نحوها دون أن يترك لها فرصة كافية لاختيار طريقها.

قالت كلوديا لسايمون الذي كان يوجه إليها نظرات عابسة متأملة: «يمكنني أن أقوم ببعض العمل في المنزل إذا كان هذا متوفراً.»

كانت هذه فكرة مورغان هي أيضاً الذي استغل فرصة الصمت الصاعق في المطبخ والذي تلا إلقاء قنبلته تلك. فقد تمتم بأن الحياة عنده بما انها ستكون مريحة جداً بالنسبة إليها، ومملة أيضاً بطبيعة الحال، فمن الأفضل أن تتعلم على الكومبيوتر المنزلي عنده ومن ثم يمكنها أن تؤسس مكتباً منزلياً لنفسها. وكان لمعان عينيه يؤكد لها أن الإثارة لن تفتقدها في حياتها معه. وبما انه أعطاها الفرصة لتجربة ذلك في الأسابيع القليلة الماضية، ابتدأت بالتجاوب مع هذه الفكرة.

أطبق سايمون شفتيه بحزم وقال: «لا يمكنني أن أعدك بذلك يا كلوديا. إنك تعلمين أننا نقوم بمعظم أعمالنا في المنزل.»

قالت وقد احمر وجهها لرفضه: «أوه، إنني لا أقصد هذا. أعني إذا كنت لا تمانع في اعطائي شهادة عن عملي هنا.»

وافق هو إنما ببعض التحفظ. ولم تلمه هي لذلك. ولقد كانت حرية التصرف هي مبدأ سايمون. ولكنها كانت تعلم لو انها أخبرته أن مكتبها سيكون في منزل مورغان ستون حيث ستعيش، ربما كان يجد نفسه مضطراً إلى أن يحذرها

www.liilas.com

من حماقتها البالغة تلك. ولكنها لم تكن بحاجة إلى سماع محاضرة عن هذا الموضوع هي تعلم مسبقاً كل شيء عنه.

كانت حقيقة انها لم تكن تعرف أحداً في المدينة معرفة كافية لتحدثه عن مشاعرها، تبعث في نفسها الشعور بالعزلة. ومن ناحية أخرى بالأمان. ولقد جنبتها هذه الوحدة الانتقادات الشخصية لتصرفها هذا إذ لم يكن ثمة سواها من يهمه أمرها. لم يكن ثمة من يؤنبه لاتباعها لهوى قلبها. هذا عدا عما يمليه عليها المنطق والضمير. كما انها لا بد أن تضع في اعتبارها احتمال عودتها إلى المجتمع ونظرته إليها، وذلك لفترة، فتتألم من النظرات الشزراء ومن أقاويل زملائها الذين كانت تشكل معهم. ولكن كان بإمكانها احتمال كل ذلك ما دامت تعلم أن مورغان يعود إلى البيت كل ليلة...

عودتها هي إلى المنزل، كانت عندها لعبة جديدة لامعة.

كانت قد نسيت تماماً ما سبق وحدثها به مورغان عن السيارة، ولكن، عندما سلمها موظف من عنده سلسلة مفاتيحه في نفس المساء، حملت نفسها على إنتظار إنتهاء العمال من نقل آخر صندوق من الأمتعة، لتنزل إلى الشارع وترى نوع السيارة التي أعارها إياها.

بدلاً من سيارة لائقة كما كانت تنتظر، كانت تقف في الشارع سيارة استرعت اهتمام المارة. هي نفس السيارة (غرينوو كورفيت) التي كانت قد أعجبت بها كلوديا في أول زيارة لها إلى معرض السيارات الخاص بشركته.

ظنت في البداية في نفسها جنون العظمة والخيلاء. وجلست في مقعد السائق عدة دقائق قبل أن تنظر في

الصندوق الصغير لتأخذ الرسالة التي أخبرها الموظف الذي أحضر السيارة، إنها ستجدها فيه. ووجدت مغلفاً طبع عليه اسم شركة مورغان ووالده.

لو لم تكن كلوديا واقعة فعلاً في غرام مورغان، لوقعت في غرامه وهي تقرأ أوراق السيارة باسمها. وذاب قلبها وهي تقرأ كلماته المرفقة والتي تخبرها بأن الثمن لا يدخل في الموضوع. وقد كانت كلماته البسيطة هي:

«كلما نظرت إلى هذه السيارة الآن، أفكر فيك. ولا يمكنني أن أتصور شخصاً آخر يملكها. وهي تهدم قدرتي على التركيز في عملي. سيارة جذابة لأكثر السيدات جاذبية. فاهنئي بها.»

لقد شعرت بالهناء دون خجل.

عند تجربتها الأولى، لم تكن متأكدة تماماً من قدرتها على قيادة مثل هذه السيارة، ولكنها ما لبثت أن تغلبت على خوفها، وسرعان ما تعودت على استعمال هذه السيارة الرائعة، وهي تذهب وتجيء بها كل يوم، لتكتشف بنفسها مدى الزهو الذي يمكن أن تبعثه في النفس قيادة مثل هذه السيارة المتفوقة. وخلف عجلة القيادة، استطاعت أن تفهم العقدة المسيطرة التي كلفت كريس حياته. كذلك بالنسبة للسرعة، فقد تعودت على كبح النفس وعدم الاستهتار منذ نزهتها الرائعة بالسيارة. وقد أكدها ذلك في تصرفاتها خارج الطرق.

في الحقيقة، في الأسابيع القلائل الأولى، كان اعتياد الناس على وضعها هذا، أسهل مما تصورت. ويبدو ان التجاوب العام كان إلى الحسد أقرب منه إلى الإدانة.

www.liilas.com

أما الشيء الذي أثار التنذر في نفس مورغان، والضيق في نفس كلوديا، فهو أن هذه السيارة أثارت انتباه الصحافة أكثر مما أثاره علاقتهما الشخصية. وكانت أكثر التخمينات إثارة للسخرية، تلك التي تقول بأن مورغان جهز كلوديا بسيارة كورفيت توطئة لقيادتها في سباق الخمسمائة. وهذا الرأي الأخير، ذهب بسخرية مورغان واستعمل صداقته الشخصية لبعض المصادر الصحافية لينفي هذا الكلام وذلك بجد أكثر مما اعتاد مورغان أن يبديه.

هذه الأسابيع القلائل، أمضتها كلوديا بسعادة تامة. معتبرة كل يوم جديد هبة غالية عزيزة من مورغان. ومع اقتراب موعد السباق، ازداد ضغط العمل عليها. وقد كرهت كل لحظة من الوقت الواقع بين الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر وهو الوقت الذي يفصلها عن مورغان والأوقات السعيدة التي تمضيها معه.

بالطبع، لا يمكن أن يدوم ذلك إلى الأبد. ففي ذات يوم، عادت كلوديا إلى المنزل مبكرة لأنها أرادت أن تستعمل مكتب مورغان لكي تطبع آخر برنامج لها عن علاقاتها العامة بالنسبة إلى الفندق.

دخلت غرفة النوم المشتركة مع مورغان، فخلعت سترتها وبدأت تفك أزرار قميصها. وشرعت في اختيار الثوب الذي ستقابل به مورغان عند حضوره. ولما كانت ساعات عمله غير ثابتة كساعات عملها، فقد كان عادة يأتي إلى البيت قبلها. وتطلعت هي إلى ما يمكن أن يصلح ليكون مفاجئاً له. شعرت بأن ذلك ينبغي أن يكون

عاملاً مهماً في إعادة لاهتمامه عندما تتلاشى الجدة في علاقتهما.

في هذه اللحظة خرج مارك ستون من الحمام، لتتجمد كلوديا في مكانها وقد هرب الدم من وجهها، وهي ترى الإدانة الصاعقة في وجهه الوسيم.

قال بخشونة وقد بانت الصدمة في وجهه: «لقد أخبروني. ولكنني لم أصدق. لقد ظننتها مزحة سخيفة من شخص أحمق. ولكنها حقيقة. أليس كذلك؟ إنك تقطنين هنا. وأنت معه...»

حركت يديها بعجز وقالت: «إنني...» كان من الواضح انه استقى استنتاجاته من الخزانة نصف المفتوحة، ومن أدوات الحلاقة وماء الكولونيا الخاصة بأبيه على رف الحمام. وقالت: «لم أكن أتوقع رجوعك المبكر. لقد قال أبوك انك ستمضي في أوروبا بضعة أسابيع أخرى في إجازة.»

قال بقسوة: «تعنين ان كل هذا كان تصرفاً مؤقتاً. هل كنت ستنتقلين من البيت قبل عودتي؟ فلا أعرف ماذا كان يجري هنا؟»

قالت: «أوه، كلا...» وفكرت بذعر في انها لم تفكر قط في التعقيدات التي ستنشأ عند عودة مارك، وفي غمرة سعادتها العمياء سمحت لنفسها بأن تنسى كل شيء عن وجود مارك. واستطردت: «إننا... إنني هنا فقط منذ عدة أسابيع... إنه نوع من... لقد حدث الأمر عرضاً.»

كانت تحاول أن توضح الأمر بينما كانت تحاول أن تعيد إقفال قميصها بيديها المرتجفتين.

صرخ مارك: «لا شيء يحدث عرضاً بالنسبة إلى أبي.»

www.liilas.com

وبدا أمام عينيها فجأة أكبر من سنه وشبيهاً جداً بوالده وتابع: «إنه دوماً يمتلك سبباً حسناً جداً لكل شيء يقوم به.» ونظر في أنحاء الغرفة وكأنه لم يرها من قبل.

عاد يستدير إليها متفجراً: «بحق الله... إنني لم أكد أغيب شهراً، وعندما سافرت، كنتما لا يكاد يعرف أحدكما الآخر. كما ان احدكما لم يكن يطيق الآخر.»

قالت بضعف وهي تضع يدها على معدتها: «لايحسن أن تأخذ الأمور بهذا الشكل.» وفكرت في انها تعرف جيداً من يكون الخاسر لو كان على مورغان أن يختار بينها وبين ولده.

سألها بخشونة: «وكيف تأخذين الأمور أنت؟»

دفعها بعصبية نحو السرير وهو يقول: «إنه لم ينقل اطلاقاً أياً من نسائه إلى هنا من قبل مما يدل على حب الواحد منكما للآخر. إنني أدرك تماماً مبلغ هوس أبي الحسي...»

تضرج وجه كلوديا تماماً الآن وصرخت: «مارك...»

بدا شيء من الخجل على وجه مارك، فوضع أصابعه في شعره ثم استدار مبتعداً عنها وهو يقول: «اعتدت أن أظن انكما كنتما هكذا...» وضرب الهواء بقبضته بحركة تعني العدم، وهو يبتعد عنها مرة أخرى مشمئزاً. ثم استطرد: «كيف أمكنك ذلك يا كلوديا بحق الله؟ إنه كبير السن إلى درجة كافية...»

قالت محاولة أن تستعيد هدوءها متكلفة المزاح: «إذا قلت إنه كبير السن بدرجة كافية ليكون أبي فإنني سأضربك. أولاً، هذا غير صحيح. إنه أبوك أنت يا مارك

وليس أبي. وبالنسبة إليّ، هو رجل ناضج، ذكي و... رجل مثير جداً...»

نطقت بالجملة الأخيرة بصوت أجش جعلته يستدير متطلعاً إليها وقد امتزجت في عينيه العداوة بالفضول. وجلست هي برهن على حافة السرير. وقال: «ولكن، أبي... لقد سبق وأخبرتك عن صفاته. إن النساء بالنسبة إليه هن أشياء وجدت لراحته. إنه لم يتعلق بامرأة بعلاقة جدية قط. لم أكن لأتصور انك بعد الآلام التي عانيتها بعد كريس، يمكن أن تدعي نفسك تسقطين في وضع آخر مماثل. أي ضمان لك الآن؟ عندما تحدثت إلى صديقتك في غرفة الهاتف، قالت إنك تركت وظيفتك.» كان يتكلم وقد بدا وجهه مذعوراً لدرجة مضحكة. فقالت: «بإمكاني دوماً أن أجد وظيفة أخرى يا مارك.»

تهاوى على الفراش بجانبها وهو يقول: «ما الذي جعلك تسمحين له بأن يفعل هذا بك؟» ونظر إلى وجهها محاولاً قراءة جواب سؤاله هذا على ملامحها.

قالت وعيناها تنطقان بالرصانة والحكمة: «لا شيء. لقد فعلت كل هذا لنفسي بنفسي.»

الشيء القليل الذي قالته كان يحوي كل المعاني. وتنفس هو بعمق قائلاً: «أوه، يا إلهي، هل أنت واقعة بحبه؟» ونطقت لهجته بذعر لا مثيل له، وهو يستطرد: «أوه، كلوديا أيتها الحمقاء.» وشبك أصابعه بأصابعها وهو يقول: «إلى متى تظنين هذا الأمر سيطول؟» فهزت كتفيها وهي ترفع رأسها عالياً: «هذا لا يهم.»

إنها لا تريده أن يظن انها تشعر بشيء من الندم أو

www.liilas.com

انها تلوم أباه لأنه ليس بالرجل الذي أرادته أن يكون.

قال بخشونة: «بل إنه يهم.» وترك يدها لكي يجذب إليه جسدها و يعتصره حتى تختنق حنجرتها بدموعها المنحبسة. ولكن أنظاره سقطت على قميصها المفتوح. وتأوه، وابتدأ يفك أزرار قميصها ببطء كما يفعل الآباء لأبنائهم. وتذكرت كلوديا أن الأمور قد صلحت، فتسامحت معه. وقال هو: «أوه، يا كلوديا. ما دمت كنت ستشعرين بالحب، لماذا لم تحبي شخصاً آخر لا يحطم مشاعرك؟ لماذا لم تحبيني أنا؟»

دفعتها عجرفته إلى الابتسام. وقالت: «لأنك لم تكن تحبني.»

قال: «وكذلك هو لا يحبك.»

خرجت هذه الكلمات المجروحة من فمه دون وعي، وكما لو انه أراد أن يعتذر للحقيقة القاسية التي أدلى بها. أخذت يداه تعاودان إقفال قميصها ثم انحنى إلى الأمام ليعانقها برقة ودون حرارة.

بعد لحظات، كانت كلوديا تحدق في عينين زرقاوين قاتلتين... وانتصب جدار من اليأس بين أب وابنه حين اندفع مورغان من الباب.

الفصل العاشر

«ارفع يديك عنها.»

كان مارك قد وضع يديه حول كتفيها لتهدئتها بينما هما الإثنان يقفزان من على الفراش وقد بدا الشعور بالذنب في ملامحهما، وبحركة آلية، شدد من قبضتيه عليها، رافضاً أمر أبيه، بينما اندفعت هي تثرثر بأسباب عودتها المبكرة إلى البيت.

خلفها، وقف مارك صامتاً، ولكن صمته مثل يديه على كتفيها، كان نوعاً من التحدي.

أنهت كلوديا حديثها بارتباك: «وحين دخلت المنزل، وجدت مارك قد عاد.»

قال مورغان ببطء بعث برودة الثلج في جسدها: «هكذا... لقد فهمت.» ووقفت هي بعصبية بين الرجلين واقترب مورغان تحيطه هالة من الوعيد وهو يقول: «لقد عجبت من سبب تركك المكتب ثانية في مثل هذا الزحام.» واضاف بجانب ابنه متأملاً: «لقد قالت ايرين السكرتيرة انها أخبرتك بأنني في معرض السيارات. وقد استغربت لزعاجك لنفسك بالقدوم من المطار دون أن تهتم بالتحية أو بالجلوس.»

أجاب مارك متهماً إياه بالمثل: «كان واضحاً أنك لم تكن هناك. وأنت تعرف تماماً إلى أين ذهبت.»

وقف مورغان ثابتاً في مكانه وقد مالت كتفاه بشكل خطر

www.liilas.com

تحت سترته القاتمة. لقد كان الرجلان يرتديان نفس ملابس العمل.

سأله مورغان ببرود: «لماذا لم تخبرنا بأنك قدمت موعد حضورك أسبوعاً؟»

ازدردت كلوديا ريقها وهي تتساءل، أسبوع؟ ولماذا لم يذكر لها بأن مارك سيعود بهذه السرعة إذا كان يعلم بذلك؟ هل كان يفكر، كما قال مارك، بأن يتخلص منها قبل ذلك؟

«لقد أردت مفاجأتك.» كانت تمتمة مارك التي حركت شعر رأسها من الخلف، تبعث على السخرية. واستطرد مارك: «بدلاً من ذلك وجدت أنني الشخص الذي فوجيء.»

قال مورغان بصوت تحوّل من لهجة الأمر إلى لهجة تهديد: «قلت لك ان ترفع يديك عنها.»

قالت كلوديا: «لقد كنا نتكلم فقط يا مورغان.»

قاطعها متهكماً: «أوه، هل هذا ما تسمينه كلاماً؟»

مد يده إلى زر القميص الذي لم يستطع مارك أن يثبته في مكانه. وارتجفت كلوديا وهي تقول: «لقد كنت... كنت أغير ملابسي...»

قال بصوت ساخر: «بملابس أكثر راحة... لأجل مارك...»

قالت بحدة: «كلا، طبعاً لا... انه، انني... لم يكن لدينا أية فكرة عن اننا سنرى بعضنا البعض.»

قال: «انك تتلعثمين يا كلوديا، فهل تشعرين بالعصبية؟»

قال مارك بغضب: «طبعاً هي تشعر بالعصبية لوقوفك مشرفاً عليها كطاغية جبار.»

قال مورغان: «ما الذي جرى لك؟ لماذا لا ترجع إلى الخلف؟»

أجاب مارك: «ولماذا لا ترجع أنت؟»

نظرت كلوديا إلى اليد التي تمسك بزر قميصها، تترك جانب القميص في الهواء أمام ناظريها ثم تعود فتنقبض ناحية مارك بوحشية.

مدت يديها حول قبضته تحمي نفسها وهي تصرخ قائلة: «كلا يا مورغان، كلا.»

إنها لا تريد أن تكون سبباً في انفصال آخر بين الاثنين.

قال بغلظة: «كلا ماذا؟ أعطي الفتى ما يريده؟»

«لا تكن أحمق. إن المسألة ليست كما تظن...»

توهجت العينان الزرقاوان وهو يقول بصوت أجش: «ألم يكن مارك يعانقك؟ ألم يكن ينزع ملابسك على السرير؟ سريري؟ سريرنا؟»

شعرت بجسم مارك يتصلب خلفها وبيدين تشتد قبضتاهما على كتفيها. وقالت: «لقد كان يتلطف معي فقط...»

قال: «لقد كان كجهنم!»

شهقت كلوديا وهي تشعر بقبضته تتملص من قبضتها وبدلاً من أن يسدد ضربة، أمسك بها وجذبها نحوه من بين يدي مارك بينما تمر ذراعه الأخرى كالحربة.

صرخ مارك: «عليك اللعنة...»

صرخت كلوديا وهي تمد يدين مرتجفتين لتوقفه وهو يهجم إلى الأمام: «كلا يا مارك. إياك... بحق الله يا مورغان... فكر بالذي تفعله...»

قال: «إنني أعرف تماماً ما الذي أفعله. إنني أجعل الأمر واضحاً لكل شخص. يمكنك أن تكون صديقاً لها يا مارك.

www.liilas.com

ولكن كل شيء آخر هو لي. إنها تخصني.» وليؤكد كلامه، مد يده يضغط على صدرها. وارجعت كلوديا رأسها إلى الوراء بحجة لتجنب أنه يعانقها بوحشية تقرب من الاغتصاب. وعندما رفع رأسه كان وجهها يتوهج احمراراً وقد انتابتها ثورة احتجاج.

ألقى هو عليها نظرة تعبر عن سرور وحشي، ثم استدار إلى ابنه مرة أخرى قائلاً: «لقد كنا عاشقين لأسابيع عديدة. فتقبل أنت هذا الأمر. وأي رجاء كان لك من ناحيتها هو ميت ومقبور.»

دمرت مظاهر غيرته هذه، الأمل في نفس كلوديا، واكتسحها إدراك يائس بأن الأمر كله لم يكن سوى تملك حسي.

قال مارك بارتباك: «كلوديا؟»

اهتزت هي في سجنها بين ذراعي مورغان الذي قال لها آمراً: «هيا أيتها الأميرة. أخبريه كم استمتعت بحبي في تلك الليالي. أخبريه أنني أهم رجل في حياتك بالنسبة إلى المستقبل المنظور.»

أثناء الصمت العميق الذي ساد، بدا على مارك فجأة نوع من الاسترخاء وهو يتأمل في عناد أبيه. فقال: «لماذا لا تتركها؟ إنك تضايقها.»

أجاب: «كلا. إنني لا أضايقها. أليس كذلك أيتها الأميرة؟» وأدارها إليه بشدة بين ذراعيه لتواجهه مباشرة ناظرة إليه. وتابع: «إنها تحبني عاشقاً خشناً...» وانحنى يعانقها ثانية غير عابىء بما قد يظنه الناظر إليه.

قال مارك بخشونة وقد رأى الآخرين غائبين عنه كلياً:

«هل ما زالت المناقشة دائرة بيننا أم أنه من المفروض أن أخرج؟»

قال مورغان وهو يتوقف عن عناقها بتمهل بالغ: «حسناً جداً. اقفل الباب الخارجي خلفك.»

حاولت كلوديا وهي تحاول التخلص من عناقه: «مورغان!» وتنحت جانباً وهي تقول متضرجة الوجه: «إنني آسفة يا مارك...»

قال: «آسفة لماذا؟ لاختيارك رجلاً عجوزاً بدلاً من شاب قوي الرجولة؟ حسناً، لا بأس يا عزيزتي. إذا أنت غيرت رأيك، فإنك تعرفين أين تجدينني.»

أدرك كلوديا الخوف من تأثير كلامه الخطر في هذا الوقت، ولكن مورغان لم يهتم. كانت ابتسامته ساخرة بقدر وقاحة كلمات مارك. وقال له: «إذا كنت تريد المحافظة على رجولتك يا بني، فابق بعيداً عنها.»

أجاب مارك بدهاء: «حسناً، لتبدو نصيحتك هذه على شيء من الصعوبة. فانني أعيش هنا أيضاً، تذكر ذلك فاننا سنكون ثلاثة فتدبر الأمر فالمسألة ليست مزاحاً.»

صرخت كلوديا محذرة: «مارك...»

لكنه تجاهلها وهو يقول: «هيا يا أبي. إنك لم تجرب فكرة المشاركة من قبل...»

اتسعت عينا كلوديا بذعر لما يتضمنه كلامه هذا، ولكن مورغان أسرع بالرد قائلاً بمثل دهائه: «ما دام ذوقنا في النساء مختلفاً، فإن هذه الفكرة ليست واردة. وهي لا تشكل تهديداً بالنسبة لرجولتي.. حتى وإن حدث ذلك فإن ذلك لا يهمني.»

قال مارك: «ولكن الأمر يهم كلوديا.»

www.liilas.com

حبست كلوديا أنفاسها. كانت تعرف ماذا كان مارك يعني بتلميحه الأحمق. كان يريد أن يساعدها، ولكنها كانت تفضل أن لا يثير المتاعب...

قال مورغان: «إن المسألة منتهية بالنسبة إلى كلوديا. فأنا لا أنفك حتى مع رجولتك الفتية المتشوقة، تقدم على معاشرة أمك الثانية الحامل.»

بدا على مارك وكأنه أصيب بضربة مطرقة وقال: «أمي الثانية؟ حامل؟»

قال مورغان: «ألم تخبرك كلوديا، أثناء انشغالكما بأنها صممت على أن تحمل بطفل مني؟»

صعقت كلوديا هي أيضاً وهي تدرك إلى أي حد يذهب في سبيل أن يقطع صلتها بولده.

نظر مارك إلى بطنها المسطح سائلاً: «هل أنت حامل؟» وما لبث أن قطب جبينه ونظر إلى أبيه قائلاً: «تزوجها إذن لأنها حامل.»

أجاب ببطء منزعجاً من هذا الاقتراح: «إنني سأجري عادة الزواج السريع.»

أخرج جوابه السريع، كلوديا عن طورها لتنفجر قائلة: «هيا، كفا عن ذلك أنتما الاثنان. ما هذه الغارة؟ إن منظركما يخيفني. إننا بالطبع، لسنا متزوجين يا مارك.» ونطقت بهذه الكلمة بإشمئزاز بالغ. فقال مورغان برقة: «ولكننا سنتزوج عندما تقترب ولادة الطفل.»

تملكت كلوديا غصة وهي تنسلّ من بين ذراعيه وقد مزّق قلبها الغضب والألم وهي تقول: «حتى أننا لا نعلم ما إذا كان ثمة طفل هناك.»

قال: «هل هذا يعني (كلا؟) فكري قبل أن تردي الجواب يا كلوديا لأن الرفض لا يعجبني. ومن الممكن أن لا أسألك ذلك مرة أخرى.»

شعرت بصدمة وهي ترد عليه قائلة: «أتسمي هذا سؤالاً؟»

قال ببرود وجفاء: «هل تريدين مني أن أتنازل في سبيل أن أجعل منك امرأة شريفة؟»

تصاعد من عينيها شرر الغضب. ونظرت إليه باحتقار. من أين لهذا أن يعرف الشرف؟ وقالت ثائرة: «ليس لديّ ما أفكر فيه، في هذه اللحظة سوى أن أجعل وجهك في مستوى الحذاء.»

اشتعلت عيناه غضباً: «إن بإمكاني الآن أن أكون اشد فظاظة. إياك أن تعارضيني في أي شيء أريده هنا.»

صرخ مارك: «أبي...»

لكن مورغان لم ينظر إليه. فقد كان تحديه الغاضب كله موجهاً إلى وجه كلوديا المتوهج.

قال: «اخرج من هنا يا مارك. فهذا ليس من شأنك هيا يا كلوديا، اختاري لنفسك.»

قالت هازئة وهي تشعر بسرور خفي ابتدأ يتفاعل في أعماقها: «أتقصد أنك لي أحد الخيارين؟»

تمتم مارك وهو يتوجه نحو الباب: «ربما سأذهب إلى المكتب لبعض الوقت. بالمناسبة أقدم تهانيّ.»

تابعت كلوديا المهاجمة: «كيف تجرؤ على اتهامي ملمحاً إلى أنني أقوم بمثل هذا العمل الشائن في غيابك مع أي شخص يطلب مني ذلك. ولندع مارك جانباً الآن.»

شهقت وهي تراه يرفعها بين يديه يحتضنها هامساً: «إنني آسف لغيرتي اللا معقولة هذه...»

www.liilas.com

سكتت برهة ثم قالت بصوت خفيض: «حسناً، لا بأس.»

اشتد احتضانه لها وهو يقول: «إنك لي... أليس كذلك؟ عديني بأن لا تفارقيني بقية حياتك.»

تأوهت وهي تقول: «نعم، نعم، نعم.»

عندما استفاقت بعد ساعات، كان هو قد رحل... وعلى المنضدة بجانب السرير كانت هناك ورقة منه: «كتب عليها «كان عليّ أن أذهب إلى المكتب. إنني غير موافق على الخطوبة الطويلة خاصة في حالتنا هذه. وسأحصل على رخصة الزواج، تاركاً لك التفاصيل.»

«المحب مورغان.»

«محب؟؟»

لقد كانت هذه الكلمة هي الغائبة دوماً من بين كل الكلمات الحارة التي دارت بينهما.

لكن... لو أنها كانت حقيقة... إنها تقدم حياتها فداء لهذه الكلمة، لو أنها كانت حقيقة! ولكن مورغان ليس بحاجة إلى أن يتزوج منها. إن الزواج سيضعف من حريته، ويعطيها هي سلطة عامة وخاصة عليه بينما العشيقة لا أمل لها في أي من ذلك. فلماذا إذن، يقدم رجل غني وناجح وجذاب وذو نفوذ مثل مورغان، على المجازفة بكل مشاعره وأمواله؟ إلا إذا كان «المحب مورغان.»

خنقت كلوديا في هاتين الكلمتين وقد سادها الاضطراب وتشوش الذهن والتردد. ومر الوقت عليها دون وعي منها. ونهضت ترتدي ثيابها بعجلة. ذلك انه إذا ظل مورغان على رغبته في الزواج منها بعد أن يعرف سبب موت طفلها، وانه هو لم يتسبب بذلك كما سبق وأكدت له في

المستشفى... إذن، عند ذلك ستتأكد من أن حبه لها سيستمر مدى الحياة. قادت سيارتها بحذر وهدوء مكررة، بينها وبين نفسها الكلام الذي ستقوله له مختارة أفضل الجمل لذلك، عالمة بأن لا شيء يمكن أن يخفف من وحشية وقسوة اعترافها ذاك.

في مكتب مورغان، شعرت بالارتياح عندما حيتها السكرتيرة بابتسامة ذات معنى. ربما، بعد هذا النهار، لن ترى ابتسامات كثيرة حولها مرة أخرى.

كان جالساً أمام مكتبه في كرسيه المتحرك، محولاً جنبه نحو الباب حاملاً بيده ملفاً يمعن فيه النظر. ووقفت كلوديا مترددة عند الباب.

«مورغان.»

جمد في مكانه رافعاً رأسه كحيوان يشتم رائحة فريسة، ولكنه لم يستدر. ودخلت كلوديا إلى المكتب وأغلقت الباب خلفها ومن ثم أسندت إليه ظهرها بعد أن شعرت بأن ساقيها لا تحملانها. وبللت شفتيها بلسانها وهي تحاول، بجنون أن تتذكر ما صممت على أن تبدأ به حديثها. وجاءه صوتها: «مورغان، انني بحاجة إلى...»

قفز من على كرسيه ليستدير حول المكتب في خطوة واحدة: «أنت! أنت أيتها الحقود المنتقمة! أيتها الكلبة.»

أصعقها ثورته المفاجئة. ووقفت عاجزة شاحبة متلقية ثورته العارمة.

تابع: «آه، نعم ربما تبدين مريضة أيتها الـ...» واستعمل كلمة جعلت الدم يتصاعد إلى وجهها، ليشحب مرة أخرى حين قال باحتقار ساخر: «إنك مريضة، يجب أن يقفل عليك

www.liilas.com

الباب! لقد جعلتني أصدق انني مسؤول عن موت طفلك!»

اسودت الدنيا في عيني كلوديا. كل الدفاع المتقن الذي أعدته، قد تحطم إذ هي تدرك انه سبق وعلم بما كانت قد عانت من العذاب لتخبره به. وها هي ذي تخسره مرة أخرى.

صرخ فيها وقد شحبت شفتاه لازدراء لها: «ما الذي رجوته من وراء ذلك بحق جهنم؟ الانتقام؟ ولماذا؟ للكرامة المجروحة؟ لقد سبق وقلت انك لم تريدي مارك بأي شكل... فلا تخبريني إذن، انني حرمت قلبك من حبه. لم أكن أنا قط انساناً بالنسبة إليك أبداً. أليس كذلك؟ كنت مجرد شيء ملائم لتوقعي عليه ضرباتك. لقد استعملتني في ذلك الوقت، لتتنكري مسؤوليتك عن موت الطفل، وما زلت تحاولين استعمالي.»

وقف مشرفاً عليها بقامته. كانت ثورته القاسية تعذبها بقوة فاقت كل ما ظهر منه من سوء طبع من قبل. وتابع دون رحمة: «يا إلهي، وماذا عن ذلك الطفل الذي تريدينه مني كما قلت؟ هل سيكون حجر شطرنج آخر في لعبة شعارها (فلندع مورغان يتألم؟) أم ربما لن يكون هناك طفل أبداً. ربما كانت هذه طريقتك في استغلال شعوري بالذنب، لتعذبيني بشيء تعرفين أنني لن أحصل عليه أبداً. حسناً، اذهبي إلى جهنم قبل أن يكون لي دور مرة أخرى وفي خيالك المريض. أتسمعينني يا كلوديا؟ اذهبي إلى جهنم.»

رمى بالملف الذي في يده بوجهها مبتعداً رافساً برجله كرسياً كان في طريقه. وسقط الملف إلى الأرض وتناثرت منه أوراق انحنت هي تجمعها، بحركات آلية. وتجمدت

أصابعها وقد أدركت ما تحويه هذه الأوراق التي كانت تجمعها. وهمست انه الملف الطبي الخاص بي من المستشفى... وسمعها هو، فاستدار على عقبيه، وقد بدا عليه كبح النفس عن أية ثورة أخرى.

سألته بجمود: «كيف حصلت عليه؟»

لم تحلم أبداً أن بإمكانه أن يعرف الحقيقة من هذا السبيل... عن طريق التفاصيل الطبية الرسمية. وتابعت: «كنت أظن أن الأطباء لا يصرحون بمثل هذه التفاصيل...»

زمجر وهو يشد قبضته إلى جانبه وكأنه يهم بضربها: «نعم، هذه قصة أخرى مسلية من قصصك عن الإنتقام. إنك ستضحكين عندما تعلمين ماذا فعلت. لقد جذبت بعض الحبال فانفرج الستار. لقد أردت أن أعرف ما الذي ينتظر طفلي الذي ستحملين به. لم أشأ أن أسبب لك صدمة أخرى في ما لو حملت ولم يكن ثمة مجال ليستمر الحمل...»

فكرت: يا إلهي، لقد كان يحبني... وقالت له: «ولكنني أخبرتك...»

قاطعها وهو يخبط بيده على المكتب بغضب فيقذف قلماً إلى آخر الحجرة: «لقد أخبرتني بأشياء كثيرة يا كلوديا، وليس منها ما يستحق...»

قاطعته: «مورغان، لقد جئت إلى هنا لأخبرك بذلك...»

قاطعها باحتقار: «حقاً؟ ما الفرق هذا الآن. ما الذي كنت ستقولينه لي؟ هل ستقولين: خمّن يا مورغان.. إنك لست قاتلاً على الرغم من كل شيء... كل ما في الأمر انني كنت أطيل الأمد كل ذلك الوقت فقط لكي أتفرج عليك تتلوى من الألم.»

www.liilas.com

- لتقبض قلبها في صدرها لدى سماعها كلمة (قاتل) التي نطق بها. وقالت متوسلة: «مورغان، أرجوك، ألا تسمع على الأقل...»

انفجر قائلاً والشرر يقدح في عينيه وقد كسا وجهه الازدراء البالغ: «ماذا؟ أكاذيب جديدة؟ أنصاف حقائق تخدم منفعتك الخاصة؟ لقد استطعت أن أتفهم أسباب كذبك عن أبوة طفلك، ولكن هذه الكذبة؟ هذه؟» ومضت لحظة مريعة بدا عليه وكأنه سيتقيأ، ولكنه تمالك نفسه ليقول بفظاظة: «لا أريد أن أسمع يا كلوديا. لا شيء أكثر من ذلك. هيا... اخرجي من مكتبي، اخرجي من بيتي... اخرجي من حياتي...»

قالت بيأس: «مورغان، انني أحبك...»

لكنه شتمها وقد اشتدت ثورته: «اخرجي من هنا يا كلوديا ما دام ذلك في استطاعتك وإلا، فإنني لست مسؤولاً عن تصرفاتي نحوك. يمكنني أن أقتلك بسهولة يا كلوديا لأجل كل ما فعلته بي...»

اهتزت وهي تستدير تتلمس قبضة الباب بعينين لا تريان. لقد تأخرت.. لقد تأخرت جداً. لقد كان الأمر دوماً متأخراً بالنسبة إليها.

خاطبها من وراء ظهرها بوقاحة ووحشية: «ثمة شيء آخر يا كلوديا. إنك ستخرجين من هذه العلاقة صفر اليدين. أتفهمين؟ لن تأخذي شيئاً. فإذا فعلت فسأرفع عليك دعوى بالنصب وأهوي بسمعتك إلى الحضيض أمام محكمة علنية. إذن، اتركي مفاتيح السيارة على المكتب عند خروجك.»

تصلب جسد كلوديا عند ذلك. لقد كانت تلك السيارة رمزاً

لسعادتهما معاً. إنها لن تدعه يسلبها حتى ذكرياتها. وتطلعت إليه من فوق كتفها بثورة تماثل ثورته وقالت: «اذهب إلى جهنم، يا مورغان ستون.» ولم تعرف كيف عادت بالسيارة إلى البيت، ولكنها وجدت بسرعة عجيبة جعلتها تقع متعثرة على ركبتيها وهي تسقط من الباب على الاسمنت، وقد احترقت يداها من حرارة عجلة السيارة التي تمسكت بها أثناء وقوعها. وعندما دخلت البيت، وكانت ما تزال ترتعش ليهز أعصابها رنين الهاتف. وبطريقة آلية التقطت السماعة: «آ.. آلو..» وأجابها صمت مطبق، ثم جاءها صوته مزمجراً: «لقد كنت حسنة الحظ إذ بقيت حية بعد خروجك بذلك الشكل من هنا.»

قالت بصوت مستديري: «أتراني حقاً بقيت حية؟» وأقفلت الهاتف في وجهه. وأخذت معها الهاتف عند صعودها ولكنه لم يتصل بها. ومضت الليلة، واليومان التاليان دون أن يتصل مورغان هاتفياً، ولم يضع قدماً في منزله. كما أن كلوديا لم تضع قدماً خارجه. لقد اتصلت بالفندق تعتذر بإصابتها بالانفلونزا، لتطلب إحالة عملها إلى الموظف الذي حل مكانها والذي وصل من المكتب الرئيسي لقضاء الاسبوعين الرسميين اللذين يتعود بهما على نوع العمل.

جاء مارك إلى المنزل يحاصرها بأسئلته القلقة واهتمامه. ولكنها لم تتكلم معه. إنها لم تستطع أن تشرح له المشاعر التي تجتاحها. كانت تجلس فقط وتنتظر مثل حيوان صغير وقع في الفخ وينتظر خائفاً من الحركة.

في اليوم الثالث، قبل أن يخرج مارك إلى العمل، ضغط عليها بإصرار قائلاً: «ما الذي ستفعلينه يا كلوديا؟ ان أبي

www.liilas.com

مقيم في الفندق ولا يريد أن يسمع اسمك. بينما أنت تجلسين هنا كالميتة... حسناً، إذاً... إذا كان عليك أن تخرجي فإلى أين ستذهبين؟»

زاد قلقها من عذابها وآلامها.

«هل أترك مورغان؟»

تساءلت عما إذا كان يعلم ما إذا كانت ما تزال في منزله. كلا، وإلا لأحضر من يحملها ويلقي بها إلى الشارع.

أجابت: «إلى أين سأذهب؟» لم يكن ثمة مكان تذهب إليه... واعتصر قلبها الألم. إنها لا يمكنها البقاء في الفندق حيث أن عملها قد انتهى هناك تقريباً. بالاضافة إلى ان مورغان كان هناك. تماماً كما قال لها مارك منذ أيام، انها تركت نفسها من دون شيء ومن دون أحد...

لاح لها شعاع من أمل سرعان ما أصبح طريقاً منيراً اخترق أحزانها التي كانت قد دفنت فيها الطاقة على المقاومة. قبل كل شيء، فهي قد جازفت بالعيش مع مورغان. فلماذا تتخلى الآن عن كل شيء في سبيل شجار بسيط؟ لقد شاهدت بنفسها كيف كان يحترم أولئك الذين يواجهونه بشجاعة. حتى ولو كان يعتقد أنهم على خطأ. ولقد اقترفت هي خطأ جسيماً، نعم، ولكن أكثر المجرمين اجراماً يعطون فرصة للوقوف أمام العدالة. ولقد مضى الآن، على ثورة طبع مورغان أيام هي كافية لكي تهدأ ولكن، ربما لن يكون باستطاعتها أن تتقرب إليه على نفس المستوى المعتاد بينهما!!

تساءلت، هل من الممكن أن يقدم رجل يكرهها على أن يتصل بها هاتفياً بذلك الشكل الغاضب بعد شجارهما ذاك

ولا يسأل عن السيارة، إذن، لا بد انه كان يريد ان يطمئن إلى أنها وصلت سالمة. حتى في خلال ثورته تلك التي لعنت وجودها نفسه، فكر في أن يتصل بها هاتفياً... ما الذي ستخسره لو انها سلمت إلى مصالحته؟ لم يبق لديها ما تخسره، ولكن، كيف، ما دام هو مصراً بهذا الشكل، على تجنب ذلك؟ يجب أن تتدبر أمر الاجتماع به بطريقة ما.

ضاقت عيناها وهي تتذكر شيئاً كان قد هددها به أثناء ثورته العارمة تلك.

سألت مارك ببطء: «أتعرف محامياً جيداً يا مارك؟»

فوجيء هو بمظهر شيء من الكبرياء بدا في رفع رأسها الآن، والذي كان منكساً على صدرها لعدة أيام. وأجاب: «بالطبع. لماذا؟»

ضاقت عيناها وهي تجيب: «أريد أن أرفع دعوى بنكث الوعد.»

فغر فاهه برهة قال بعدها: «نكث الـ... هل تقصدين أبي؟»

قالت: «لم يطلب أحد سواه الزواج مني مؤخراً!»

قال: «ولكن، يا إلهي... كلوديا... انه لن... يا إلهي!»

لكنها لم تسمح لاعتراضه بأن يوقف عملاً يائساً لامرأة يائسة. وقالت له: «لقد كنت هناك وسمعته يقول انه سيتزوج مني.»

نظر إليها بخوف وهو يصرخ كفتاة صغيرة: «أتريدين مني أن أكون شاهداً معك؟ انه سيقتلني يا كلوديا. انه سيقتلنا نحن الاثنين معاً.»

نظرت اليه بعينين أغرقتهما دموع رفضت أن تدعها

www.liilas.com

تسيل: «ثمة أشياء تستحق أن يموت المرء لأجلها. أليس كذلك؟»

ظهر على ملامحه سرور خبيث وهو يرى تسممها فقال: «نعم، نعم. ثمة أشياء هي كما تقولين. انني أعرف فعلاً بعض المحامين ممن لي فضل عليهم. عليك فقط أن تستمري في البقاء هنا يا كلوديا، واتركي لي كل شيء آخر.»

بعد ذهابه، وجدت أن المسألة بأجمعها هي مسلية أكثر منها حكيمة أو مناسبة. وانهارت ثقة كلوديا. نكث وعد؟ كان هذا سخرية. كل ذلك الحب الذي وعدها به مورغان كان عبارة عن ألم القلب. أما ذلك الوعد بالزواج، فقد نطق به لدافع خاص.

حيث انه كان عندها فكرة عن أن قضايا هذا النوع تأخذ عادة من المحامين وقتاً طويلاً، فقد عزّت نفسها بأن ذلك يسمح لها بأن تتراجع عن قضيتها في ما لو خانتها شجاعتها. وفي نفس الوقت، يمكنها على الأقل، أن تشعر أنها تقوم بمحاولة لتنظيم حياتها مرة أخرى.

لأول مرة، منذ أيام، تناولت فطورها وتناولت شيئاً خفيفاً عند الغداء متجاهلة حاكمة مدبرة المنزل تعرضه عليها بإلحاح.

بعد الظهر، تفاعل عندها الحرارة والأرق الليلي المتواصل، فجلست على الشرفة تعرض جسدها للشمس، وهي ساهمة تفكر.

أيقظها من سهوها صوت سيارة تقف وباب يصفق، فاستقامت في جلستها وقد شعرت بوخزات عصبية في

جلدها، وكانت متضايقة من نفسها لجلوسها الطويل في الشمس.

هل عاد مارك؟ وتطلعت نحو رؤيته. لا بد أن تخبره بأن يكف عن الحوم حولها مشبهاً أماً عصبية. ووقفت مترنحة على قدميها وأخذت تتطلع من فوق حاجز الشرفة. واتسعت عيناها ذعراً وهي ترى سيارة مورغان الزرقاء تقف عند أسفل الشرفة وما زالت عجلاتها تنفث الدخان غاضبة.

سمعت صوته يتردد في أنحاء المنزل: «كلوديا، كلوديا انني أعرف انك هنا. ليس باستطاعتك إخفاء نفسك عني.»

نظرت إلى حولها بذعر تفتش عن شيء تغطي نفسها به، ولما لم تكن قد أحضرت معها شيئاً كهذا، فقد جذبت غطاء الطاولة الذي كان عليه بقايا طعامها لتلف به نفسها، عندما رآها مورغان.

صرخ بها: «أظن انني أخبرتك أن تخرجي من منزلي.» وتسمرت عيناه على أعضائها المكشوفة حين خطا إلى الشرفة... وبدت في عينيه نظرة غريبة وهو يقول: «أراك كنت تتوقعين رؤيتي. لقد فهمت.»

- كانت النعمة الهانئة تغييراً غير متوقع مما جعل كلوديا تجفل. فهتفت بحدة: «لا تفكر بنفسك.»

لقد كان حليق الذقن، ولكنها لاحظت عليه شيئاً من الهزال. كانت في عينيه نظرة مخيفة كما أن وجهه كان يتجلى فيه الحقد. وأمام بدلته ذات القطع الثلاث الرمادية والقميص الأبيض، شعرت كلوديا بنفسها وكأنها عارية سيئة اللباس.

قال وهو يهز بيده اسطوانة من الورق مربوطة بشريط:

www.liilas.com

«ماذا غير ذلك يمكن أن يظنه رجل عندما تسوقه امرأة مرغوبة إلى المحكمة؟ هل تعلمين ماذا حدث لي اليوم يا كلوديا؟»

هزت رأسها بعجز خائفة من أن تسأله، وقد تسمرت نظراتها على الورق الذي في يده. أهو ملف آخر يخسره إليها ليخترق به ضميرها مع...

استطرد: «رجلان.. رجلان طويلان عريضان كئيبا المنظر تعرضا لي في المعرض أثناء مقابلة لي مع التلفزيون عن السباق... تلك المقابلة التي سعيت أنت نفسك لتنفيذها حديثاً... وسلماني أوراقاً قانونية، بينما أخذا يشرحان القضية لي بصوت عال وبكل تفاصيلها. ليس فقط رفع دعوى علي بنكث عهد، وإنما أنني يقدم نفسه شاهداً ضدي. كما أن عنواني موضوع بوضوح.»

«أحقاً؟» قالت كلوديا ذلك دون أن تجرؤ على النظر إلى ذلك الوجه الذي كان هادئاً لا يبدو عليه أي تأثير. ما الذي فعله مارك؟ فإن كلوديا تعلم أنه لا يمكن لأية أوراق قانونية أن تنجز بمثل تلك السرعة.

راقبته من خلال أهدابها وهو ينشر ورقة التبليغ بيديه قائلاً: «والآن، أي نوع من النساء هي المرأة التي تقوم بمثل هذا العمل الأحمق؟»

أجابت: «امرأة عاشقة.»

ساد صمت. وازدردت كلوديا رضابها. لقد استحال الوخز في جلدها إلى حروق مؤلمة. وذعرت وهي ترى عينيه تحومان فوق جسدها مرة أخرى.

ضمت يديها حول وسطها تسوّي، دون وعي، ثوب

السباحة. ومطت شفتيها كما يفعل وهي تسأله: «هل أنت غاضب؟»

لم تتغير ملامحه الصارمة وهو يقول: «غاضب؟» كان صوته أقل خشونة من ملامحه. واستطرد: «لا أظن ذلك يا كلوديا. إنك تعلمين ذلك. أليس كذلك؟ إن نكث الوعد ذاك لا يستحق الورق الذي كتب عليه.»

ارتجفت كلوديا وهي تقول: «مورغان... انني...»

قاطعها بكلمة واحدة: «إياك. لا تكذبي علي مرة أخرى... أبداً.» ولما كان قد صفعها بأمل ضعيف، فقد صفعها بسؤال آخر: «هل أنت حامل؟»

نظرت إليه مذهولة: «ماذا؟»

قال: «ان هذا التبليغ القانوني يتحدث عن كلام بهذا المعنى قلته في مناسبة دقيقة.»

فكرت، أوه، ان هذا صنع مارك؟ ونظرت اليه بعينين صافيتين قائلة: «كلا. انني لست حاملاً.»

فكرت، إذا كان يريدها فينبغي أن يكون ذلك لنفسها فقط...

سألها: «وكيف يمكنك التأكد من ذلك؟»

إنها لم تعتد أبداً صراحته تلك في تلك الأمور الخاصة. واحمر وجهها وهي تلتقط الورقة التي كان يلوح بها أمامها يغيظها بها، فجعدتها في يدها حيث أنها لم تعد ذات موضوع كما يعرفان ذلك هما الاثنان.

قالت بثبات: «انني متأكدة من أنني ربما لست حاملاً.»

قال: «ان كلمتي (متأكدة) و(ربما) هما كلمتان متناقضتان.»

www.liilas.com
rotto-06

قالت ثائرة لحديثه المتكلف هذا: «هل هذا ما جئت لأجله؟ للتحدث عن التناقض؟»

قال: «لقد استدعيتني فجئت.»

قالت: «لكنني لم أفعل ذلك...»

قال وهو يأخذ من يدها ورقة التبليغ: «هذه الورقة يا كلوديا لا وجود لها بيننا فهي غير لائقة.» وأكد كلامه بأن كورها بيده وألقى بها من فوق حاجز الشرفة. ثم استطرد: «انها عمل معقد يؤدي إلى الابتزاز. انني لا أعرف من هو محاميك ولكنني سأقوم بإيقاف القضية. وكذلك بالنسبة لذينك الشخصين الثرثارين اللذين أرسلهما إليّ في المعرض...!»

قالت بصوت مختنق: «انني... انه هو، مارك... انني اقترحت فقط هذا الأمر هذا الصباح... لم أكن، في الحقيقة أعني ذلك.. كلا، لم أكن أريد حقاً أن أنفذ ذلك...»

انهمرت دموعها رغماً عنها.. لم تكن تريد، حقيقة أن تبكي ولكن ابتسامته الساخرة ضغطت على أعصابها. وهمست من بين دموعها وهو يضمها إلى صدره: «انني أكرهك.»

قال: «وأنا أكرهك...» وتأملها ليثبت لها كم يكرهها.. وازداد انهمار دموعها... هل كانت هذه إدانة منه لها، أم مغفرة؟ لم تستطع أن تتأكد من ذلك.

تمتمت: «أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة... لقد كنت مجنونة وكان الحق معك. كنت مختلة العقل حين فقدت طفلي، ولكن، عندما مرّ هذا الاختلال العقلي كنت خائفة من مواجهة عملي هذا. لقد أردت فقط أن أنسى... أنسى كل شيء عن هذا

الموضوع... ثم، عندما تقابلنا مرة أخرى، شعرت بعدم استطاعتي الإعتراف... كنت أعلم أنك ستحتقرني والحق معك في هذا، حيث انه لا عذر لي. ولكنني حقاً جئت إلى مكتبك، في ذلك النهار، لأخبرك... لم أكن أبداً لأتزوج منك وأنت تعتقد...»

قاطعها: «أعتقد أنني قاتل أطفال؟»

وضعت يديها حول وجهه ناظرة إلى أعماق عينيه: «كلا، أبداً... لا تقل هذا الكلام...»

اهتزت وهي ترى دموعاً تغرق عينيه وتبلل أهدابه. فهمست تكرر برقة: «انني آسفة... آسفة... انني لن أصفح عن نفسي أبداً... و... إذا أنت لم تصفح عني فسأتفهم ذلك.»

قال وهو ما يزال محتضناً إياها: «كلا، لن يمكنك ذلك.» فعضت على شفتها ولم تشأ أن تكذب مرة أخرى فقالت: «حسناً، سأحاول أن أتفهم ذلك. سأفعل كل ما تريدني أن أقوم به، ثم أعرض الأمر عليك...»

قال متهكماً بمرارة: «تفعلين أي شيء أريده ما عدا أن ترحلي وتتركيني بسلام.»

لم تستطع أن تحتمل هذه المرارة أكثر من ذلك فقالت وهي تغمض عينيها: «حتى ولو...»

قاطعها: «ولماذا لو كنت حقاً حاملاً؟»

يا إلهي ما أشد قسوته وعناده. وفتحت عينيها متقبلة عقابه بصبر مضنٍ: «مهما كانت مشيئتك.»

قال: «حتى الإجهاض؟»

تجمد الدم في عروقها احتجاجاً على مثل هذا الإنتقام مما أخطأت في حقه. وقالت: «كلا.»

www.liilas.com

قال: «لقد قلت إنك ستفعلين أي شيء أريده.» كيف بإمكانه أن يكون متوحشاً إلى هذا الحد في تهكمه هذا؟ ومع ذلك فهو يحتضنها أكثر وأكثر. هل هذا جزء من العقاب الذي لن ينتهي؟

قالت بصوت خافت: «كلا. ليس أي شيء تماماً.»

قال: «لقد أخبرتك أن لا تكذبي عليّ يا كلوديا.»

قالت باكية: «ولكنني أحاول.» كان يعذبها منه أن تراه يحتضنها، ولكن من دون عاطفة. وقال: «حاولي أكثر من ذلك. هل تحبينني؟»

همست بمرارة: «نعم.»

أمسك بذقنها يرفع وجهها إليه ليسألها ثانية: «هل تتصورين انني أحبك؟»

ساد صمت مؤلم. انه لا يقول (تكذبين) بل (تتصورين) إنها قسوة واضحة. أين هي الحقيقة هنا وأين الكذب؟ ونظرت إليه تملأ قلبها وعقلها وأحاسيسها من رائحته. وقالت بصوت متحشرج: «نعم، وإلا لما استجبت لإيحائي لك بالعودة إليّ وذلك بواسطة تبليغ المحامي ذاك. ولكن هذا لا يعني أنني سأستغل حبك ذاك.»

بانت في عينيه ابتسامة وهو يقول: «أرى أنك تعتقدين ذلك، أيتها الأميرة. ولكنني لا أشك في أن ذلك سيتحول إلى كذبة أخرى. ذلك أنك ستستغلينني دون خجل، كل مرة أبدي فيها ضعفاً تجاهك...»

قالت متحمسة وهي تتنفس بارتياح: «ولكن الحب ليس ضعفاً يا مورغان. إنه يمنحك القوة.»

قال: «انني من القوة بحيث أهزم عفاريت الشكوك كلها.»

ومر بيده على ظهرها الذي اسخنته الشمس وهو يستطرد: «حتى عندما كرهتك يا كلوديا، لم يكن لديّ شك في أنني أكره ما هو لي.»

هتفت: «مورغان...»

قاطعها: «كلا، دعيني أكمل كي لا يبقى ثمة مجال لسوء التفاهم. فنستطيع بعد ذلك أن نضع كل الأشياء خلفنا.» ومس شفتها بإصبعه وهو يستطرد قائلاً: «إنني أتمنى لو تحملين بطفل مني. ولكن لو حملت أو لم تحملي فسأتزوج منك. لقد طاردتك واقتنصتك ولن أتركك بسهولة. اننا لن نستطيع إصلاح أخطاء الماضي، ولكننا نستطيع بكل تأكيد، أن نبني مستقبلاً أفضل لأنفسنا. هذا إذا كنا نحن الاثنان، نريد ذلك فعلاً. في الأيام القليلة الماضية وصلت إلى قرار هو أن استمرار الغضب في نفسي ما هو إلا من تأثير جرح كرامتي لما لمسته من غدر. لقد أمضيت الأيام القليلة الماضية في الضياع واجترار الأفكار السوداء. لقد كنت غاضباً لأن الحياة لم تكن عادلة مشرقة، ولكن من يقول ان الحياة كذلك؟ وهذا الصباح، أخذت بالتفكير، مرة أخرى، في هذا العالم غير العادل. وفي هذا العالم الحقيقي، وجدت أنه ما زال عندي نفس الخيار الذي كان قبل أن أتسلم ذلك الملف. ذلك الخيار كان، هل أعيش مع كلوديا، أم من دون كلوديا؟ الخيار هو نفسه، وكلوديا هي نفسها.

«انني أعرفك تماماً، قال ثم تابع وأعرف أن من عيوبك هو أن تحمي نفسك مما لا يسر وذلك بتجاهله. فأنت، مثلاً، تتظاهرين بالمعارضة والاشمئزاز بالنسبة إلى العلاقات الحميمة بينما أنت عاطفية إلى أقصى حد. كما أن عواطفك

www.liilas.com

المضطرمة تمنعك من أن تسببي الضرر لرجل تحبينه. ذلك أنك، رغماً عن شكوكك من ناحية كريس، كزوج وأب لطفلك، فقد قبلت الزواج منه... كما أنك كنت لا تريدين أن تؤذي مارك بإخباره عن إهانتي لك. ولم تبتغي أن تؤذيني وذلك بأن تحميني، قدر الاستطاعة من معرفة شيء ظننت أنه سيسبب لي ألماً شديداً...»

قالت: «إنني شديدة الأسف يا مورغان...»

قال: «أعلم ذلك. وأنا أيضاً آسف. ولتعويض الوقت الذي أضعناه سدى، ربما بإمكانك أن تسمحي لي بأن نبدأ بتعويض ذلك في أسرع وقت. هذا إذا لم يكن عندك شعور سري آخر بالذنب تخفينه عني.»

نظر إليها مسروراً بتضرج وجهها واستعادتها ثقتها بنفسها إثر ما ظهر منه من تجاوب في مزاحه هذا. واستطرد: «لقد فقدت أعصابي عندما تلقيت هذه الأوراق اللعينة وكنت على وشك أن أضرب ذينك الرجلين اللذين أحضراها، إلى أن أدركت أنك لا يمكن أن تكوني جادة في هذا... لم يخبرني بذلك قلبي المحب يا كلوديا، وإنما أنت عندما قلت لي، أثناء اتصالي بك هاتفياً، أنك ما زلت في منزلي لم تغوريني بعد. وهذا يعني أنك ما زلت هناك بانتظاري ولأجلي إذا أنا شئت الرجوع... (هذا إذا...»

حنى جبهته فوق جبهتها ثم قبل أنفها قائلاً: «مهما كان الخطأ الذي اقترفته، فقد علمتني شيئاً ثميناً وضرورياً جداً أثناء السنتين الماضيتين. ذلك الدرس هو أن هذه الحياة هي فانية، وبالتالي فان كل لحظة من حياتنا هي ثمينة بالنسبة إلينا وإلى أولئك الذين يحبوننا. ان الفضل هو عائد

لك في انني عدت إلى اكتشاف نفسي واكتشاف ولدي... وكذلك مقدرتي على الحب. انني أحبك، يا أميرتي العزيزة، وهذا يستدعي احتفالنا، دون أي اعتذار منك، لهذا تزوجي مني ودعينا نستمتع في حياتنا بكل لحظة منها معاً. وانني أعدك بأن أمنحك من الحب ما يجعلك تنسين انه كان بيننا، يوماً ما، شيء سوى الثقة المتبادلة...»

لكنها سبق وشعرت بكل حبه الرائع هذا. ورأت شفتيه تفتشان عن وجنتيها. كان احتفالهما بالزواج شخصياً وضيقاً، ولكن صداه بقي في المجتمع زمناً طويلاً.

بعد تسعة أشهر، وفي نفس تاريخ الزواج تقريباً، جاءت سارة الصغيرة إلى عالم مستقر حيث ولدت في سيارة ضيقة مربكة هي كورفيت كلاسيكية متوقفة خارج مستشفى في ويلنغتون، وكان صوتها الضئيل الغاضب ينبيء بأنها ورثت عن أبيها طبعه المخيف وصفات أمها المرتبكة وهي تحاول اجتذاب اهتمامه.

انتهت

www.liilas.com